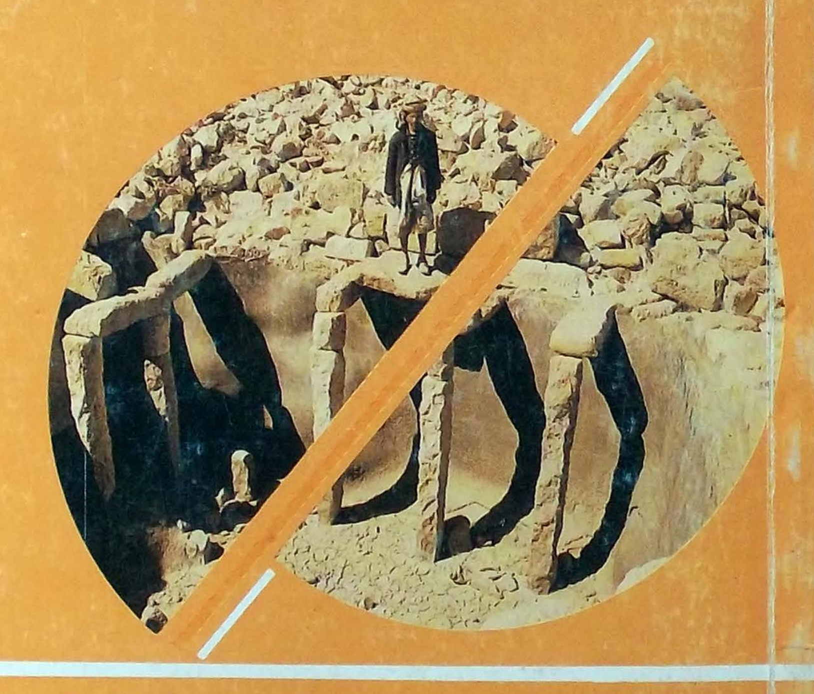
رؤية اليمن

بين حبشوش وهاليفي



مركز الدراسات والبحوث اليمني
صَنعاء

رؤية اليمن

بين حبشوش وهاليفي

رؤية اليمن
بين حبشوش وهاليفي

رؤيا اليمن

حييم (بن) يحيا (بن) سالم الفُتيحي حبشوش

١٣١١ هـ - ١٨٩٣ م

نقلته إلى العربية وحققته

سامية نعيم صنبر

تقرير حول
بعثة أثرية إلى اليمن

قدمه

جوزيف هاليفي

ترجمه

منير عربش

راجعه

د. علي محمد زيد

مركز الدراسات والبحوث اليمني

الطبعة الأولى ١٩٩٢ م = ١٤١٢ هـ

مركز الدراسات والبحوث اليمني
هاتف ٢٠٠٤٨٥ ـ ٢٠٠٤٧٠ برقياً (يمنات)
شارع الزبيري ـ ص . ب ١١٢٨
صنعاء ـ الجمهورية اليمنية
طبع بإشراف :
دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان

تصدير

بقلم الأستاذ يحيى علي الارياني

حبشوش - وهاليفي

مصداقية البساطة - وخيبة العلمنة المتعالية

منذ مئة سنة كتب (حبشوش) صفحات كتابه المتميز، إزاء كتاب هاليفي، عن رحلته اليمنية. ومن هذا الزمن البعيد كشف حبشوش، وهو اليهودي الآخر كيوسف هاليفي، عن نظرة مخالفة، تسندها الوقائع والبراهين، لرؤية هاليفي المرتهنة لقناعة مسبقة ومنحازة ضد ماهو عربي وإسلامي.

بينما يعتسف (هاليفي) تفسير الوقائع ويلفق حيثيات المشاهدة والمحاورة، ويحور مقاصد الشهادات اليهودية التي تشيد بإنسانية التعامل الاجتماعي بين مسلمي اليمن والأقلية اليهودية، وبينما يدعي لنفسه بطولات زائدة عن مغامرات لم يقم بها لنسخ بعض (النقوش اليمنية القديمة) من خرائب.. الآثار.. وبقايا العمارات القائمة من المعابد والصروح والسدود، بينما يفتش هاليفي عن كل هذا.. ويكذب، تأتي صفحات (حبشوش) متوهجة بالموضوعية والصدق، كاشفة لتزوير هاليفي، ودعواه العريضة عن فروسيته الخارقة التي مكنته من استكشاف الأرض المجهولة، ورصد كل نبضها الخافت والمرتفع.. ثم النفاذ من بين مخالب الوحوش البدوية وأنيابها.. ليقدم تقريره الميت عن رحلته التي لم تتم إلا بفضل ذكاء هذا اليهودي اليمني (حبشوش) ولباقته ومعرفته للأصول العرفية بين القبائل وخريطتها الديمغرافية والجغرافية.

وكتاب (حبشوش) من كتب السيرة المتميزة بدقة الرصد، وذكاء التعليق وإيراد الملاحظة حين يجب إيرادها. ولايعنينا هنا، المقارنة بين كل صفحة وواقعة، فذلك أمر

يستحق الاهتمام لاحقاً، وكل مايعنينا هنا هو المقابلة الموضوعية بين نسقين مختلفين من الفهم والتوجه نحو تراث الغير الذي يقف مباشرة في وجه الإرث الآخر والخاص بصاحبي النسقين المتعارضين في الفهم والقراءة.. والأمر الثاني مانجده عند حبشوش من رصد للحياة الاجتماعية اليمنية والاستفادة منها كإحداثية زمنية بعيدة ينطلق الباحث منها لفرز الثابت والمتغير خلال هذه الفترة الطويلة الممتدة من زمن رصدها عند حبشوش، وحتى يوم الناس هذا. ويهمنا ثالثاً استخلاص العبرة النموذجية لمصداقية البحث؛ فمن جهة يقف عالم متمكن ومتخصص ومدرب على البحث، إلا أنه غريب عن المجتمع وروحه، ومن الطرف الآخر رصد لشخص بسيط لايعرف ماهو البحث، إلا أنه من بين أفراد المجتمع وقريب من روحه؛ يوسف هاليفي العالم اليهودي، منتدب الغرب الثقافي، وتابعه حاييم حبشوش اليهودي الصنعاني. فأي عجب، وأي إعجاب تكشفه لنا صفحاتهما! وأي دهشة تثرينا بها البساطة المتفتحة على المباشرة الحية مع الواقع! وأي خيبة تخلفها دعوى العلمنة المسخرة لتزييف الوعي وترسيخ العداء بين الثقافات والأمم، ومن ثم تقسيمها إلى أمم راقية ومتعالية وأخرى منحطة ودونية!. وكل ذلك يقدمه اثنان من اليهود؛ أحدهما يكتب بحسب قناعة تخدم المهمة.. والآخر يكتب مايجده أمامه بحدس المواطن الوارث والمعايش (حاييم يحي سالم حبشوش) الذي تحدث عن المعلم (يوسف هاليفي) القادم إلى اليمن باسمه المستعار (يزيد لبيب عاطف) ويصفه بـ(كاشف ضلال فكري) وقد خاب ظن التلميذ بوعود أستاذه التي جددت حلم الخلاص من الشدائد التي ينثرها حاخامات اليهود بين أتباعهم.. ويربطونهم بالوعد إليهم (وسوف نعود لتوضيح طبيعة العلاقة بين جماعات التلمود، والرعايا من اليهود).

وحين يأتي جلاسر النمساوي إلى اليمن، يطلب إلى حبشوش وصف رحلته مع هاليفي بعد أن استمع إلى فصاحة لغته وأنه يكتب بلهجته الصنعانية الدارجة.. ثم ينقله بالحرف العبري والعكس، أسوة بالقدماء من اليهود.

ويعيد حبشوش وصف رحلته بحذافيرها (حتى التفاصيل يتذكرها بدقة وتواضع ويتحدث عن معلمه هاليفي بلهجة تبجيلية كما لو كان بجانبه) ونكتشف غزارة في المعرفة للأماكن وللناس وأحوالهم.. بل نجد تفوقاً على مواطنين «يقولوا قبور القرامطة

من غير مايعرفوا لفظة قرامطة ماهي» ثم يتحدث عن المجازفة بمرافقة الأغراب من اليهود.. ومايتعرض له يهود اليمن من سجن وغرامات.. بسبب ذلك كما تعرض هو شخصياً لقاء تعاونه مع أحد اليهود العراقيين.

ماذا يقول هاليفي. بالمقابل؟ إنه لايتورع من اللحظة الأولى عن الادعاء لدور البطولة ومجازفته بالدخول إلى المناطق المتوحشة التي لم تطأها قدم أوروبي. ومن البداية لايتحدث بحس اليهودي العادي. وإنما هو يتصنع لهجة الأوربي الآري، وبنفس الوقت الذي يتوقع القارئ اهتماماً برصد الحياة العامة وأساليب المعيشة بين الناس، بحس العالم النهم إلى المعرفة.. وبحكم ازدهار البحوث الدراسية بالجامعات الأوروبية والمعاهد البحثية المتخصصة، فإن هاليفي الذي تكبد مصاعب الرحلة الطويلة لايهتم إلا بنفسه.. يقضي معظم أوقاته في ملجئه الآمن، ويترك كل متاعب البحث ونقل النقوش إلى تابعه حاييم حبشوش، الذي ترتقي همته وتغامر ليلاً ونهاراً لتنفيذ تعليمات معلمه، وبنفس الوقت يرصد عادات الناس وتقاليدهم ماالذي تلتقي عنده القبائل وما الذي تختلف عليه، ثم يعلق على الجامع المشترك بين المواطنين من مسلمين ويهود، ويشير إلى الاختلاف المرتبط بطبيعة الطقوس العبادية وغالباً مايهمل اختلاف الفرقة المصطنعة من قبل الدولة.. أو بعض ممثليها.

وحين يخفق هاليفي في الحصول على وثائق بعينها، فإنه ينفي ضآلة النصوص الموثوق بها ويسحب أمله على الفينقيين كشعب جاب العالم بتجارته وأتاح للمؤرخين أن يتعرفوا عليه.، ولم يحل إلى حضارة بين النهرين التي كانت على صلة أقوى بالحضارة اليمنية التي جاء للكشف عن وثائقها.

في تقريره أيضاً يتضح اهتمامه بالفكر السامي ويؤكد أن اليمن وحدها تستطيع أن تقدم صورة نقية عن الفكر السياسي السامي باعتبار أن السبئيين كانوا منعزلين ولم يقعوا تحت أي احتلال أجنبي فالهجمة الرومانية قد أخفقت بسرعة.

وقد تمت رحلة هاليفي إلى اليمن أثناء الإعداد للمؤتمر الصهيوني العالمي بزعامة هرتزل؛ ذلك المؤتمر الذي انعقد في بازل عام ١٨٩١ وبالتالي فقد كان البحث عن فكر سياسي سامي نقي، هوكنز الصهيونية الضائع وهو دعواها وادعاؤها. ومن هنا يتضح

أن مهمة هاليفي كانت صهيونية إن لم تكن أوروبية استعمارية ولانشك لحظة واحدة أن هناك تقريرين قد وضعهما هاليفي؛ أحدهما هو تقريره الذي قدمه في باريس والمنشور هنا، والثاني هو التقرير السري الذي قدمه للحركة الصهيونية التي لم تكن قد أعلنت عن نفسها ..بعد.

إن حديث هاليفي عن وضع اليهود اليمنيين يكاد يختفي تماماً رغم أنه حصل على توصية من تجار ووجهاء اليهود بعدن.. إلى من لايذكرهم، وبصنعاء ينام شهراً كاملاً علي الفراش مصاباً بالحمى. ويمضي هاليفي يصف رحلته دون أي ذكرلرفيقه حبشوش ولما تأتي مناسبة للحديث عنه يشير إليه كيهودي مهووس، رافقه بغرض البحث عن قبور أجداد له سكنوا الجوف.. أما عن أوجاع هاليفي وأمراضه ومخاوفه فهو مايزحم صفحات الرحلة.

لقد بان لي من معاملة هاليفي الجافة والخشنة مع حبشوش مشاعر الازدراء الكامنة في أعماق هاليفي الموروثة كتراث صهيوني تجاه الفئات اليهودية المشكوك بنسبها التاريخي إلى الأرومة اليهودية الأولى. ويتأكد لنا هذا بكون اليمنيين الذين دانوا باليهودية.. هم أصلاً من اليمن. أما معشر الحاخامات والمعلمين – فلا شك أنهم من الوافدين كرسل ودعاة كأفراد معدودين. وإلا فكيف تهملهم حركة النصارى النجرانيين.. ولاتشير إلى ورودهم الجماعي إلى أرض اليمن الذي كان يأخذ حينذاك طابع الغزو أو طابع (داعي اللجوء الكبير) الذي يستلزم وجود هيئة يمنية ذات نفوذ ما.. تهيئ المجتمع والمكان لاستيعابهم أو توزيعهم.

وذلك كله لم يرد جملة ولا كلمة بين سطور التاريخ اليمني المنقوش أو ذلك المكتوب من أنصار اليهود.. أو أنصار كنيسة نجران. وطوال الرحلة لم يثق هاليفي بإبداع ماحصل عليه بمعية حبشوش مما دفع بهذا إلى شيء من المكر.. والتخابث. وقد تعامل هاليفي مع حبشوش بحس البارون الأرستقراطي.. مع خادمه المطيع.

رؤيـــا اليمـــن

تصنيف المترجي لكرم الله
حييم (بن) يحيا (بن) سالم الفُتيحي حبشوش
١٣١١هـ - ١٨٩٣م

نقلته إلى العربية وحققته

سامية نعيم صنبر

تقديم النص

بقلم : سامية نعيم صنبر

بعد مرور ثلاث وعشرين سنة على رحلة جوزيف هاليفي في ١٨٧٠ إلى اليمن ، كتب دليله وترجمانه في البلاد ، حاييم حبشوش ، رؤيته الشخصية لهذه الرحلة . وعلى الرغم من كل هذه المسافة الزمنية الفاصلة ، فان حكايته تظل مدهشة بوفرة تفاصيلها وقوة التشخيصات . وهي تلتقي من هذه الناحية مع يوميّات الرحلات التي تُروى فيها الوقـائع يوماً بيوم ، مع ان حاييم حبشـوش ، على ما يرويـه س . د. غويتاين ، لم يقم يومذاك بتدوين ملحوظاته .

ومن ناحية أخرى ، وخلافاً لما نرى عادة في يوميات الرحلات ، فان حاييم حبشوش ينظر الى الأحداث التي عاشها والشخوص الذين قابلهم من "على مسافة" إذا جاز القول . هذا "البُعْد" الذي لا تكفي لتفسيره شخصية الرجل وحدها ، وهو الذي كان بالغ الانفتاح وكثير حبّ الاستطلاع ، ربما كان عائداً الى الفسحة الزمنية الفاصلة بين الرحلة والعرض المقدّم عنها . ولكنّنا نعتقد أن هذا متأتٍّ بخاصة ، من كون حبشوش لا يكتب لنفسه . بل هو أبداً لا يغيب عن باله قارئه الممكن ، حتى إذا لم يكن هذا القارئ سوى ادوارد غلازير ، الرحّالة النمساوي ، الذي وضع حبشوش حكايته بطلب منه .

يكتب حاييم حبشوش من أجل "الآخر" . آخر يتوّجه هو له على امتداد حكايته : "وأنت يا عزيزي قاري كتابي" ، أو "يا أيها الناظر ..." فهو بالغ الحرص على أن يقوده عبر متاهات استطراداته : "ونرجع الى ما نحن فيه" ؛ "آخر" هو مهموم به

باستمرار ؛ ومعنيّ بأن يترجم له المفردات التي يعدّها مفرطة المحلية أو اليمَنيّة ، الى مفردات يراها أكثر شيوعاً .

ولا شكّ ان الراوي معنيّ بحكم قارئه المحتمل أيضاً عندما يندهش ويتظلّم بصورة مشهدية من بعض الطبائع أو التشريعات العُرفية . كأنه يريد أن يستبق التساؤل أو الاستغراب الذي يمكن أن يتولد لدى قارئ أجنبي أمام بعض الممارسات الشائعة في البلاد . فتراه يعقّب على الوقائع ، ويحللها ، وهو يقوم بذلك أحيانا متيمّناً بالماضي، مضيفاً وجهة نظره الشخصية ، وفي أحيان أخرى يموقع نفسه، شأن عالم الأعراق (الأتنولوغ) في منظور مقارن وتقابُليّ ، ويضع شعائر وتقاليد عائدة الى مناطق من اليمن مختلفة بعضها بموازاة بعض .

في سرده حكاية رحلته نفسه ، يقوم حبشوش بعمل راوٍ . يتخذ ، منذ السطور الأولى، مسافةً إزاء نفسه ويتقدّم عبر ضمير الشخص الثالث (الغائب) " قال المرتحل في نواحي بلاده حييم بن يحيا بن سالم الفتيحي الملقب حبشوش" . راوٍ يعرف أن يشوّق جمهوره ، ويثير أحاسيس الخوف والرأفة لديه ، ويبقي عليه في مقام الانتظار قبل أن يقدم له حلّ اللغز (القطع من 164 الى 177) . وهو يمارس علاوة على ذلك، الدعابة والسخرية ، وذلك ، أولاً ، بإزاء نفسه بالذات . يرسم نفسه كما هو في نظر مطارديه ، مغطّى بشعر مسخيّ ، شاكراً الله إذْ مكّنه من أن يفلت على هذه الشاكلة من قبضة القبائل العدوّة التي كانت ستحسبه من الجن (ق 117- 118 و 132- 133).

يعرف حبشوش أن يسخر من نفسه ، وهذا ممّا يضمن له تسامح القارئ عندما يتوجه الى جوزيف هاليفي بالنقد مُعيباً عليه افتقاره الى الشجاعة ، وعدم احساسه أحياناً بالخطر ، أو يلومه على التعالي والارتياب الذي يمكن أن يشي به

موقف الأخير منه . عندما يتحدث حبشوش عن هاليفي ، فاننا يتملكنا حقاً الانطباع بأن الراوي يختفي وراء الرجل وأنه يتحدث هنا بضمير الشخص الأول (المتكلّم) . ذلك أن حبشوش ليس خالياً من بعض الامتعاض بإزاء هاليفي الذي يدعوه هو من ناحية أخرى سيّدي ومولاي" و "منير عقلي منبّه غفلتي" . من قبل ، في مقدمته ، ينحو حبشوش على هاليفي باللائمة لأنه لم يبعث بأخباره أبداً ، منذ رحيله ، على الرغم من رسالته المفتوحة التي وجّهها له على صفحات جريدة "ها اور". رسالة لم يتمكن غويتاين من العثور عليها في الجريدة المذكورة . رسالة ربّما لم توجد أبداً ، ولكنه يستخدمها ليعبّر عن خيبته .

ثمّة في هذه الحكاية لحظات كشف كبيرة نرى فيها الى حبشوش ، وهو يتخذ ، من دون أن يفقد حسّ الدعابة ، من القارىء شاهداً ، كما يفعل الراوي مع جمهوره ، ليدين علاقةً ، ألا وهي علاقة العالم الأجنبي بالدليل المحلّي الذي تقع عليه غالباً المهام الشاقة والصعبة . هذا ، على الأقل ، ما يقوله هو ، لا عن مبالغة بالطبع ، وانما بموهبة وسخريةتجاه نفسه يجعلانه يحظى بتأييدنا .

وتبرز موهبة حبشوش كراوي من خلال اعتماده على الأسلوب المباشر طارة والأسلوب الغير مباشر طارة أخرى . فهو يجعل الأسلوب المباشر وغير المباشر يتعاقبان بسيولة ويسمح أحياناً للشخصيات بأن تعبّر عن نفسها بلهجتها المحلية. وانّ بعض المقاطع لمخترقة بِنَفَس غِنائي ، وتمتاز بالبحث عن القافية والجناس (ق 72- 78) وتشهد مقاطع أخرى عن همّ أدبيّ فعليّ يشفّ عنه نوع من "التصحيح الخاطئ . كأنه يريد بذلك أن يقدم ثناء للقدامى الذين كانت لسانهم في اللغتين (العبرية والعربية) فصيحة" (ق 41) . إذا كان لا يفلح في ذلك ، فإن أهمية لغته تظل مع ذلك ماثلة في احتفاظها بأثر قويّ من لهجة صنعاء ، أي بنوع من الشفاهيّة .

هذا كله يجعل من هذه الحكاية وثيقة تسمح باستثمار لغويّ متعدّد ، سواء أكان ذلك على صعيد الألفاظ أو الصرف أو البناء أو من وجهة نظر كتابتها . امتثالاً لطلب الناشر، لن نعنى في هذا التقديم الاّ بهذا الجانب الأخير . على أننا نودّ تذكير القارئ بأنّ من المناسب قراءة النص بالتحرّر من معايير اللغة المكتوبة . هكذا يقدر أن يثمّن روعتها .

حول المخطوطة الأصلية :

عندما شرع حبشوش بكتابة حكايته بطلب من إ . غلازير ، بدأ ذلك بالعبرية . بعد كتابة بضع صفحات ، طلب غلازير إليه أن يواصل بالعربية ، بلهجة أبناء ديانته في صنعاء . ففعل ذلك مستعيناً بالأبجدية العبرية مثلما كان شائعاً في القرون الماضية لدى اليهود الناطقين بالعربية . وهكذا ، فان الحكاية ، في صيغتها الأصلية ، مكتوبة بكاملها بالحروف العبرية ، مع كونها مؤلفة باللغتين ، العبرية والعربية .
توجد من هذا النصّ الأصليّ أربع مخطوطات اكتشفها ودرسها س . د . غويتاين، منها نسخة غلازير وهي الأكثر كمالاً بين الأربع ، وقد خصّها غويتاين بطبعتين . تعود الأولى الى ١٩٣٩ وتضمّ القطع الأربعين الأولى المحرّرة بالعبرية . أما الثانية ، الصادرة في ١٩٤١ فتضم ١٩٢ قطعة يتشكّل منها القسم المحرّر بالعربية . وهكذا فان طبعة ١٩٣٩ لا تهم سوى القرّاء الناطقين بالعبرية وحدها . أما طبعة ١٩٤١ ، فتتوجه بطبيعتها الى جمهور مزدوج اللسان قادر على استعمال العربية والعبرية معاً، أو على الأقل ، القراء القادرين على أن يحوّلوا فورياً ، عند القراءة ، الحروف العبرية الى ما يقابلها في الأبجدية العربية .

لإزالة هذه الصعوبة وإحالة الحكاية قابلة للتداول من قبل كل ناطق بالعربية ، كان ضرورياً أن نردّ الى العربية نظام الكتابة العبرية المتبنى فيها . قمنا بهذا معتمدين طبعة غويتاين الصادرة في ١٩٤١ ، التي تضم ، كما أشرنا اليه أعلاه ، القسم العربيّ من المخطوطة الذي جاءت لتتمّمه تسع صفحات أرسلها الى غويتاين في ١٩٣٨ ، حاخام صنعاء الكبير الذي كان هو نفسه من وضع نسخة غلازير .
على هذا النحو ، تكون الحكاية كاملة تقريباً ، اذ تنقصها سبع قطع لم يُعثَر عليها . سينتبه القارئ الى هذا عبر تسلسل القطع (226-234) . كما وسيجد القارئ في الصفحات الأخيرة من هذه الطبعة مقطعين مجتزأين من المخطوطات الثلاث الأخرى، ألحقهما غويتاين بطبعته الصادرة في ١٩٤١ ، لأنهما كانا غائبين في مخطوطة غلازير .

عن نسق الكتابة المتبنى لدى حاييم حبشوش :

لجأ حبشوش ، لكتابة العربية ، الى الأبجدية العبرية مستخدما علامات مساعِدة (أو حركات) يضعها فوق الحروف العبرية ، مقلداً في الغالب الحروف المعنيّة في العربية. وهذه الحركات موضوعة بصورة صحيحة على امتداد النص كما يلاحظه س. د. غويتاين مما ينمّ عن مجهود متواصل ان لم نقل عن ممارسة طويلة لدى المؤلف . نقدم فيما يلي لائحة ببعض أخطاء طبعة س. د. غويتاين(١٩٤١). لا بد أنها أخطاء مطبعيةولكنها ترشد الى نسق الكتابة المتبنى لدى حاييم حبشوش. إن معظم هذه الأخطاء ناتجة عن نسيان حركة أو إضافة خاطئة لها أو تبديل مكانها في كلمة معينة والإحالات التي يجدها القارئ بين قوسين، بعد الأمثلة ، تحيل الى رقم القطعة المعنية ، يتبعه رقم السطر الوارد فيه المثال ، وذلك انطلاقاً من بداية القطعة .

* "التاء" و الثاء" مميزان بإضافة نقطة أعلى الحرف الذي يقابل التاء (أما "التاء في العبرية فلا تحمل فيها نقطة) . ويختلط الحرفان في الكلمات التالية : أكترهم مقابل أكثرهم (42 ,6) ؛ نعث مقابل نعت (75 ,14) ؛ حيت مقابل حيث (87 ,14) متل مقابل مثل (123 ,1) .

لما كان نظام الأحرف (التي تُنطَق) بين الأسنان سائدا في لهجات صنعاء ، فإن وضع "التاء" محل "الثاء" لا يمكن أن يُعْزى الى تأثير للّهجة مثلما هو سائر في بعض اللهجات العربية .

*"الغين" و "الجيم" مميّزان بإضافة نقطة أعلى "الجيم" (لا تحمل "الجيم" أية نقطة) . ويختلط الحرفان في الكلمات التالية : جير مقابل غير (42 ,4) ؛ الجنا مقابل الغنا (67 ,8) ؛ أشجال مقابل أشغال (177 ,2) .

* "الكاف" و الخاء" مميزان بوضع نقطة على الحرف المقابل لـ "الكاف" . ويختلط هذان الحرفان في الكلمات التالية : اكر مقابل آخر (55 ,13) ؛ هخذا مقابل هكذا (66 ,11) ؛ السملوخ مقابل السملوك (153 ,2) ؛ كربة مقابل خربة (9,217) ثم ان نقل النقطة المميزة لحرف "الخاء" الى الحرف الذي يسبقها في الكلمة نفسها يمنح صيغاً بلا معنى : الذكول مقابل الدخول (57 ,4)؛ اخكرة مقابل ابخرة (77 ,4) ذكل مقابل دخل (121 ,7)

* "الدال" و "الذال" مميزان بوضع نقطة أعلى "الدال".

ويختلط الحرفان في الكلمات التالية : الأستاد مقابل الأستاذ (12,45) ؛ دكرناه مقابل ذكرناه (11,238) .

* "الصاد" و "والضاد" مميزان بوضع نقطة على الحرف المقابل "للصاد" .
ويختلط هذان الحرفان في الكلمات التالية : ايصاً مقابل ايضاً (12,71) ؛ حصر مقابل حضر (3,171) .
وينبغي أن نضيف الأخطاء الناتجة عن قلب تسلسل الحروف أو عن إبدالها : دق مقابل قد ((3, 65) ؛ برايل مقابل بريال (2, 68)؛ بحبس مقابل بحسب (7, 120) ؛ الخيلفة مقابل الخليفة (5,94) ؛ وافر مقابل وافد (1,47)؛ عقيدح مقابل عقيدة (13,81) ؛ أدمهيل مقابل المهيل (10,238)؛

مسائل الإملاء

يتميّز إملاء النص بأخطاء كثيرة تعكس من جهة ، عدم إحاطة الكاتب بقواعد الإملاء ، ومن جهة ثانية تأثير اللهجة المحلية . نجمع في ما بعد مسائل الإملاء في ارتباطها باللهجة:

١- غياب شبه متواصل لإسقاط الألف في أداة التعريف "أل" المسبوقة بحرف الجر "لام" : لالمهدي (مقابل : للمهدي) ؛ لالدخول (مقابل : للدخول) ؛ لالاستاذ (مقابل: للاستاذ).

٢- غياب كامل لألف الوقاية : تبعو ، قالو ، جمعو ...

٣- الألف المقصورة مكتوبة بانتظام تقريباً ، على هيئة "ياء" : حتي ، موتي ، معني ؛ علي والي عندما تتبعهما "ياء" المتكلم فإنهما تصبحان "عليا" (9, 132; 2, 103; 14, 53) و "اليا" (7, 132) .

لما كانت الكتابة العبرية لا تمنح أي معادل للألف المقصورة ، فيمكن أن نعزو هذا الى نظام الكتابة . ولكن بعض الصيغ تحمل ، خطأً ، الألف محل الألف المقصورة: أعطا (42 ,8) ؛ يسما (68 ,4) ؛ بقا (59 ,2)... وهناك مفردات مكتوبة بإملائين مختلفين : حتا وحتي (44 ,8) ؛ جرا و جري (المقدمة 14) ؛ راا و راي (100 ,4) ؛ مضا و مضي (124 ,12) ؛ الا و الي (239 ,5) .

٤- تحل "الهاء" محل الألف في أداة الاستفهام "ما" ، في حالات معدودة : "لفظة قرامطة مه هي" ، (42 ,4) ، وبالنتيجة ففي "لِمَ" (مع "ما" الانضوائية) : "وله تحرم نفسك" (121 ,13) ؛ والشيء نفسه بالنسبة للضمير التنكيريّ : "ومنه مه يهرب" ؛ (45 ,7) والظرف "لمّا" : "لمه نظرت" (117 ,8) .

٥- أداة النفي "لا" مكتوبة مرتين مع "هاء" : "فله للمضروب" (67 ,2) ؛ "وله حجه "(142 ,2) .

<u>تأثير اللهجة :</u>

٦- "الضاد" و"الظاء" يكتبان بالرجوع الى علامتين مختلفتين . ولكن في اللهجة المحلية يُخلط بين هذين الحرفين لصالح الحرف المنطوق بين الأسنان . هكذا نجد عدداً وافراً من الكلمات التي يدفع فيها "التصحيح الخاطئ " الى إحلال "الضاد" محلّ "الظاء" : ضنّو (المقدمة 6) ؛ مضلم (78 ,9) ؛ نضرته (80 ,1) ؛ منتضرين (124 ,12) لفض (157 ,13) .

٧- على امتداد النص كله ، لا نقابل سوى ستة مواضع ترد فيها الهمزة : اباؤنا (12, 74) ؛ رُئيسا (14, 87) مائين (10, 95) ؛ هيئة (13, 131) هيئيه (8, 189) ؛ مسائيل (3, 204) .

* في رُئيسا (جمع رئيس) ، يكون حامل الهمزة "ياء" (مع نقطتين ، ما دام ليس ثمّة في نظام الكتابة (العبرية) معادل للهمزة على "الكرسي") كما في صيغة المفرد ("رئيس") . ثم ان غياب الهمزة النهائية مطابق للمعالجة التي تلقاها في هذا المقام في اللهجة وفي مجموع النص.

* المفردة "هيئة" مكتوبة بإملائين مختلفين أحدهما يغفل "كرسي" الهمزة .

* نجد ، مقابل مثنى المائة ، مائين ، صيغة المفرد ماه .

خارج هذه المفردات الست ، لا تكتب الهمزة أبداً . يمثلها داخل الكلمة ، الف أو واو أو ياء . أما في نهاية الكلمة فتسقط : اسمايهم (41 ,14) قـايلين (7,132) فـاد (78 ,4) ؛ سُالي (69 ,6) ؛ الـرويا (91 ,10) بـاس (89 ,5) ؛ الما (9,44) ؛ شي (47 ,4) الجز (102 ,3) ؛ انشـي اللـه (218 ,11)... نشير أيضا الى للا مقابل لئلا مثلما هي مستخدمة في اللهجة عادة .

٨- التاء المربوطة مكتوبة هاءً محركة وبحسب كون المفردة المتضمنة التاء المربوطة وردت في السكتة أم لا ، تكون "التاء" ممثلة في "هاء" بسيطة أو محرّكة. وإذاً فالإملاء هنا صوتيّ : باب القريه (55 ,12) ؛ بسياسة القبايل (55 ,7) . ولكن يحدث أيضاً أن تكتب التاء المربوطة تاءً طويلة خارج السكتة : سعادت الداعي (5,49) .

* يمسّ الخلط بين التائين المربوطة والطويلة أحياناً تاء الفعل وتاء الجمع : الأحوال كانة (المقدمة 5) ؛ غابة الشمس (52 ,11) ؛ تعاونة جميع القبايل (8, 180) ؛ اثاراة (111 ,8) ؛ والأخيرة هي في العاميّة مقابل الجمع "آثار" .

٩- بالتطابق مع اللهجة ، نجد الواو في ختام الفعل المجموع للمخاطب ، في الماضي والمضارع : أشعلتو (53 ,9) ؛ تريدو (222 ,12) ؛ عملتو (12, 222) يدورو (8, 234) .
الشيء نفسه لضمير الشخص الثاني (المخاطب) المذكّر المجموع: أنتو (5,235).

١٠- الضمير المتصل للمفرد المؤنّث المخاطب يمثله في لهجة صنعاءالصوت"ش" ، وهذا ما يرد في النص ثلاث مرات : أطغاش ، أبو ش ، امش (9, 168) .

١١- ضمير الغائب المذكّر المفرد مكتوب بصورة صحيحة عموماً : هو . ولكن، بفعل "خذلقة" ،نجد ايضاً هذا الضمير مكتوباً بإضافة معتل قصير (آ) ، يُبرز الواو : هوا (5, 64 ; 8, 72 ; 12, 79) .

١٢- على النحو ذاته ، تعبّر الألف" بصورة متواترة عن الفتحة في الظرف "مع" : معا (5, 50) ; (4, 57) ; (2, 80)...
* كما ونقابل مقطعاً تعبّر فيه الألف ، لحاجات السجع ، عن التاء المربوطة لدى السكتة من جهة ، وعن الفتحة من جهة ثانية : "بنو فيها المدن والقصورا وكانت القبايل فيها منصورا" (8, 77) ؛ "حتى صارة البلاد خاويا وخاليا ، ومن جوارها وادي سبا فهي عاليا" (6, 77) .

١٣- تعبّر الواو نادراً عن الضمّة : ياخنو (45 ,3) مقابل ياخذ ؛ ليبيعوه (9,115) مقابل ليبيعه ؛ لينتولو (136 ,7) مقابل لينتلو ؛ بوقش (205 ,10) مقابل بقش .

١٤- تعبّر الياء "عن الكسرة في" مفردة واحدة : ملابيس (4,60 ; 108 ,12) في حين يتمثل الجمع في العامية في "ألبسة" .

١٥- ليس النص ، عموماً بالمصوّت (المحرّك إعرابياً) ، ولكن هناك ما معدّله تصويتان في كل قطعة . وليس هذا التصويت ضرورياً دائماً ، ونحن يتولّد لدينا الانطباع بأنه مليّ بحاجة للزينة أكثر مما بمحاولة إنتاج كتابة محرّكة . مع ذلك تثبت الحركات الاعرابية فائدتها في الحالات التالية :

- عندما تميّز كلمة صوتية أو مفردة نادرة ، يمنية على نحو مخصوص ، فتحدّد هي لفظها المعتاد : وُب (136 ,11) للهتاف التعجّبي ؛ العُبب (44 ,10) وهي نبتة طبّية ؛ القُراش (125 ,8) ، وهو الماشية ، الخُلب (155 ,11) ، وهو مزيج من الماء والطين ؛ كُبانه (162 ,3) وهو طبخة من دقيق الذرة والماء والدهن والبيض .

- عندما تدل على تصويت عاميّ : وصُل (96 ,8) ؛ عُضام (216 ,2) ؛ القمُل (159 ,12) ؛ زوّته (163 ,1) ؛ قُرُب (176 ,7) .

- عندمـا تشخص حركات أفعال مبنيّة للمجهول : سُلبة (المقدمة 6)؛ نُحس (95 ,5) ؛ يُقرد (110 ,13) ؛ سُرق (120 ,8) ؛ غُلب (142 ,8) .

ولكن في بعض الحالات لا تمتثل الحركات الإعرابية أو التصويتات لا المعيار النحويّ ولا للهجة . وفي حالات أخرى تعوّض ، كما أشرنا إليه ، نقصاً للهمزة :

سألي (69 ,6) ؛ رئيسا (87 ,14) ؛ يُوخرينه (207 ,5) .

١٦- شأن التضعيف هنا شأن التصويت : فليست كتابة "الشدّة" منتظمة ولا متماسكة دائماً . هكذا يمكن الا تحمل كلمةُ الشدّة إلاّ في إحدى مرّات ورودها . مع هذا ، فإن حضور الشدّة نافع جداً عندما يتعلق الأمر بمفردة مخصوصة ، وذلك خصوصاً في الأفعال المشتقة من الأسماء : يهرّي (62 ,3) وتعني : التحريض ؛ الحلاّل (67 ,13) وتعني : قصبة ؛ المنوّب (68 ,14) وهو الشخص الذي يقطّع اللحم الى حصص ؛ يروّحون (69 ,9) وتعني : فعل الحصاد ؛ ليحوتو (72 ,4) وتعني: الصيد؛ نـدرّج (147 ,5) وتعني : فعل السير ؛ يحدّه (154 ,12) وتعني : على الأكثر ؛ يوخّزوه (146 ,5) وتعني : فعل الدقّ أو الطَرْق ؛ حوّشنا (162 ,4) وتعني : الاجتماع جالسين في حلقة ؛ قرّبين (164 ,8) وتعني : تقديم المائدة ؛ مسبّ (179 ,4) وتعني : جراباً من جلد الخراف المدبوغ ؛ حلاّ (205 ,7) وتعني : الصائغ .
* نلاحظ حالة واحدة للتضعيف معبّراً عنها بتكرار الياء : محييرين (51 ,3) .

١٧- كما ونجد صيغاً تشكل في اللهجة المحلية عبارات مسكوكة وثابتة وهي تصاغ لدى الكتابة في صيغ مدغمة : يحريمالدك (104 ,8) ، وهي إدغام "يحريم والدك" ؛ لعلباك (117 ,5) وهي إدغام "لعن الله أباك" .

١٨- يحدث أن تترك عناصر صوتية خاصة بالمحلية دمغتها على إحدى أشكال ورود لفظة : حزّه (108 ,8) مقابل حجزه ، وقد حدثت هنا مماثلة ؛ باروت (153 ,2) مقابل بارود ، وقد حدث هنا إسكات للدال ؛ طحُس (137 ,7) مقابل دحص ، وقد حدث هنا اسكات و نقل للتفخيم ؛ غصيبه (219 ,6) مقابل

خصيبه، وقد حدث هنا تجهير ؛ يقطلون (2, 217) مقابل يقتلون ، وقد حدث هنا تفخيم ؛ صدرين (8, 216) مقابل سطرين ، وقد حدث هنا تجهير ونقل للتفخيم .

– المفردة قرش مكتوبة مرة واحدة على هيئة غرش (6, 123) .

نذكّر من هذه الناحية ، بأنه في اللهجة المحلية في صنعاء تُصَوّت "القاف" على هيئة "كاف" ، وان هذه الصواتة لا تتمتع بتنويعة على هيئة "الغين" كما في مناطق أخرى من اليمن ، في "العُدين" و "جبل وصاب" مثلاً .

* نشير أيضاً الى مفردتين حدث فيهما قلب مكاني شائع في العامية : العرقب بدل "العقرب" (8, 204) ، ومداسع بدل "مداعس" (8, 119) .

حول الطبعة الحالية :

أُدخلت في الطبعة الحالية تعديلات على النص الأصلي . على أنها لا تمسّ سوى أشكال الكتابة التي من شأنها أن تعيق القراءة . صحيح أن حكاية حبشوش ، في صيغها البنائية الخاصة وصرفها وإملائها نفسهما ، تشكّل ، كما أشرنا إليه أعلاه ، وثيقة هامة للبحث اللغويّ ، وكان من الضروري تقديمها كما هي . مع ذلك ، كان علينا امتثالاً للأولويات التي حددها الناشر أن نتدخل في النص لنزيل بعض مصادر اللبس الإملائية وإحالة القراءة ميسورة أكثر للجمهور العريض الموجّهة له الحكاية .

هذه أخيراً لائحة بالتعديلات التي أجريناها ، ولعلّ من شأنها أن تتيح للقارئ الراغب أن يعيد تركيب النص الأصلي منطلقاً من الملاحظات المقدّمة أعلاه ،

ومتبنياً مسيرة معاكسة لمسيرتنا .

روجعت إذن :

- الأسئلة المطروحة في الأرقام ١، ٢، ٥، ١١، ١٢ .
- مسألة كتابة الألف المقصورة باملائين مختلفين عندما يشكل أحدهما عائقاً أو مصدر لبس في القراءة : راا ؛ الا ؛ عليا ؛ إليا (راجع المسألة الحاملة رقم ٣) .
- إملاء "ما" و "لما" المشار اليه في الرقم ٤ .
- حالات الخلط بين التاء المربوطة والطويلة (راجع رقم ٨) .
- لقيت المسألة رقم ٩ معالجة خاصة ، فلم تُصَحَّح الخاتمة ("و") المغلوطة للأفعال المشار اليها وذلك بهدف الحفاظ على خصوصيات اللهجة ؛ مع هذا أضفنا الى هذه الصيغ "ألف الوقاية" ، المغلوطة هنا نوعاً ما ، ولكن التي بدا لنا حضورها ضرورياً لتعيين الكلمة من جهة ، ولتشخيص اللفظ المجموع من جهة ثانية .
- في المسألة رقم ١٣ ، صحّحنا ياخذو وليبيعوه وحدهما ، لتفادي الخلط بين المفرد والجمع ، خلط مبعثه وضع "واو" مقابل الضمّة .

الى هذا ، أدخلنا إضافتين ، تخص احداهما اسم الوصل "الذي" ، المكتوب مرّتين على هيئة ذي (77 ,13 ;101 ,3) ، على نحو مانجده في الهضاب الجنوبية وفي جنوب–شرقي اليمن ؛ والثانية كلمة "الخوف" ، وكانت مكتوبة على هيئة لخوف (4, 55).

وسيجد القارئ في متن النص مفردات وجملاً مكتوبة بالعبرية ، ليست بذات بال بالقياس الى مجموع الحكاية ، ولما يحدث عموماً في هذا النوع من الوثائق المدعوّة "باليهودية–العربية" . غالباً ما يقدم حبشوش بنفسه ترجمة هذه المفردات .

عندما لا يقوم بذلك ، نقترح نحن ترجمة لها في الهوامش ، أسفل الصفحة .

أودّ في الختام أن أعرب عن شكري لجميع الباحثين والعاملين في "مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ" ، للاستقبال والعون اللذين قدّماهما لي في زياراتي المتواصلة للبحث في صنعاء . وفي المقام الأول الأستاذ عبد العزيز المقالح ، مدير المركز ورئيس جامعة صنعاء . فما كان لهذا العمل أن يكتمل لولا مؤازرته . كما وأشكر الأستاذ يحيى علي الإرياني ، نائب مدير المركز وكذلك السيدتين بلقيس الحضراني وصباح الإرياني . وأخص بالشكر الأستاذ عبد الرحمن الأمير ، نائب مدير المكتبة الذي مكّن هذا المشروع من أن يفيد كبير الإفادة من معرفته الممتازة بلهجات صنعاء .

سامية نعيم صنبر

المركز الوطني للبحث العلمي - باريس

المقدمه :

لما انتشر في قدس الشريف في جريدة عورك هاور في سنة תרנ"ג(١)المكتوب الى جناب سيدي ومولاي عظيم القدر رفيع الشان منير عقلي منبه غفلتي شيخ علمي كاشف حجاب ضلال فكري الاستاذ الفاضل السياح يزيد لبيب عاطف الفرنساوي (يوسف هلوي هصرفتي) الذي اشهق قلوب المساكين بوصوله لدينا في سنة ١٢٨٧ والاحوال كانت في شده مهيله يكاد النجح ، وبسبب وصوله وشغله في المباحثه سلبت عقولهم وضنّوا ان يكون لهم فرج من الشدايد مثل ساير اخوانهم ويجهد معهم باختباره بمكاتيبه عند اهل الصدقه وليس يعلموا انه لا بد قد انكرهم في قلبه فرجاهم صار خايب . فلما مضى من الزمان قدر ٢٠ سنه من بعد سفر معلمي ، بعض من اصحابي لما قطعوا رجا صدقة الشفقه من اخوانهم الذين تحت ركاب الدوله العليه وغيرهم ، فلذلك انتشر الكتاب المذكور اولا ولم ينتج منه خبر ، حتى اطلعت المكتوب على حضرة صاحبنا العزيز المكرم بعلمه واخلاقه المرضيه ، شيخ السياحه المصور المهندس الفلكي جلاسر النمساوي ، طلب مني انا المتعلم للسياحه ان احقق له كيف التوفيق وما الذي وقع معانا انا ومعلمي يزيد. فلاجل اعزازه تكلفت ان ابسط له ما الذي جرا وما الذي اتفق معانا ، ولو ان قد ذهبت أشياءكثيرة من عقلي لسبب طول المده من سفرنا . وزاد شرحت ما ينسب لي من بزد بعض الاحوال وابتدي بنضمه باللغه العبرانية واقول :

(٤١) قال المرتحل في نواحي بلاده حييم بن يحيا بن سالم الفُتيحي الملقب حبشوش . انه لما راى وسمع الاستاذ السياح جلاسر النبذه الاوله من متفقاتنا أنا ومعلمي يزيد وبعض من بزد الاحوال باللسان العبرانيه زاد في تعجّابه وقال

١- التاريخ الموافق ١٨٩٢ م

من الذي اخبرك او علمك فصاحة لسان العبرانيه وانت يمني حتى تتكلم بها غايه. فقلت الحمدالله نحن وارثين الكتب وايضا لنا جهد في بعض تفاسيرها بمعاونة اللغه العربيه التي نتصرف بها في اليمن . ولا تحسب ان نحن عاريين منها ولو اسودت القلوب وكدرت العقول فقد فينا الكفايه لنشرح بعضها من البعض من غير معلم . فقال ان كنت صادق في كلامك فانا اريد ان تؤلف باقي هذا الكتاب باللسان العربيه الذي يتصرفون بها اليهود اخوانك في صنعاءلكي يخرج فيها للمباحثين نتايج . وبعد تكمله بالعربي تعود تنقله بالعبراني ، وايضا النبذه الاوله العبراني تنقلها بالعربي لكي تتبين معرفتكم في اللغتين ويكون لكم ايضا خير. فرغبت وما خالفت لاني اراه من الناصحين وانسان مثله ما يخيب في صاحبه ولا يضيع المعروف . وانا قد عرفت ان اهلنا القدماءفي اليمن كانت لسانهم في اللغتين فصيحه ودليلي تلقيب اسمايهم في كتبهم . ويومنا هذا خالف ما كانوا متعاملين به الاوايل وايضا في كل ناحيه من اليمن مختلف اختلاف كثير . ونرجع الى ما نحن متعاملين به .

(42) اما في الحال فقد خرجنا من مقبرة الاقدمون من باب الروم وجزعنا على غربي شعوب مقدار ثنتين من الساعات لحتى وُصلنا الى الجراف . وهنالك في الطريق قبور مستنكره على قبور العرب بالكبر ونضم دكاكها واذا سالنا القبايل سكّان المحل ما هذا يقولوا قبور القرامُطه من غير ما يعرفوا لفظة قرامطه ما هي. وبعد ساعه وصلنا الى محل اخواننا الموسويين وهي المزاعقه غربي روضة بن حاتم واكترهم من الذين هربوا من شدة البواطل في صنعا . ومنهم الاستاذ العزيز يوسف بن يحيا العروسي الذي طالع اكثر عمره في الكيمياءولم يثبت له عمل ، وابنه رفيقي سعيد الذي اعطا الشمله لمعلمي يزيد لبيب عاطف الفرنساوي ليستتر بها ما دام في الغربه بين قبايل ويهود اليمن . ومن حيث وكان الاستاذ يوسف العروسي المذكور يحب ويرغب للعلم والتعليم كان من عادته يستدعي الى

بيته كل غريب على ما حصل له من العيش خصوصا اذا كان عند الغريب ايات من العلوم . فلاجل هذا اوصلت بمعلمي الى بيته وهو قد اكرم لنا بالطعام بما يقتدر عليه . واستاذي يوسف يحذرني للاحد (43) يعلم ان معلمي عنده للا يشغلوه مثل ما اتفق في قرايب وهو ان واحد غريب يهودي واسمه رُفعات (مشه) من بغداد جا الى الروضه بعد غادر الماس (يعقب سفير) الذي همّوا ليمسكوه وياخذوا ما معه وهو قد هرب ونجى . واليهود احتبسوا بسبب هربته وما خرجوا من الحبس الا بغرامه . وانا كنت في ذلك الوقت من المحبوسين بسبب يعقب سفير.

فهذا الغريب البغدادي لما وصل الى سوق الروضه فاستعلم من محل اليهود وكان في السوق واحد سيد من جوار يهود المزاعقه فقالوا للسيد اعمل ثواب ، سوق هذا اليهودي معك الى محل اليهود . فبينما هم يسيروا افتكر السيد في نفسه ان الثواب واجب له ، حيث وهو سيد والحاجه لكل شي داعيه وقد هذا رزق من الله ، فلما وصل به الى محل اليهود فمشع عليه الجنبيه واراد يقتله . فهرب اليهودي الغريب وصاح والسيد اخذ حمار اليهودي بما فوقه ودخل به الى قصبته. واولاد يهود المزاعقه ساروا الى القبايل جيرانهم يغوّروا . فاقتلبت قبايل الروضه الى المزاعقه محل اليهود لينضروا ما الذي جرا . والسيد اغلق قصبته وطلع السطح ببندقه يريد الفتنه والبغدادي يصيح ويقول اخذوا حماري وفلوسي وكتابي ، لانه يدعي انه صاحب كتاب. فناجوا السيد وقالوا له ما هذا المنكر (44) الذي فعلت في وسط المحل . فلولا كنت خارج المحل ما تكلمنا عليك بشي ، اما وسط المحل فعيب علينا ولكن سلم حق اليهودي من غير فتنه . فمد بندقه وقال اني اريد الفتنه ومن له دعوا قُرُب الى بابي ، ان الله قد رزقني الى عندي ، ومن يعترضني في رزقي . وبعد كم كلام وتعب ارجع له الحمار فقط واخذ له ما عليه .

ففي تلك الليله خرج الاستاذ يوسف ودوّر على الغريب ليضيفه ويجابره . فبينما هو يدور عليه فلذغه الثعبان في اصبع رجله فصاح صياح الموت من سُم الثعبان . فساقوه الذين حضروا الى بيته فاخذ الموس وشطط مكان اللذغه وما يليها حتى خرج الدم وقد ربطها من فوق وكان يغسلها بالما الحار ويعود ويشطط ليخرج الدم مره ثانيه ويغسل بالما الحار ، ثم ضمُط بالثوم والعُبب حتى لاطفه الله وبرى . وما زاد احتاج ان يسوقوه الى بيت السرحي الذي معاهم الفص حق لذغة الافاعي كساير الناس الذي تلذغهم الافاعي ويحملوهم الى بيت السرحي ولو كان مسير يوم فياتون بهم اليه وهو يعمل معهم ثواب ويفلّت جميع اشغاله ويجتهد في براة الملذوغ . وهذا صفة عمله : ياخذ الفص ويطرحه فوق اللذغه حق يجتذب السُم (45) اليه ويزيله بالملقاط ويطرحه في لبن البقر مراراعديده فيبرا الملذوغ من ساعتا فالملقوص جا محمول ويرجع برجليه ، وهذا صحيح مشاهد وناس كثير الذي ما ياتون بهم الى عنده يموتون . وليس ياخذ من الاجره شي الا احتساب في سبيل الله ، وليس نعلم بغير هذا الفص موجود في اليمن غير هذا المشتهر . والناس يزعمون ان الافصاص وهي الاحجار الطيبه فيها خواصات كثير مثل هذا الفص ، فمنها ما يحبس الدم من الانسان ما دام فوقه ومنها ما يحبس المني ولو جامع طول الليل ومنها ما يهرب الما وييبسه ومنها ما يجذب الما الى فوق الارض حتى يسير نهرا ومنها ما يزيل القروح من البدن اذا علقت فوق الانسان ومنها ما يزيل وجع العيون ويبريها ، ومنها ما يجلب الغنيه ومنها ما يزيد في الحسن والجاه والقبول وخواصات كثيره مفيده لا لها عدد في افواههم . وفي راي العوام ان به خواصات مفيده انفع من هذا الافصاص وهي العزايم والرقوات وايضا الدرس ومع قل صلاحهم ليس يتم منها شي . وقد توهم الاستاذ يوسف العروسي ان معلمي يزيد ليس يعدم من معرفة هذه الخواصات ولم نسمع منه شي .

(46) وانما معلمي ليس ينقص من عادة السيّاحه الذين يخبروا عند من حضرهم

كما شافوا وسمعوا في الدنيا لكي تتلين قلوب الحاضرين اليهم ، وهو قد احكا بما فيه الكفايه . ومن جملة احاديثه انه اخبر بدخوله الى الحبشه وكشفُه على اليهود السودان الذي في تلك الجهات . ومن غرايب هرجُه يقول ان اخوتنا هولا السودان قد انكروه في نسبته الى اليهود لسبب اختلاف لونه منهم وشدة بياض جسمه ، ومن حيث وهم منقطعين في ديارهم من ساير اخوانهم يزعمون ان اليهود كله سودان ويستدلون من مصحف نشيد الانشاد وهو قوله سودا انا وحسينه . ومعلمي يقول انه قد راجعهم ورد عليهم من صدر الكتاب وقال لهم انا يوسف اخيكم وقول النص ، لا تنظروا الى سوادي والشمس قد اقمتني اولاد ملتي قد ناخروني جعلوني ناظره للكروم والكرم الذي لي لا انظره . وبعد مراجعته لهم اقروا له واعترفوا به . هذا كلام السياح معلمي من غرايب الاخبار عندنا . اما بقايا تلك الليله فقد قضاها باعلام واخبار متنوعه . وايضا الاستاذ يوسف العروسي يقول ان في عمره قد وفد الى صنعا واحد غريب من يهود الحبشه (47) ولم يسمعوا منه نتيجه ، فقلت للاستاذ وكيف سياح وافد ما تسمعوا منه نتيجه. فقال نعم وما بالك باصحابنا هولا الذي في المحل هذا وهي قرية المزاعقه الذي ليس تجد احد فيهم غني لا في العقل ولا في المال سبب صنايعهم الحقيره وهو شي مقصّص ، فخار ، مخرّز ، هذا صناعة يهود الروضه ، فلسبب الفقر انطمست قلوبهم ولا لهم اقتدار على شي لا في العقل ولا في المال .

ويوم ثاني لليلتنا هذه سافرنا في قاع الاحقري على طريق قرى الرحيب . فبينما احنا نسافر ادركت في السايله التي استطرقناها اثر من اكسار حجار البلق الحميريه التي تسوقها السيول من كل غرزه فعرفت بالحقيقه ان لا بد من الكتايب الحميريه في تلك النواحي . فقلت لمعلمي انك قد انكرت غادر الماس (يعقب سفير) في قوله في صدر كتابه ان اهل اليمن سبب معاودتهم الكحل ابصارهم قويه وهم ينظرون الى بعيد بالزياده على الذين يكتحلون وهانا اقول لك ما الذي ترا في تلك

الجبال البعيده المحيطه بنا . فمد نظره وقصّر فكره وقال اني لم ارا شي الا مثل السحاب في اطراف الجو ، فقلت له الحمد (48) لله ابصارنا قويه على غيرنا كما شهد به المذكور ، وتلك العجاج التي تشوفها في اطراف الافق هي جبال ، وانا ارا فيها من البنايات الحميريه وعلى كل حال ان فيها من الكتايب التي نطلبها . فهو انكرني ولم يمد فكره لما اشعر به بمعرفتي . وبعد قليل دخلت الى قريه من تلك القرى فوجدت فيها ثلاث او اربع حجار مكتوبه ونقلتها وهن مكسرات وهولاي اول نسخه لنا في سفرنا . وفي العصر لذالك اليوم وصلنا الى قرية الصبيره وهي من قرى الرحبه ، وقد رحبوا بنا اخواننا الذين ثم بقدر حالهم ، وفي المسا خاطبتهم ان يعملوا معانا معروف ويجيبوا للحاخام مركوب فالتزم بنا ولد من صنعا وله حماره وقد استركن باجرته من اصحابه وهو يتقاضا الى يومنا هذا ولم يسلموا له شي . فساق بنا الى شراع وهي قريه من قرى بلاد ارحب وادخلنا الى الكنيس عادة اهل اليمن ، ان الغربا من اليهود يدخلوا الكنيس والغريب من المسلمين يدخلون المسجد . وناس كثير من اغنيا اليمن من اهل الصدقه يفتحون دياوين في دورهم لكل وارد وشارد من الفقرا والمساكين وصاحب الدار بنفسه يكرم بالغريب ويخدمه من جميع ما يحتاج اليه من القهوه والتتن والعيش جزاهم خير .

واما في قرية (49) شراع كان الخوف معانا كثير من شياطين ارحب وبعضهم اشد نفاق من غيرهم وقبايل ارحب معروفه عند اهل اليمن . ومن المتفقات في هاذاك العصر ان واحد نقيب من نقباهم ترصد لواحد يهودي من سكان حراز وهو من الذين انتقلوا مع بيوتهم من صنعا وقد كان مستقر ومستريح في جبل حراز بمناخه في سعادة الداعي المكرمي والي حراز . فسافر الى صنعا سبيل عادته ليقضي حوايجه وعند خروجه من صنعا من باب قاع اليهود مسكه النقيب الراصد له وساقه مربوط الى بلاد ارحب وحبسه في بيته ، ومشايخ صنعا ليس

لهم جهد ليخلصوه حيث وقد خرج من باب صنعا ومشايخ قبيلة بني الحارث الذي على طريقه لم يعترضوه . وداعيه والي حراز سبب البعد ما قدر يفك له من يده فنال كل العذاب وجلس عنده مقدار شهر ، وكل يوم يخاطبه ان يرسل الى اهله يجيبوا له فلوس وهو يطلقه ويجدد له التهديد . ولولا ام النقيب ونسوانه كان يشفقين عليه لكان قد هلك من شدة العذاب . وكان خلاصه انه هرب في بطن الليل من حبسه بعد ما غرم جمله من المال .

اما احنا فالذي نخافه ابتدينا به ووقع معانا وهو ان واحد من اولاد الزُبيري (50) المتعقل في شراع اقبل علينا الى الكنيس ليتهددنا ومرامه الفلوس . فكان جوابي له وما الذي تريد تاخد مننا واحنا غربا نطلب منك ومن غيرك الصدقه . ومن حيث ولم وجد معانا بما يتعلق به ادعا ان معلمي يزيد هو اليهودي الذي شعب الناس المسمي نفسه شُكر كحيل بدعواه انه رسول للمهدي المنتظر ، والاسلام مع اكثر اليهود ما عرفوا ما ضمير العلما الذي وضعوا هذه العقيده في كتبهم التي تسلي قلوب الحازنين لاعمارهم المضيقه ولذلك كثر شغب هذا السخيف في نواحي اليمن وهو المسمي نفسه كحيل باسم السخيف الاول الذي قتلوه في طيال بني جبر بزعمه لاهل السخف الذين حالهم في شده انه بعد كم يوم من قتله استرجع راسه الذي علقوه في صنعا في باب اليمن وردّه على حاله السابق وكان جسده معتمد ليس بمسكوب . هذه اشارة توابعه ومن ينكرهم من السخفا وقليلين العقول الذي كل ممتنع ثابت بقدرة خضاعتهم ، واما المعجزات فشي كثير في خيالهم يحدثوا بها لا حاجه لنعث الكلام الفارغ . ونرجع لغرضنا اما صاحب ارحب ابن الزبيري فقد حبس معلمي في الكنيس ولزم يهود شراع بنا لحتى يردنا ملزومين الى صنعا الى (51) طرف الامام محسن الشهاري وهو يعرف بشغلنا ، وبعض اليهود من خوفهم علينا كانوا يترجوا عنده ليطلقنا ولم يساعدهم .

فبينما احنا محييرين فاستدعيت لحرمه يهوديه لتدلني المحلات الذي فيهن مطلوبنا فاخذت خبشتها على راسها ومضت تقشوش لها حطب سبيل عادتها . وبعد ما دورت في بيوت القبايل ساقتني الى شعبه خاليه حول القريه فوجدت في اصداف الجبل قليل من الكتايب ومنها اسم مسحقم . وقباله في صدف الجبل مرتفع مقدار عشر خطا جرف منقور بيد الانسان . وبعد ما شطرت للدخول اليه وجدت على بابه كم سطور والكتابه غامظه ، ومنها قد انطمس مع مرور الزمان ولكن تبين لي انها مغاره والذي كانت مقبره اسمه ضمقال . فنقلتها وانا متعلق في الباب . اما فوق المغاره فهو جبل شامخ وفي راسه حصن خالي قديم وعليه كلام في افواه اهل المحل . وبعد رجوعي الى معلمي تبين له ان لا بد من كتايب كثير في اشقاق هذا الجبل ولكن من خوف القبايل من يتجاسر يدور عليهن . فلما اطلقنا بن الزبيري الذي كان حابس لنا ففي ذالك اليوم اجرت لي واحد يهودي وهو اشد (52) باس من اخوانه وسرح بي الى خرابه قديمه يسموها صنعا العتيق فوجدت فيها اسم سنعي بالخط الحميري وقليل مكاتيب . وزاد دورنا في عوارض الجبل مما يلي محل القبايل .

ويوم ثاني سافرنا الى بلاد نهم وكان اخوتنا قد جمعوا لنا في شراع صدقه من الشعير بحسب فقرهم قدر ثمان اقق وهو قدر نصف قدح ، فمنه اجرة اليهودي الذي جاب مركوب لمعلمي . وزاد سار معانا الى المديد وباقي الشعير سيّبته له فوصل بنا الى كنيس من كنايس نهم ولهم اربع كنايس . ومعلمي لما استقر من خوف قبايل ارحب خطر في باله اني انثني الى شراع لعل اتوجد من الكتايب . ويوم ثاني لوصولنا المديد انعطفت من غير خبير الى شراع فجزعت غير الطريق بالاعتنا حتى طلعت الجبل المذكور فوق من جهة نهم فالتهيت بما وجدت هناك من الكتايب حتى غابت الشمس وانا في الخلا فهميت بالمسير في سواد الليل الى شراع . فلما وصلت وقد الناس نايمين ضربت الباب لواحد يهودي قد كان

معروف لي . فمن خوفه من بعضهم بعض ، قال من ذا الذي يضرب لي الباب في بطن الليل وانا امن بامان الله (53) وامان جيراني . فقلت له لا باس عليك لكن افتح . فقال اني ما افتح لاحد بابي في الليل والذي له مني دعوا وطلب يجي في الصباح الى جيراني ونسمع بدع وجواب . فقلت له اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ما الذي اقلقك وغيّرك علي وانا صاحبك حييم حبشوش خبير الحاخام ولا واجب عليك تسمعني هذا الكلام وانا استجيرك في ليلتي هذه واطلب منك العون في مساي لا غير بحسب المعروف المستجد بيني وبينك . فلما علم بي اسرع بقيامه من مرقده وفك الباب وادخلني بفزع وخوف وقد ادركه الخزا فقال ما الذي ردك الى ههنا وقد سلمنا خوفكم وفرحنا بسلامتكم وما تعرف ان في يومنا هذا القبايل يدوروا عليكم ويسالونا منكم ويتهددونا بسببكم بدعوا انكم اشعلتوا الجبل بسحركم بعد ما طلعته وصار في ليلة امس يتزاعف بالنيران من كل جانب . هذا ما يتشاهدوا به القبايل في يومنا هذا بعد ما سافرتوا من عندنا ، وفي الحال لو كان احد يعلم بك ما كان سلمنا شرهم ، فالواجب الطريق الذي ادتك تردك لا احد يشوفك واحذر بنفسك ، ولا احد يزهد بوصولك الى بيتي للا يشغلوني بسببك. فلما شدد الخوف علي فوق الخوف السابق الذي قد في حالي قلت في نفسي لولا (54) امسيت في الخلا وكان فراشي العقارب ومخدتي من الحيات لكان اهون لي من ذلك ولنفسي دافع من ضررها ، فاما هذه الوقعه فلا نجا الا بالشرود في هذه الليله . فقلت له يا اخي لقد خبرك طاير عقلي وادهش فكري وابطل حواسي ، ولكن مرادي الجلوس عندك ساعه او ثنتين لحتى يتراجع روحي وبعد اشوف طريق تصلح حالي . فمع شدة خوفه وكثر تفضاحه مني رحب بي الى مكان اسفل بيته وهو مكان يبالغ سجن المخلدين في الحبس . فادخلني فيه ومضا ليقضي ليلته في مكانه بين اولاده وبعد قليل من الليل اقبل علي وقد هو مهم بخروجي من بيته وانا قد عرفت مرامه . فقلت له جزاك في ليلتي خير وهوذا قد انا عازم ولكن تعال معي الى خارج القريه لاتوانس بك . فمن خوفه لم امكنه من

الخروج بل انا الذي خرجت من بيته وهو رد بالمصراع ودخل في حاله . وانا توكلت على الله ورجعت الى بلاد نهم الى معلمي فقصيت عليه بالمتفق معي بعد ما سلمت له المكاتيب . فمن شجاعته لم يكون من الناس الذي يحسو لغيرهم ويصدقون ، بل من الذي قلوبهم تنكر وتجحد .

(55) اما بين اخوتنا في المديد فليس كان معانا شدة خوف من قبايلهم مثل قبايل ارحب لسبب ان النهمي في طباعه غير طباع الارحبي ، لذلك كانت يهود نهم اعز واجسر قليل من غيرهم لحتى اصواتهم عاليه وبيوتهم مرتفعه ولا تقول القبايل بيوت اليهود اعلا من الاسلام . ذلك لمساعدتهم وقد يمكن الخوف من اليهود للا يتربعوا بجيرانهم عند قبايل غيرهم فيجلبوا لانفسهم شغل وفتن على شرع القبايل. ان عادة القبايل كلها تقول الجار من مجوّره ، المعنى ان اذا كان المتجور اليهودي او غير صاحب جهد بين الناس في الاسواق والقرى بسياسة القبايل فذلك دليل على قوة القبيلي جاره وعسرته وايفاه بما يستحق به اليهودي جاره . وايضا الضعفا ومن غلب جهده من القبايل على اي دعوا وطلب مثل قتل او دين او خطا او غير ياخذوا راس من البقر او من الكباش ويعقروه (يعني يذبحوه) باب القريه او سوق القبايل الذي يريد ينتصر ويتعاون بهم على غرماه وهم يجتهدوا بالحكم بما يوجبه طاغوتهم ، والطاغوت هو شرع القبايل ، ليس الشريعه المحمديه وانا انشى الله احقق هذا الشرع في مكان اخر .

(56) ونرجع الى ما نحن فيه وهو انه زاد وافقنا عروس في بيت جانب الكنيس الذي احنا واقفين فيها وكان يدخل علينا قليل من فرحهم بقدر الفلس الذي كان في جدر الكنيس الى داخل بيت الحريو . ففي تلك الجمعه لذاك الوقت يوم دخول الحريوه على الحريو سمعت من الفلس صوت حرمه ترشح في بيت الفرح وقد عرفت الصوت ولم عرفت الصوره فبقيت حاير الفكر من هذا الذي قد عرفت

زعجها ولم اعرف ذاتها عسى الله تكون لي في غربتي صديق وايضا في شوارع المحل شفت شابه بزينة اهالي صنعا وقد استنكرتها ، ومع كثير حياها اخفت وجهها وما زاد شفتها ولا زاد سمعت الصوت الاول وعيب علي اذا سالت من هن ومن اي محل هن . وبعد خمسه اشهر رجعت الى هذا المحل واخبروني بصفتهن وايضا هن من صنعا قد اشتهرين ببذل انفسهن لمن قصدهن من العرب لاجل المعاش لحتى ان مشايخ صنعا طردوهن فوصلين بتغرير الخزا الى المديد فاغتروا بهن وقصدوهن للتزويج على سنة الشرع . ففي حال وصولنا الى المديد انا ومعلمي كان عروس لواحده منهن في البيت الذي الكنيس في صدفه واحنا جلوس فيها وقد اكرموا بنا اهل ذلك البيت (57) بالهريش والسمن كعادة حواضي سلف القبايل ، وزاد استدعونا في وليمتهم وما عرفنا شي من اخواضهم . واخبروني بعد ان اول ما ضهر لهم في مباشرتهن لعشاقهن في ذلك اليوم يوم الصباح وهو يوم الدخول الى بيت الحريو ، اختلت الحريوه مع واحد شباب ففقدوهم وهو يلاعبها وسالوها ما الذي معك عريانه مع هذا الشباب . فقالت ان لها وجع في امعاها وقد اختلت به للمسح والمرخ لاجل الشفا للا تدخل على الحريو بالوجع ، هذا دفاع عذرها . واما اختها فبعد ما سافرنا اتخذها له زوجه المري حقهم وهو من المغرورين . فلم يزالين من عادتهن السابقه حتى اسخطين اهل المحل يهود وقبايل وهموا بقتلهن . اما عشاقهن بعد ما حاموا عليهن وقد نجح جهدهم تكلفوا ان يهربوهن . وقد احشوهن في غراير وشدوهن الليل على اضهار الجمال وسافروا بهن من المحل كانها بضاعه فوق الجمال . ذلك من حشمة اهل البلاد وانا بعد التعبير قد تركت شعواذ هذه الاخبار .

يا ايها الناظر ان كنت تريد ان تعتبر هوا عقول هذه القبيله (58) وحراصتهم في احكامهم ومجاهدتهم في حق جوارهم باقتضا طاغوتهم وقد خرجت من الغرض الذي انا بسبيله فمد فكرك وطوّل بالك على هذا القصه . وهو ان واحد يهودي من

المديد وهو من جيران بن معصار وكان اليهودي خارجي ببضاعته من صنعه فوصل في طريقه الى بعض المحلات ونهبوه . فقال لا تنهبوني وجاري بن معصار ما هو مسيّب لكم لتطمعوني وتهتكوني . فليس يسمعوا له الا زاد ضربوه واخذوا حماره وما معه . فسار الى المديد وقد احشر الناس بصياحه وهو يقول انا مطموع ومضروب ، جاري ضربني وطمعني ، حتى وصل جاره مع الناس المتفرجين واستعلمه ما الذي لك يا ذا اليهودي . فقال : الجرادي تعرضني وسلبني وضربني وانا امن بامان الله وامانك يا جاري . فقال له النقيب لا تخاف اني اسلم لك جميع ما راح عليك . فجمع قدر خمس ماة من اصحابه القبايل في ذلك اليوم وجهزهم للمغزا في تلك الليله على الجرادي المتعرض لليهودي جاره . وفي حال هجومهم على قصبة الجرادي قتل اصحاب بن معصار اثنين رجال . وبعد هرب الجرادي هو واصحابه بلاد خولان وتجور بقبايل بني جبر . فدخل بن معصار القصبه واخرج مال (59) اليهودي جاره ونهب ما فيها وزاد اخربها ورجع الى المديد وسلم لليهودي ماله . اما الجرادي فبقا يتغزا من بني جبر الى بلاد نهم ويشغلهم . فاخذ بن معصار راس من البقر وقليل من جماعته وسافر الى بلاد بني جبر حتى وصل على قبر جبر بن علوان جد القبيله وعقر الثيره فوق القبر . فاقبلت عقال بني جبر فقالوا له عليت ثُم عليت وما مقصدك يا ذا العاقل . فقال مقصدي الجرادي غريمنا . اما وطرح في السنّه البنادق لايديكم ونحتكم عندكم في ما صدر منه بسبب اليهودي جارنا ، فان كان غاوي اخذتوا لنا الحق منه ، ما لم فرديتوه الى محله ونحن نتطارد في دعوانا . فلما عرفوا نقبا بني جبر ان الجرادي الذي تجورهم قبل هو في الغوا ، لزموه ان يرجع الى بلاده وهما يتطاردوا في محلهم . وبعد ما رجعوا الى محلاتهم بقوا في حرب ومغازي حتى ان بن معصار استوفا مقاتيله وقتل الجرادي واخوه . هذي الشغل بسبب اليهودي "سالم مسك الاقضع" وفي مكان اخر نوضح سبب هربة هذي اليهودي من صنعا وحلاله في المديد ، انه خبر مهيل .

اما من وقت ما انتشر بيرق الدوله العليه العثمانيه (60) وانتشرت العساكر الشاهانيه في اليمن اسكهوا الناس من الشغل والتجوار . واخوتنا هولا بسعادة الدوله العليه وجيرانهم امنوا واستراحوا زياده على غيرهم حتى انهم اكسبوا الحلي والملابيس ذلك لحراصتهم وطراستهم . والقبايل قد حسدوهم بسبب ذلك . وفي هذا الشهر وهو ربيع اخر ١٣١١חשון תרנ״ד(١) تغلب عليهم النقيب بن معصار جارهم وخاطبهم ان يسلموا له الجزيه التي كانوا يسلموها له قبل مجي الدوله العليه الى اليمن وايضا ليس هم معذورين من جزية اثنين وعشرين سنه التي قد مضت ، ما لم فيدفعوا له ولاصحابه دية اربعه قتلا الذين قتلوا بسببهم في ايامه وايام اباه وجده وتسلمت الديه في ذاك الوقت منهم ومن القبايل اصحابهم واليهود ما صار عليهم شي سبيل عادة الجوار ، لذلك قد استحق بن معصار جزيتهم وهي قرشين زلط عثماني على الواحد في السنه تصح ليره ونصف عثمانيه على جيرانه جميعا في السنه . وجملة الرجال من يهود المديد الذي يسلموا له الجزيه قدر ثمانيون نفر . فلما خاطبهم الان بعد ما قد سلموا الجزيه للدوله العليه شق عليهم ولم يسلموا له شي حتى انه قال لهم يحضر (61) هو وهم شريعه عند السيد محمد بن يحيا حميد الدين الذي نصبوه اهل صعده خليفه من حيث وابن معصار يعرف ان السيد يلزمهم الجزيه المحمديه وهي جمهور ولا يرا لهم بتسليمهم الجزيه للدوله العليه . ولهذا الدعوا ما يقدروا يتجوروا عند قبيلي غيره وهو الذي يسموه جار الغوا ، معنى اذا كان الجار غاوي على جاره فالجار الثاني يحكم عليه بالجميل او بالصميل وفي اكثر الاحيان يتكلفوا للقتل والقتال غير الخساير . هذا شرع قبايل اليمن . اما يهود المديد فقد تشاوروا بالشور ان يتخذوا لهم راس من البقر ويعقروه باب بيت بن معصار عسى يخشع قلبه من القسوه التي حدثت فيه ويتراجع من خطابه عليهم . وقد

١- التاريخ الموافق ١٨٩٣

سمعوا جوابه للنقيب بن ابو لحوم عاقل بلدة ملح الذي راجعه في شانهم فقال وكيف اسيّب لهم الجزيه وقد هم اغنى من قبايلنا ، اليس ترا القبيلي معه بندق بريال وجنبيه بربع ريال والمره من اليهود فوقها من حلية الفضه بخمسين ريال . هذا جوابه دليل على كُثر شفقته للقبايل اصحابه لان الفقر فيهم قد ازتاد سبب وقوفهم من المغازي والطمع ، خوف من الدوله العليه وعقابها . فالبعض من اليهود يقولوا تعالوا نرفع (62) مشكانا في صنعا الى الدوله العليه التي نسلم جزيتنا اليها وهي تحكم عليه وتقنعه من شغلتنا . والبعض يقولوا لا ان اذا اشتكينا به في حكومة التُرك سببنا لانفسنا مصايب كثيره ، سبب ان بن معصار يهرّي اصحابه علينا ويتعرضونا في كل خطوه ولا لنا جهد نحترز منهم ، ولكن يهديهم الله نحو الصواب للا يضلمونا . واخر امرهم ان اليهود ساروا الى عند النقيب بن عمه واشكوا عليه بمخاطبته لهم فقال لا تخافوا وامضوا وانا اجي اراجعه . فاقبل على بن عمه وقال رحّب بي على ما اطلب منك ان كنت لي اخ وصديق . فقال مرحبا بك يا اخي ومرحبا بوصولك عز الله مرحبا بما تطلب مني من دون امر اليهود ، فقال له حاشيك ان تقول كذا وانا مقصدي الا هذا الامر . وتعلم انهم جيراننا طول الزمان وهم حاجتنا لكل شي وكيف نثقّل عليهم واحنا وهم في هذا الوقت تحت ركاب الدوله العليه . فلولا يشردوا من عندنا لكان استخفّت بنا جميع القبايل وايضا نقص كثير علينا بتشريدهم من البلاد . فقال له لا باس عليك يا بن عمي كلامك صحيح ، ولكن انا قد اقسمت عليهم وكيف اترك كلامي وقد هم اغنيا من قبايلنا . فقال له واذا كانوا اغنيا (63) ذلك لفايدتنا وشهرة قبيلتنا ، اليس تعلم ان النقيب ناجي بن ابو لحوم كان يامر اليهود جيرانه ان لا ياتون الى بيته لمشاكاه او لغير الا وقد تكحلوا وتدهنوا وتمشقروا في روسهم وتلبسوا اداة السبت للا يصالوا لديه وهم معزرين فيفضحوه واذا هم متنومسين فيكون له ناموس القبايل . وانت يا اخي من حيث وقد حلفت نحن ناخذ منهم سبعه ريال لاجل كفارة اليمين . هذا ما اتفق في هذا التاريخ . ونرجع الى غرضنا وهو المحل

الذي قصدناه من اول خروجنا من صنعا فليس نجد فيه شي من الاثارات الحميريه وقد اعلمونا ان فيه في جوارهم خرايب مهيله . فمضيت الى خرابه وهي في قبلتهم ولم وجدت فيها شي الا كسره من الفخار مستنكره لي فحملتها الى معلمي لتكون لي اشاره من اثارات حمير وقد استنكرتها في نفسي لسبب صناعتها القديمة فاستغربها وحفضها . وبعد سالت اخوتنا على المحلات الذي فيهن الكتايب فاخبرونا بوجودهن في الجبل على طريق قرية ملح وفي جوارهم وهي قرية السوده . وايضا يقولون ان هنال رجل يهودي شايب عمره ماه واربعين سنه (64) اسمه مري سعيد البارده . كل هذا وليس اختلت قواه . فقصدت المسير الي ثم بامر معلمي يزيد فوجدت الرجل الشايب الذي يذكرونه وهو يقرّي الاولاد وهو في الحقيقه مفتقر من العلوم . وفي هذه السن عاد لحيته اكثرها سودا واضراسه باقيات ونظره على حاله الا قد نترين عيونه قليل وابطين من الحركه واما سماعه فقد هو ثقيل وجسمه ليس منهزل وصورته قريبه من طالوت . فبعد ما سلمت عليه بسلام المشارقه اعني مطاولة السلام واثناه طلبت منه ان يخبرني بما قد تفرج في زمانه من العجايب الغريبه والوقايع المهيله . فقال ليس عندي شي مما تطلب وما تكون العجايب وما جنس الوقايع . فقلت ومن من الخلفا الذي في اول زمانك وما الجهاد معاهم او عليهم من جيرانك وهم قبايل نهم لكي اعرف بذلك سنك وما من الحروب والفتن والشده والرخا الذي قد عرفت في عمرك عسى يكون لي تعليم . فقال نعم اني قد عرفت النقيب فلان جد بني فلان الذي قد هم اليوم الخامس جيل من ذريته وكان عريض الوجه قصير العنق غليظ الساق سميح البنان وقد كان النقيب طعزان حاسدا ومزاحما له في النيقبه . وبعد وفاته غلب طعزان اولاده واخرجهم من النيقبه . وفي تلك (65) الايام وقع حرب بين القبايل لحتى قتل النقيب طعزان واستقام النقيب فلتان وتبع كلاهما النقيب طعزوز ويومنا هذا قد نجحوا جميعهم لا فلان ولا فلتان لا طعزان ولا طعزوز الا ناس لم اعرفهم ولا اعرف اباتهم . ومن الشده والرخا فالفقر يلاحقني من

صغري والى يومنا هذا ، وفي ايام القحط سلم الله القبايل جيراني وهم يقوتوني انا واهل بيتي . فقلت له يا سيدي ما لي حاجه في كلامك هذا ، ومن حيث وليس عندك من اعلام دولة صنعا ولا اخبار الدنيا ، فحدثني من احوال اليهود مع جيرانك ما الذي قد جرا معهم في الاعصار السالفه او مما يخبروك الاوايل او مما قد شفته في كتبهم من احاديث الازمان او ما الذي قد اتفق معك . فقال نعم اني اخبرك بما جرا معي وقت اتخذت لولدي عيضه زوجه من بلاد خولان. فقطعت عليه وقلت لا تحدثني لا من عيضه ولا من شوذيه زوجته ، احكي لي كيف شرع زواجتكم لحتى اعرف مراغتكم .

فقال اعلم ان عند يهود البوادي شرع ومراغه خلاف ما عند يهود المدن . وهو ان حين يسيروا يهود البوادي يخطبوا البنت ياخذوا معاهم كبش لليلة الخطبه حق العشا . وبعد ما يتعشوا يفتحوا الباب حق الزواجه يتشارطوا كلين على مراغة قريته في خوض الفلوس والثياب الذي يعطي المتزوج للوليده . واكثر الناس الذي في هذه المحلات يشرطوا ג' (١) خرق (66) للحريوه وهن لباس وعنتري ومقرمه وفلوس كلين على قدره ، وصونه لام الحريوه . يشرطوا كم يجوا رجال مع الحريو للملكه وهو عقد النكاح ، فان كانوا عشره الذي مع الحريو فساروا مع الحريوه عشرين كم ما جوا رجال مع الحريو ساروا مع الحريوه مثني . وساعة ما يصالوا بالحريو فيلتقفوهم ويرحبوا بهم ويسلموا عليهم . ثم يعطوهم دهن سمن او سليط ويقبل صاحب البيت يدهن ارجلهم من فوق الركبه الى قاعة الرجل الواحد بعد الواحد الى ان يكملهم ثم يعطيهم المكحله ليكتحلوا بالكحل الاصبهاني. ثم يعطوهم القهوه والتتن . ثم يقربوا لهم العونه اما عصيد وسمن او خبز وسمن كفاتهم من زياده . واذا سهي او نسي احد من الدهن صارت عليه

١- اي ثلاثة

حجه فيتحاكموا في الخطا عند شيخ المحل فيوجبوا على المخطي رضا لغريمه ثور او كبش يذبحه للمخطي عليه ولاصحابه . وهكذا على كل خطا يقع بينهم من دهن او كحل او نوب او حتى القهوه اذا قل فيها القشر فيتحاكموا على الخطا ويسلم المخطي رضا للاخر كل خطا على قدره كبش او كبشين او ثلاثه او اربعه . واذا احد اخطا على صاحبه بالكلام مثل شتم او غيره فكل كلمه لها قيمه ثور او ثورين او كبش . وقد يجعلوا بدل الثور كبشين وان هدّ او مد (67) يده على صاحبه مثل ان لطمه فقيمة الملطام ثور وريال واحد وان ثنا الملطام او ثلثه او زيد فلا للمضروب الا كبش واحد . وان تقاضوا بالضرب فيثمنوا الضرب وعند الزايد سلم للاخر . وان كان سوا اللعنه باللعنه والضربه بالضربه ولم يزيد احدهم على الاخر فيعطون الاثنين المتضاربين او المتشاتمين رضا للساحه اعني لاهل المحل ، وكل شي على قدر الخطا . وفي جلوس اهل الحراوه فحال ما يصالوا كل واحد يجلس في مربض واحد لا يتغير ابدا طول ما هو جالس ضيف. وان احد دخل جلس في مربضه فذلك خطا ويدي الشرع . وفي حال جلوسهم الغنا والنشيد الضيوف اقدم من الغير فيغنوا دول واحد بعد واحد ولا لاحد اعتراض لصاحب الدول في تذكير او لحن او غيره . وان احد اعترض فيحمل الصايبه وهو الرضا ثور او كبش . وبعد ما يملكوا يتعشوا ويسمروا على الطبل والرقص . ثم يحضروا اداة الحريوه ويختاروا اربعه عدول عدلين من طرف اهل الحريوه وعدلين من طرف اهل الحريو ليثمنوا الاداه فيثمنوا المُكحله ولو هي من شُبابه اعني من الحلاّل بثُمُن ريال ، والميل ولو هو من خشب بثمن ريال ، المشط الذي تمشط به شعر راسها بثمن ريال ، وكل شي يثمنوه بثنا عن قيمته . واذا شي فضه طيبه (68) او مغشوشه الوقيه بريال ، الخرز الذي في رقبتها كيف ما يكونين كانين كل ماه برايل حق الاذان ولو كانين سلوس من حديد بقيمه غاليه وهو بربع ريال او نصف ريال ، فيجملوا الفلوس ويسقطوا من الجمله ريال ونصف ويسما غلفة الحريو اعني كسوته . وهذا الريال والنصف مستسن في جميع قطر اليمن يسقطوه من

الجمله ، فيكتبوا سند ديانه على الحريو للحريوه في ما حصل لها من ما ادخلت الى عند زوجها . ثم يسيروا بالحريوه الى الحريو ممشقرين ، ففي حال ما يصالوا الجميع اهل الحريوه والحريو فيرحبوا بهم من زايد ويذبحوا لهم باب البيت ثور او كبش . هذا حق الرحّاب فيدخلوا بالطبل او الدف والغنا فكلين يقعد في مربضه . والتدهين والتكحيل والدهن عاده وسنه ان كل ضيف يصال بيت مضيفه فتقدم حرمه من حريم ذلك البيت فتدهنه وتمرخه من فوق الركبه الى قاعة قدمه . والقهوة والتتن والعصيد او الخبز والسمن حسب السنه. وفي العون الثانيه ياكلوا لحوح ومرق او عصيد ومرق . واما اللحم ففي اخر العُونه يستقيم واحد ويقسّم لكل احد الى يده ويسما نوب . فان نقص نوب احدهم او سها المنوّب او نسي فهذا خطا ، ويحتكموا بعد العونه ويسلم المنوب رضا للمنسي نصف كبش او كبش . وفي حال سمرتهم في الليل على المرواس والغنا (69) كل احد من الضيوف يرفد الحريو بكم ما رغب من الفلوس او الحنطه او ما اراد ان يرفد به وهذا حق لازم على من جا يسمر ولو من القبايل وكذا اليهود عند القبايل . قال المصنف وهكذا المعامله جاريه بينهم الى هذا التاريخ ، وكم اصف لك من الخطا والعدال والصاييه في شرع القبيله وحكم الطاغوت .

وبعد هذا كله اعدت على الشايب سُالي : وما عندك من اخبار الاوايل واحاديث كتبهم . قال اني ما عرفت شي الا جدي كان يحكي لي ان اهله الذي كانوا سكون في قرية درب الحنشات كانوا في ثروه عظيمه وكان لهم ضيعات كثيره يحرثون ويزرعون ويروّحون لانفاسهم على ما تشهد به بصاير الضيعات القديمه المنتقله الان بايدي القبايل ، غير صناعتهم وهو الات الحرث من الحديد والحلي من الفضه والنحاس ، ومعاملة جيرانهم القبايل بتخريز الجلود في جميع حوايجهم ونجارات الخشب ، بالاكثر صناعة الفخار الذي تجد اليوم مذابل محاريق الفخار في القرب من خرابة الدرب مثل الجبال ، والقليل منهم في البيع والشرا ، ومن

شهرتهم اكثر قبورهم بالمساند . فقلت له وما الذي جرا معهم لحتى خربت قريتهم. فقال نعم قد احكوا له ان وقت ما اخرجوا اليهود من نواحي (70) اليمن وطردوهم الى تهامة موزع ذهبوا اكثرهم في الطريق وفي تهامه والباقيون الذي رجعوا من تهامه ما زاد سكنوا في قراهم الا القبايل وهبوا لهم اراضي او اشتروا او اكروا منهم بقدر ما يعمروا لهم ديم . وانا المتربي في مباحثة هذه الاخبار قد في علمي الكفاية من متفقات طرد اليهود وجلوتهم في سنة ١٠٨٩ وفي ذاك الوقت كانت قرية درب الحنشات خراب الى يومنا هذا . فسالته عنها فقال هي قريبه منا وانا ارسل معك واحد من الاولاد ليدلك عليها . فمضيت الى الخرابه وزرتها فوجدت مجنّتها في عارضة الجبل وفيها مساند كثيره يهوديه كما وصفني. واما من كتايب حمير فما وجدت شي . وبعد رجوعي الى المديد الى معلمي يزيد واخبرته بما شوهد لي استغرب الحديث واعجبه . وقال انعطف في الحال وانسخ لي من المساند ان لي حاجه فيهن على شكل الخط الذي هو موضوع في الحجار ولا تغيره بخطك ولكن اريد منك تمشي في هذا الحال ولا يكون المسا الا ههنه . وانا لما رايت تُشوّاقه لذلك هرب مني التعب وانثنيت وقبلت منه وما خالفت فركضت الطريق برجلي ركضا شديدا حتى وصلت الخرابه قريب من غروب الشمس وكان بعد العصر وقت ما جريت من قدّام معلمي فنسخت ما اتفق لي ورجعت الى الفرانساوي في سواد الليل وسلمت النقول اليه بعد ما حاسبت لنفسي اجر عنده غير الاجره (71) فوق الاجر الذي سبق معي في رجوعي الى بلاد ارحب . وفي هذا الوقت ما كان قد عرفت ان ما كتب لي لا اجر ولا اجره لا بد لسبب قل المداد او البياض . غير هذه الكتايب العبرانيه ما حصلنا في المديد شي .

واما اخوتنا كتب ذكرهم بالخير فقد قوتونا بالعيش قدر الكفايه لا عبث ولا قل سبب ان رزقهم بسعادة القبايل اسهل قليل من يهود شراع حيث ولم يكون لهم

شغل الاحجار القص يحرقوها ويطحنوها هم ونسوانهم واولادهم ومعاملة القبايل لتخريز الجلود فلذلك الفقر فيهم لايح هم وجميع اخوانهم يهود بلاد ارحب الذي من زيادة الفقر فيهم شفقوا عليهم القبايل جيرانهم وحملوا جزيتهم في هذا الوقت للدوله العليه ويسلموها عليهم من اكياسهم . اما هولا فمنهم معاملين ومنهم نجارين وحدادين وصياغين ومخيطين ومنهم بياعين مشتريين وبعضهم يسافروا الى المحلات البن ليطلبوا رزقهم وقليل منهم لهم ارض يفلحوها . وايضا عندهم وادي ما ينبت الا شجر الحوص وهو نوع من شجر النخل فيقطعونه ويفسخونه ويرحلوا (72) به بالجمال الى صنعا ليعملوه مكانس . واما نسوانهم يشتغلون في العزف وهو نوع من الحشيش ويسمونه الحنديد ، ولا له ورق وهو دقيق الساق طوله الى نحو ثلاث خطا يصنعين منه اغطي ومناسف وربعات وغير ذلك وهن اواني ينتفعوا بهن اهل اليمن . وفي ايام الشتي يرحلوا ليحوّتوا من الخارد ، وهو نهر يخرج من بلاد ارحب ويستقوا به اهل الجوف . وهولا الذي يحوتون يشتاطوا لهم ضفر من صنعا يجلب من بلاد انس ويكتال اغلا من البر ، وهو حبوب مثل حب النيل يطحنوه ويخلطونه على قليل من دقيق الشعير ويخضبونه في زق ، وهو مسب ، ويغمس السباح ، وهو العوام ويمصُر الدقيق المخضوب في الحيّاره او غير في بطن الما وناس سباحين من خبرته قد هم منتضرين لما يصالهم من الحوت في بعد الف خطوه او ازيد من حيث طرح الضفر. فحال ما تريحه الحوت او تاكل منه تسكر وتصترع كان قد ماتت فالما يسوقهن في بطون الحيارات حتى يخرج بهن ويقذفهن في اماكن بعيده . واصحاب السباح الذي ضرب بالضفر المواضبين للحوت المصترع على وجه الما لما يروهن معرشات على بطونهم يقمسوا الى الما ويخرجوهن . واما الكبار الذي فيهن فينالوا من ضربهم عذاب شديد وقد يبطلين (73) ويهربين عليهم . ووزن الكبير فيهن ثلاث او اربع اقق ، والذكور منها يسمونها اوشاج . وبعد ما يخرجوا الامصار من بطونهم يسافروا بهن الى صنعا ليل ونهار للا يجيفين . وقبل مجي التُرك يبتاعين من يهود صنعا لا غير . وفي

بعض الاحيان يهفتوا عليهم البدو في الخارد وينهبوهم الحوت . والانهار المشهوره للحوت ثلاثه ، الخارد ومنبعه بلاد ارحب ، وسردد ومنبعه بلاد الحيمه والثالث اسمه النبعه واصله في بلاد الحدا . اما حوت الخارد فهو اطيب والذ ما يكون من ساير حوت العالم وليس يجلب الى صنعا بالاكثر الا الخاردي فقط .

واخوتنا هولا من حيث والفلوس قليل عندهم جمعوا لنا صدقه اربعه اقداح من الذره وشاطوها وسلموا لنا اربعه ريال لتكون معاونه لنا في طريقنا . وايضا هم من المواضبين في درس الكتب الذين يعرفوها لا غير . وقوة الحفض في بعضهم هم ويهود ملح زياده على ساير يهود اليمن ، ان احنا وجدنا فيهم متغيبين يقرون مراصف الاسبوع(סדר השבוע) (١) من غير كتاب وايضا في ساير الكتب متغيبين فصول او ابواب او نبذ منها يدرسونها لانفسهم في قرا القبايل جيرانهم غير الصلوات عند فراغهم من اشغالهم . وفي وقت سفرهم وبالجمله ان علماهم مجتهدون اكثر من يهود خولان (74) وارحب وغيرهم في قواعد الشريعه وفروعها على ما عرفوهم اباتهم . واذا حدث لهم في الشريعه امر مشكل او عسر عليهم شي او حصل نزا ع بين بعضهم بعض في شي ارسلوا بالمسايل الى صنعا وقنعوا بجواب علماها . ومن المشددين الذي فيهم ، وهم الذين يتبعون كتب السماعات (ספרי הקבלה) (٢) وهن كتب الرمز واللغز ، اقبلوا بمشكاهم الى معلمي يزيد ليقضي بينهم هم واخوتهم اصحاب الضاهره (בעלי הפשט)(٣) في حكم منع قصص الشعر التي تبديهم النسوان من روسهم على وجوههم للتزيين بهن مثل نسا القبايل . فالمشددين يدعوا ان التزيين بهن حرام ، وايضا كشف الشعر خطا

١- اي شعائر ايام الاسبوع
٢- اي كتب القبالة
٣- اي القائلون بالتفسير الظاهري

كبير كما تبين لهم من كتاب اللُمع المقدس (ספר הזהר הקדוש) (١) الذي دافعوا عليه انه من القدما ونسبوه للشيخ الفاضل صاحب عصر المثاني السيد الجليل "السموعي بن عجلان" (ר' שמעין בן יוחאי) (٢) رضي الله عنه ، واصحاب الضاهره يكابروا ويقولون ان سلف اباؤنا شريعه ولا نغير شي مما ورثناه من الاقدمين . وكان في ما سبق قد تنازعوا في هذا الامر نزاع شديد لحتى رفعوا دعواهم الى نقبا القبايل جيرانهم ليحكموا بينهم . والنقبا سبيل عادتهم (75) مع جيرانهم ضبطوا الطرفين الى صنعا ليقضوا بينهم علما يهود صنعا. وكان الحكم ان حيث وليس هذا الامر يهد قاعده من قواعد الشريعه فلا منع لمن سولف ولا ترخيص لمن شدد ذلك على نفسه. وهذا النهي مطابق لنهي واحد من الخلفا في سنة התר"ח (٣) للخليقه ، وهو ان الخليفه الناصر كان من الزهدا فمنع الناس من الغنا والرثا في جميع بيوت الفرح وغير ، مسلمين ويهود ، فبعد ما قتل قدموا مذكّره بعض الناس الى الخليفه الذي قام بعده ما يكون من منع الغنا ، فكان جوابه لهم ان الغنا حرام ومن غنا له غنا . اما معلمي فقد تعجب على نزاعهم في هذا الامر وقال لهم اني ما ارا تحريم او منع لهذا التزيين من حيث والمثاني تقول יוצאה אשה בפאה נכרית (٤). فشق جوابه على المشددين ومضوا وهم يزاحمون. ونزاعهم هذا قد انتشر بين اخوتنا الذي في جميع تلك النواحي الشرقيه فمنهم من اقتنع ، ومنهم من بقا على حاله ، ومنهم من اخفاهن وشبه بنبذه من جلود الغنم او زجدتين يبدينهن من روسهن على اصداعهن للا يبتخسين، خصوصا اذا لم يكون لهن شي من الحليه فهن يستغنين بزينة القصص . هذا نعت بعض من (76) الاحوال المستجدّه بين يهود اليمن وانا او فيها في صافحه اخرى .

١- اي كتاب الزهر المقدس

٢- اي الحاخام شمعون بن يوحاي ، كما ورد في النص العبري

٣- التاريخ الموافق ١٨٤٨ م

٤- اي تخرج امراة وهي تعتمر شعراً مستعاراً

قـد ذكرنا ان المكان الذي همّينا الوصـول اليـه وهو المديد لـم وجدنا فـيـه شي من مطلوبنا . ولكن قلوبنا قد صـارت مطمـانه بما وجدنا فـي بلاد ارحب وبما اخبرونا بسـاير الامـاكن المتـشـرقـه لهم . لذلك قـصـدنا الرحـيل الى جـهـة الشرق واخـوتنا تكلفوا بالمسير بنا الى ملح على طريق نجد شيحان وهـو الجبل ليس طريق السـهل فوجدنا ما وجدنا ، وبالجمله صافحه ، في نجد شيحان كتابه عربيه وقليل عبرانيه. وتحت ذلك في قلت اليـهـود لم وجدنـا شـي . وقلت في لغـة العرب هو مكان مكروه مستسفل خالي بينات الجبال . ومنه خرجنا في ضلمه على خرابة شيحـان الى قرية ملح ، والشمس لها في كبد السما . ولكن مع مرور الزمان قد اصدت جبالها وخمدت لكامها وقست ابخاراتها حتى تشبه لي كاني في حوش من احواش صقر، وقد عاينت المساكين ما لهم فيه مقر ، اكثر الوطن جبـال وسـهول وعقـر ، يخطفون المعاش خطفا ، والخُلف يتابع الارض عطفا ، الامطار تمتنع منهم منعا ، والسُكان يلتووا بالفقر جمعا ، القبـايل تشرد من البلاد (77) اصلا ، وتتغرب مع بيوتها ودوابها حملا ، في مغرب اليمن ونواحيها ، وايضا مضـايا يسمونهـا . حتى ينزل في ارضـهم غيـثـا خصـبا ، ويرجعون وقـد سمونهم كسـبا . يحـرثون ويتـرعوون كالاغنيا في القرا . وقرايب وقد هـم من الفقرا . سلف اعمارهـم نكيدا ، ويعودون للكسب تعـويدا ، لا بد انهم من البـحـار بعيدا ، وصـعـود ابخـرة المـا لـهم شديدا . حتى صـارت البلاد خاويه وخاليه . ومن جوارها وادي سبا فهي عـاليه . من الحام قد تمكنوا فـيـهـا تمكينا ، واولاد قـحطان قد تـحـصنوا فيهـا تـحـصـينا ، بنوا فيـهـا المدن والقصور ، وكانت القبايل فيها منصوره ، الاشعُب والسوايل قد سددوها ، والاسـداد بالصـخـور قد شـددوهـا . اخرجـوا المعـادن من اصـدافـهـا ، والاسـرب مـع الورق من المدنّات كـان اصـرافـهـا . صـارت كـالجنان بانهـارها، ومن خـصـبـهـا اشـجـارهـا تنثـر اثمـارهـا ، حـتى استـوفت لمـعـة نهـارهـا ، وجـات العـجم لتطفي سراجـهـا، قد سبقهم ابرهه النجاشي، عـاث ولاث واهلك الناس كالمواشي، هو ذاك الرجل الحبشي ، الذي بنا بصنعا شبه مقدسي ، ورصعه بـالاحـجـار الملونة (78)

بالماس والياقوت والزمرجدي ، وقد وضع فيه السنحاني (الكناني) القذاره من غير تمادي . في قرايب تغيرت احوال الكنيس ، حتى ما زاد في حصن الكُتب وهو حصن نهم انيس . ربنا يزد مردوده على هذه البلاد الذي تحزن فاد العابرين ، وتحرق قلوب الناضرين ، وهو الرحمن الرحيم يشفق على من كان فيها الان ساكنين ، امين .

هذه لوايح بلاد نهم مع جوارها قد اطلعتها بعد خروجنا من قلت اليهودي حتى اوصلوا بنا الى ملح وقد ادخلونا من الحوش الى اسفل بيت المعلم حق اخواننا . وبعد ما ردوا الباب دبينا تمعساس في سقيف مضلم كسواد الليل حتى طلعنا الى ديمة البيت وقد انتفعنا في وسط النهار بضو وقود النار حق الغدا . فوقفنا ثم قليل وعجاج الدخان هيّج سيلان انفي وقد شنت دموعي فقلت فيِ نفسيِ وكيف السكون في هذا المكان وكم ذنوبي لحتى استوجب هذا العذاب ، ولكن اصبري يا نفسي ان الله يحب الصابرين . فبينما انا امسح وجهي من العرق والدموع وغير وايضا العاقل المعلم صاحب البيت يحيا بن سعيد قد اقبل . فمن وقت ما شاف الحكم معلمي ، تكبّر عليه وجوهنا وسلم علينا باليد (79) والمعانقه كسبيل المشارقه وقد الزم حرمته بفتح السيّه التي في سقف الديمه فهذا مرادنا لاجل يخف مننا الدخان . فبينما يبهل بنا وقد سبق يطلع في السلام الى السيّه وهو يستدعينا معه فهميت الجلوس على سطح الديمه خوف من حر الشمس ومن عجاج الدخان ، ولكن الغريب ما يقدر يخالف كلام المرحب . فتبعناه الى السطح وايضا قد رحب بنا الى خلوته ، ومن اوتاد الخلوه انزل البساط وفرشه لنا معطف واحضر لنا التتن والقهوه وصرنا منبسطين . وفي الحال ذبح كبشا لاجلنا لحتى هرب مننا التعب وسالناه من مقصودنا واخبرنا بما في علمه من المحلات . ويوم ثاني بعد ما زودونا بالسمن والهريش اجر لي يهودي وسرت معه الى بعض الاماكن فوجدت في برّان شعب وفيه قليل من الكتايب مكتوب في عرض الجبل

بصباغ احمر . والقبايل يزعمون بكلام فارغ يقولون انه ليس بصباغ الا دم جاريه عذرا . وزاد شفت في برّان مكان وناس حلال فيه وهو مبني في بطن الارض بالحجار الحميريه ، وهي كبار ومنحوته كالصابون . وايضا سرت الى نواحي مسوّره ووصلت الى خرابه مهيله وهي من خرايب العرب وعلى رجوعي شفت كم سطر على قضاض في واحد سد بين الجبال وقد انهدمت حجاره . ورجعت الى معلمي (80) واخبرته كما رايت فقال لي ان المكان الذي نضرته في بطن الارض هو من قبور الاقدمون . قال المرتحل وما زاد ذكرت مع طول المده ما الذي حصلته في ملح غير ما استخرجته في طلوعي الجبل على طريق خرابة شيحان الى حصن الكتب وهو حصن مرتفع في بلاد نهم وهو خارب وليس فيه سكون ، ويقولون اخوتنا ان في تلك الطريق حجار كثيره مرميه وفيها كتايب عجميه وعبرانيه وانا وجدت منها وليس هي من الحجار المنحوته حق البنا . وذلك دليل على كثر الناس الماضيين وتشييدهم في هذا المكان حيث وهو واسط بين صرواحين صرواح بني جبر وصرواح ارحب . وفي جانب هذا الحصن مما يلي المديد لقيت رسم انسان وعليه مكتوب وهو متقلد السلاح القوس على جنبه والسبيكي على مثناته سبيل عادة العرب . وعاد اليوم في زينة ملبوسه بدو قبايل يام . فنقلتها وانا في خطر عظيم سبب انه في راس شندبة الجبل من القفا وتحته حيد مسلوخ مهيل لا يكاد انظر الناس الذي في الوادي تحت الا مثل الذباب من جور الارتفاع فكان التوي وامسك بيدي الاوضار وارجلي في (81) احقاف الجبل وانا متعلق بين السما والارض مثل الحنش حتى ارسم في حواسي بعض من صورة الكتبه وارجع انقلها بالقلم واعود كذلك حتى اكملتها بعد تعب شديد . ولولا قد كان عرفني معلمي صورة هذا الخط الحميري لكان قريته ونسخته وما زاد نالني هذا العذاب ولكن قد اركنني قبل خروجنا من صنعا انه يعلمني بعد الرجوع بعد ما نخلص شغلنا . ولذلك كان لي رغبه ونشط ولو اعسر من هذا لاجل العلم والاجره . وفي اخر النهار رجعت الى معلمي وسلمت النقل واخبرته بما وجدت وهو سبيل عادته

ينقل الكلام بقلمه على قُطف ليس بدفتر . هذا ما وجدنا من الكتايب في هذا المحل . اما تخصيص الجبال والوديان والسوايل والخرايب والقرى وسكانها فقد تخصص معلمي بمعرفة اليهود الذين يسالهم عنها . وهم مثل حالهم وادي يطلع في كلامهم وجبل يسير ، ما فيه عندهم نقص ولا جغرافيا لحتى يعرفوا ويعقلوا كلامه ، بل في علمهم الدفاين في كل مكان وبالاكثر في الخرايب . وفي ضنهم ان ما يسالهم الا على شانها . وفي عقيدة العوام ان بعض الاوقات الجن يخرجوا الدفينه ويضحوها من النداوه او لشي يعرفوا به هم او ليغايروهم بها لسبب تمنّاهم لها (82) ونادر من يلفا بقبضه منها لا غير . هذا قول المتمنيين ليكونوا اغنيا ، واسم جن في لغة اليمن يمكن انها ماخوذه من اسم جينا وهو مع ان صورهم زريه منهم سموا المعارضين لخيالهم جن .

اما معلمي فقال ان مراده يخرج من البيت لينظر بعض احوال الناس . فخرجنا واتفقنا مع واحد قروي فدخل على معلمي بكلام لين حتى ان معلمي تكلف ان يكتب له لفظتين بالقلم العربي . فتعجب القروي زياده وقال وكيف يهودي قدسي يخط خط الاسلام وزاد في مدحه ، وبعد شاع الخبر ان هذا ليس قدسي الا ملك من السما وهو ان مع اختلاف هياته ولونه من اهل البلاد قالوا ملك . وهذا القروي هو من الذين يسمونهم قرار ، والفرد منهم يسمونه قروي ، يمكن من مقروي ، وهم قبايل معروفين في مشارق صنعا ولا لهم نسبه مثل القبايل اخوانهم ويسمونهم اليهود חָם (١) المعنى انهم قبايل من حام بن نوح وهم مستخفين عند جيرانهم ولو هم مسلمين ولا يناسبوهم ولا يلقوا في ملاقيهم ولا يدخلوا في محاربهم ولا يقدروا يسكنوا في مساكن الا اذا كانوا متجورين مثل اليهود . وهم مثل المماليك (83) واليهود اعز منهم عند القبايل . وهولا الناس المسمايين قرار

١- اي حام

هم غير الناس المسمايين هُجر لان المهجّر له ميزه وناموس عند القبايل ويتخذوا منهم قضاه ليحكموا بينهم ويناسبوهم . وهم الناس الذي ياتون ويسكنوا في البلاد ويتملكوا فيها ، فان لم يرغبوا ليدخلوا مداخيل القبايل لحرب او لمغازي او لصاييه مما يصوّبوه القبايل فلهم ذلك . ويسمونهم هجر ولا لاحد يعترضهم ابدا واذا احد اعترضهم بخطا او بنهب او قتل او غير فان القبايل كلها تقوم وتثور على حجتهم كما يثور الجار على جاره .

وهذا تعبير ما اتفق في هذا الاوان . وهو ان واحد قبيلي من نهم وزوجته من الهجر فعزم هو وزوجته ليتغربوا في بلاد حضور ، وهي غربي من صنعا بنصف يوم فقتل وما يعرف من قاتله فرجعت الحرمه الى بلادها وقد شاع الخبر ان الحرمه خانت زوجها وساعدت رجل من اهالي بلاد حضور وبسببها قتل النهمي زوجها . وبعد ما علموا قبايل نهم بذلك تواعدوا للجمع لينظروا كيف يدبروا امرهم في شان مقتولهم . فلما التقوا جميعهم في سوق الاحد وحلّقوا سبيل عادة (84) القبايل وبرزوا الى الوسط عُقّالهم ، فابتدا كبيرهم وقال اسمعوا خير من الله . قالوا خير . فابتدا باوعاض واشعار كفايه لحتى يذهن عقولهم من الغفله ويحرك بكلامه قلوبهم من المراخاه . وبعد قال تعلموا عليكم يا قبايل نهم ان الناس الذين لا لهم نسب ولا شهره ولا جهد في شي قد استهزوا واستخفوا واستضعفوا قبيلتنا والحمد لله ليس احنا مستهزاين ومستضعفي ولنا جهد بعون الله لقلع الجبال وغيرها . وما اكفاهم ذلك الا زاد تجاسروا اهل حضور للعيب وقتلوا منا فقد عيّبونا من غير حجه ولا دعوا ولا طلب على المقتول ولا علينا ايضا اليوم تعلمون يا قبايلنا ان في هذا الوقت النسا كلها زانيات من دون أُمّي واختي ، والبنادق كلها تفضفض من دون بندقي ، وما انا عارف هل صدق هل كذب (ومعنى النقيب المنتدي في القول توهمت حرمة المقتول) . وبعد ما وقف من خطابه لهم قليل رد عليه نقيب اخر ، وهو من قربا الحرمه ، فقال عزك الله وعز نصبك ،

كلامك صواب ولكن نحضر زوجة المقتول ونتحقق منها ، فان كانت هي السبب فقتلناها واخذنا من اهلها الهُجر ما يوجبه الشرع ولنا غرمانا اهل حضور الذي عابوا في اخونا وهو مسكين يتغرب بينهم ، وان لم (85) يثبت الوهم على الحرمه فاعطيناها ما تستحقه من الشرع من دية زوجها المقتول . فلما سمعوا القبايل كلامه هذا قالوا كلهم صواب فارسلوا نفرين من العقال ليدعوها وليداروها للا تهرب او تمنع حضورها بين الناس . فمضوا ودعوها بالحيله حتى وصلت قريب الملقا فسالتهم ما الذي مع الناس في هذا الملقا الكبير فقالوا لها لا تخافي لا بد انه سبب المقتول زوجك . فلما شافوا حالها قد تغير اشاروا عليها ان تتنجّا وتتجور بقبيلة بني سمح ، وهم اشد باس من اصحابهم . فسمعت وما خالفت ، ونطّت الى بين القوم الى تلك القبيله واعتقرت بين ارجلهم وقالت جار الله وجاركم نجوني من الموت ، عقيرة الله وعقيرتكم ، عجيت من حيث عجيتم ، واهلي من هجر قبايل نهم . فقالوا لها اشتدي ثم اشتدي ، عليتي يا ذا الشوفه ، ولو قد عليك ما عليك ، قتل او دين او ما يكون كان ، لقد نجيتي . وفي الحال اسرعوا بقيامهم من الجلوس على ارجلهم والعقوا بنادقهم وارادوا الفتنه . وانتدا كبيرهم باعلا صوته وقال اسمعوا يا من حضر ان قبيلة بني سمح تقول لكم ، ان نحن حضرنا في هذا الملقا لاجل دعوانا على جوارنا بني جبر في شان (86) المغازي الذي بيننا وبينهم والان وقعنا في هذا الامر وهو امر الشوفه هذه فتركنا دعوانا ونحن الان نستقيم في جنابها ونبذل اموالنا وانفسنا لمن ادعاها وخاصمها ونطلب السنّه من اهل المقتول . فلما ادركوا النقبا ثور الفتنه فرفع كبيرهم صوته وقال اسمعوا يا من حضر اني اقول لكم حكمنا قد ميزنا اصحابنا هولا التي تجورتهم الحرمه على شرع القبايل والمحاكاه قد وقعت معاها سوا حق او غوا ، واهلها هُجر عندنا ، وايضا انا مناسب لها والشرع من يبطله فقد وجبت دية المقتول على ابو الحرمه وهي تنجب وتسلم من كل دعوا ، ولنا دعوانا القصاص والديات من قبايل حضور الذين عابوا فينا وقتلوا صاحبنا وهو مغترب في بلادهم . هذا ما

صوبته والراي لكم يا هولا القبايل . فاجابوا الجميع وقالوا : قالها (معنى صواب)، فبعد ما صوبوا هذا الحكم قال تسليم الديه بعد عشرين نهار ، وابتده بحضرة الناس وطرح بندقه وعدتها لمعاونة ابو الحرمه الذي وجبت عليه الديه لورثا المقتول والجنبيه وحليتها وسيفه وما عليه من الحليه وحصانه بشداده ، وقال عندي من الحب اقداح كذا كذا ومن السمن كذا كذا ومن البقر كذا كذا (87) ومن الدراهم كذى كذى . وبعد ما انصرف جمع القبايل من الملقا ، استاق الى بيت ابو الحرمه الهُجري لمعاونة دين الديه من اصدُقاه ومن اصدقا صدُقاه ومن معاريفه ومن معاريف معاريفه من الدراهم والحب والمواشي والسلاح وكل ما يكون ، ويسمّوا ذلك قطع ديه . ويوم الوعد حضروا الى السوق بعض نقباهم لتسليم الديه وجات العدول لاجل ثمن الاشيا . وهذه عادة القبايل في تسليم الديه ان الحاجة التي تسوا ريال يجعلوها باربعه ريال او بثمانيه ريال وحتى الصميل الذي من عود وهو دون من السلاح فيثمنوه واحد ريال . والناس يمثلوا في مداخلتهم لبعضهم بعض لا تقطع لي قطع ديه . واما غرماهم اهل حضور فالى يومنا هذا وهم يتطاردوا هم واياهم وقد اخذوا منهم الديه وعاد دعوا المقتول باقي . والديه عند اهل اليمن قدرها سبع ماه وسبعين ريال . واما اليهودي فديته في حُكم القبايل بالمربوع ، وذلك ثلاثه الاف وثمانين ريال ، والاقدام الى اليهودي ولو بنتف شعره من زنّاره عقابه شديد في حكم القبايل ، ما لا يحكموا بهذا للغير . وسبب ذلك يمكن ان حيث كانت اليهود في الزمان الاول رُئيسا ونقبا في في اليمن فمن (88) تجاسر بقتل احدهم لزمه الديه مربوعا ومن اقدم الى اليهودي ولو بايسر شي لزمه العقاب الشديد لكونهم في درجة دولة اليمن ، فلما استضعفوهم باختلاف الزمان ، سُنة الشرع باقيه على حكمها . او يمكن انها شروط واقعه بين اليهود وقبايل اليمن ومستعمله الى هذا الزمن . وهانا اشرح قصه موحشه الواقعه في هذا الاوان وهو .

ان واحد يهودي من ملح واسمه يوسف شكُر وهو من جيران بيت ابو لحوم الذي هم اعزّ قبايل نهم ففي واحد يوم سار هذا اليهودي يرقّع عند عملُته قبايل مرهبه سبيل عادته باب بيت قبيلي صاحبه . فاقبل عليه واحد قبيلي مختل في عقله وضربه بشرخه من الحطب في راسه وهو في سهوه حتى فرطش دماغه ومات اليهودي من ساعته بدعوا القاتل ان اليهودي اسحره . فضرب الصوت باعلاه : عيب يا عيبه ، من كل من حضر من القبايل نسوان واولاد ورجال كسبيل عادتهم عند الفتن والقتل ذلك الصوت يصيح لاجل حضرة الناس . فجرى صوت البلا من كل قريه من بلاد نهم حتى اجتمعوا في ذلك (89) اليوم من اصحاب بيت ابو لحوم جار اليهودي قدر الفين رجل حاملين السلاح ومثلهم في العدد قد حضروا مع بن معصار راعي القاتل المرهبي فكانت القبايل قريبة الفتنه بعضهم بعض سبب اليهودي المقتول ، فقُدُمت الهجر وهم قضاتهم لتتعرض وتطغي نار الحرب . فقال بن ابو لحوم ان كان نعدل ونطرح البنادق في الشرع فلا باس ، ما لم فما انتزعنا من فوق المقتول جاري الا وقد اشعلنا نار الحرب ولو هلكنا جميعا . فتسلمت البنادق الى يد القضاه وفعلوا بينهم وعد لحتى يتحاكموا . فادعا ابن معصار ان القاتل صاحبه مجنون وحيث وهو مجنون يسلم دية اليهودي . قال بن لحوم لي في ذلك قول نقبا قبايل بكيل وقبايل حاشد وقبايل ارحب وقبايل خولان وزادوا ميعاد ثاني حتى وصلوا هولا النقبا . وكان الحكم ان بن معصار يسلم اربع ديات وهي ٣٠٨٠ ريال ويحملوا ايضا جميع المخاسير وهي جمهور كبير . ولو لم يكون القاتل مجنون لكان حكموا بالقصاص والديات لاجل اليهودي المقتول. وبعد ما قبض بن ابو لحوم الاربع الديات سلم لورثة المقتول ثنتين ديات وثنتين له . هذا ما قضي في قرية ملح دام الله خيرهم وحفض ارواحهن امين . (90) وزاد شفت في ملح رجل شايب اسمه شكر المسوري وهو من اهالي صنعا فسالته ما سبب سكونه في ملح فقال انه هرب في ايام الخليفه محمد بن يحيا وسبب ذلك انه وقع عليه من العامل حق الخليفه خطاب عسر بعد ما تكلف اخوه سليمان

المسوري ان ياخذ بيده الموس حق الحذاف وذبح بها نفسه . هذا جوابه . وانت يا عزيز يا قاري كتابي هذا ان كنت شبق للتطلّع على الوقايع فذلك مرادي لابين لك بعض احوال صنعا اليمن في ما سبق ، ما لم فتركت السوق الذي ما لك حاجه فيه ورحلت الى اي سوق شيت .

وهذي مشر كلام اليهودي سليمان المسوري المذكور الذي ذبح نفسه ، وهو بعد ان اعتقدوا بالشور عسكر العهد حق الخليفه على بن المهدي عبدالله في سنة ١٢٥١ ان يقفزوا عليه الى داره ويربطوه وينهبوا ما الذي يجدوا في دار المملكه وفي خزاينها ومع جوادته وغفلته بلهوته وقع ما تشاوروا به فلذلك زاد النجاح في دولة اليمن والشياطين استخفوا بامر الدوله حتى ما زاد بقا لهم (91) امر جازم على الحقوق الذي يدفعون الناس ولا خزنه حتى ضعفت جدا وتغلبت القبايل . وفي ذلك الوقت واحد رجل من بني الدوله واسمه محمد بن يحيا المذكور فوق فمن حرفة اهله تربا عند ناس غير اهله حتى صار بليغ في احاديث الناس . ومن عادة كل فرد من عيالة الدول انه يرا في منامه ان قد هو خليفه والناس كلها عبيدا له فهذا البليغ زاد نبهوه في احلامه ان لا يتم له امره الا بدخوله الى مصر ليتعاون بدولة مصر وكان كذلك : فبعض بشوات مصر عاونوه بقليل من المال فرجع الى اليمن وادعا الخلافه على طريقه في ريمة وصاب بمعاونه الشريف حمود صاحب تهامه . وزاد عاونه يحيا بن المنتصر شيخ بلاد ريمه فدخل صنعا وقد بايعه علي بن المهدي الذي كان خليفه فثبت له الرويا وتمت له سعادة الملوك الذي قد تمناها وجلس على كرسي مملكة اليمن في سنة ١٢٦١ . فاراد ان يصلح احوال الرعيه ويرفع عنهم المضالم فامر ببنا مكان من الخشب ونصبه في الميدان تحت داره وسماه التومه لاجل يكون قريبا فيه للمظلوم ففرحوا الناس وقالوا مثل هذا لطيف وحسين الحال ما قد قام لنا خليفه . ولكن ما (92) زاد بقا مدخول للخلفا من حقوق الزكاه والعشور وغير الذي كان يدفعونها لدولة اليمن سبب ان القبايل قد

تجاسروا واخذوا اكثر البلاد التي كانت تدفع لهم وايضا بيت المال قد نجح وما بقا له من خزنة الدوله السابقه الا خزانة الموت ، وهي الباروت والكبروت ، فاخرجها وفرقها على اليهود وهم يدفعوا له القيمه الوافيه ومن حيث واليهود ما يقاتلوا ولا يحتاجوه باعوه بارخص سعر . وقد نصب له رجلين من ديار مصر الذين هم مختبرون ليتحججوا الناس لاجل ياخذوا له منهم مصاريف بما يقوم به الحال اسم الواحد محافض والثاني ابو زيد فاول امرهم التووا بالحجج على اغنيا صنعا المسلمين وتجارها . واهالي صنعا لما عرفوا ذلك فاعتقدوا بالشور ان يهجموا على العوامل المذكورين ويقتلوهم فاجتمعوا من البيوت والاسواق وساروا للفتنه حتى انه حضر من يحب الصلح واصلح بينهم ان لا يحاججوهم ولا ياخذوا منهم شي وكان ذلك . فما زاد بقا معاهم على من يلتووا الا اليهود . فاول امر وقع مع واحد يهودي اسمه ابراهيم العمراني كان معه دلّه من النحاس مملوه ريالات وقد كان (93) دفنها وخباها فما فقدها الا وقد سرقها واحد يهودي كان عندهم خدام حتى وصلوا بدعاويهم الى العامل فحبس جميعهم المدعي والمدعا عليه واخذ منهم مثل ذلك الفلوس بالحجج قدر ثلاث مرات. وبعد قال في نفسه كلها اليهود عندهم فلوس ادواح ، ليس دلال ، والدله دليل ، فلم يزال يعامل اليهود بالحجج وياخذ ما بايديهم . وفي الدول السابقه لاهل اليمن كان المعاش بضريبة سكّة الدول لليهود وكان يتسببوا منها ناس كثير غير الصيارفه حتى اكتسبوا بعضهم الاموال والحلي . وهذا صفة شغلها : قدر عشره رجال يذوبوا تعدول الفضه بالنحاس ويسكبونه في الرمل المصطنع لذلك ويخرجونه من الرمل وقد هو جرايد دقاق الواحده منهن قدر عشرين درهم ، ياخذهن المامور ويعطيهن للناس الذي يفرصوهن وهم قدر خمسين نفر ويسموا المكان المُفراصه . فيرجعوهن الى المامور وقد سموهن فول وهو يردهن الى ناس اخرين وهم قدر ماة نفر فيدكموهن ويسموهن دكمه . ويضربوهن ويسموا ضروب ويوطوهن ويقولوا وطا ويسموا هذا المكان مضرابه . فيسوقوا الوطا الى المامور وقطعتهن مستويه ما تفتتح حبه على

حبه والمامور يعطيهن الى مكان اخر ليجلوهن (94) ويسمونه المجلا . وبعد يرسل بهن المامور الى السكه وهو مكان عليه الحرس ازيد من غيره وقاضي من طرف الخليفه قاعد فيه والذين يشتغلوا فيه قدر اربعين نفر ولا احد يدخل الى عندهم ولا يخرج مثل ساير اخوانهم الذي يشتغلوا في تلك الدار . وهولاي قد لهم اله من الحديد مكتوبه اسم الخليفه والمدينه ويسمونهن راس وسفال فكل ثنين واحد يمسك الراس ويلقّم والثاني يضرب بالمطرقه حتى يكمل شغل الضريبه فيخرجها المامور. بعد يسترضيها القاضي وقد سموها الشغله فيعطيها الصيارفه وهم يصرفوها بين الناس ويسمونها صرف .

فكان في ذلك الوقت المامور على ضريبة الخليفه المذكور يهودي اسمه يوسف الشيخ لوي وكان متجاسر في اموره فاراد ان يوسع ثروته من فضة تعدول الضريبه فتبيينت خيانته عند العامل محافض المذكور وعند الخليفه محمد بن يحيا المذكور فحسبوه وقيدوه وخاطبوه خطاب شديد وهو مع خوفه على نفسه القا المصيبه على ناس غيره وادعا انه بري من هذا الدعوا وهو يعدّل الضريبه بالفضه سبيل المشاريط ، ولكن اليهود الذي يصيغوا الفضه قد (95) خانوها . وليس عندنا فضه معدن طيبه الا فضه مصاغه ، وفي ذلك الوقت وما سبق له كانت شغال اليمن معدّله سبعه دراهم الا ثلث فضه خالصه وثلاثه درهم وثلث نحاس. هذي تعدول فضة اليهود صيّغ اهل اليمن . فادعا يوسف الشيخ المامور لشغل الضريبه ان الفضه قد نُحست وزادوا فيها النحاس . ففرحوا العامل والخليفه بانشا هذي الدعوا لاجل ياخذوا رزقهم من الطرفين من المامور ومن اليهود . فجمعوا من لقيوا من اليهود الصيغ الى الحبس وخاطبوهم خطاب شديد بدعوا انهم غشوا المسلمين وحتى نسوانهم حرام واولادهم ليس هم على سنة النبي حيث وقد املكوا نسوانهم بالفضه المغشوشه ، ومن حيث والضروره داعيه لما يقوم به حالهم حكموا على الصيغ بالفين ومأتين ريال كُفّاره ، وفي هاذاك الزمان كان

الريال عندهم عقبه عسره من شدة الفقر خصوصا عند عوام الناس ، فلما فرقوا معاريفهم تلك الكفاره وقد فعلوها الذين مرادهم الضلم ثلاث امثالها فطلع صراخهم الى كبد السما من عدمها بايديهم ومن يسمع لصراخهم الا بعد تسليمهم ذلك . فناس منهم شردوا وتركوا بيوتهم واخذوها من بيوتهم وما نفعهم الهريب وناس باعوا بيوتهم وناس رهنوا بصاير بيوتهم وسلموا (96) وناس باعوا اداتهم وناس تخلّدوا في الحبس حتى سلّموا . ومنهم هذي اليهودي الذي وجدت اخوه في قرية ملح في ذاك الوقت وهو سليمان المسوري . فلما شاف الخُطاب والعذاب والذي يعذبوا اصحابه في الحبس وهو يعرف بنفسه ان ليس معه لا ما يرهن ولا ما يبيع ولا من يقرضه ، فدبّر امره في عقله لينجا من عذابهم. فالتزم وامتثل بما عليه من الفلوس وطلب ان يخرجوه من الحبس الى بيته ليسلم ما عليه. فاخرجوه مع اثنين شوش ليستلموها منه بالوفا وهي اثنين واربعين ريال . فلما وصُل الى بيته اخذ الموس حق تحذيف زوجته وذبح بها نفسه، والشوش الذين معه واهل بيته كانوا في غفله ، فما التفتوا عليه الا وقد دماته غماته وغريره كغرير الثور المذبوح . وزوجته لما رات ذلك صاحت باعلا صوتها زوجي مذبوح زوجي مقتول . واولاده يصيحون يا بونا يا ابا ، يا يتمنا يتما ، يا فقرنا فقرا على ابونا. والشوش لما راوا ذلك هربوا . وفي الحال حضروا الناس عليه ورقعوا حلوله مع رقبته بالحرير ولتموا عليها بعصيد البُر وربطوا راسه الى صدره بالحبل للا يتحرك . واولاده واهله قد اقلقوا الناس بصريرهم غير ما قد في حالهم من شدة الخطاب (97) حتى كانوا اكثر الناس رجال ونسا وجهّال من الخوف قياس في تلك الليله على روس الاجبي يدعون الى الله باصوات مخيفه وعاليه . فوصل صراخهم الى دار الملكه وحين وهم لا ينجون الا بتسليم ما عليهم ، فخاب اجر الناس الذي قد كان احضروا في تلك الليله الجنازه ليحملوا المذبوح الى المجنه .

فما زاد بقا على الصيغ بعد التسليم الا عبرة الاشغال بالروباص وتبيين كم فيها

من الفضه والنحاس للا يحصل غدر مثل ما سبق ولا تبتاع اشغال الفضه في الاسواق الا معبوره في النار بالروياص ومطبوعه باسم الخليفه ومكتوبه باسم الصايغ . وقبل ذلك كان يستغنوا بالمحك ، وهو امتحان الفضه بمسن الحجر السودا ، وليس الروباص كان مشهور . وايضا كان في ذلك الوقت وقبله وبعده اشغال الفضه قليله بالمرّه وما كان تسال عليها وتطلبها الا دول اليمن واربابها لا غير والقبايل وعامة الناس كان يستغنوا بحلي الحديد والنحاس والرصاص والخرز من الزجاج ذلك لعدم مدخول الفلوس لايدي الناس . واما في وقتنا هذا فالحمدلله ثُم الحمد لله الذي صارت اشغال الفضه اكثر من النحاس والحديد في ما سبق . هذا في سعادة الدوله (98) العليه دام اجلالها . ولا بد ياتي زمان ويطلبوا الذهب .

وبعض من السخفا يتندمون ويقولون كان في ذاك الزمان خير واسع كل شي رخيص حتى ان البُر اربعة اقداح بريال ، والذره عشره اقداح بريال والسمن والسليط من ١٤ الى ١٨ الرطل بريال ، واليوم القدح البر بريالين ، وقدح ذره بريال ، ورطلين سمن بريال ، وكل شي صار غالي . وهم مع جهلهم ما عرفوا سبب ذلك الرخص انه من عدم البُقشه عندهم . ومن وقت ما اشرق نور الدوله العثمانيّه الى هذا الديار ، ابهت لمعة صنعا اليمن وصارت منيره ، وحيت جميع حركاتها الى ان اعتزّ كل شي ، وحتى شاقي الخُلب الذي كان يتاجّر بقُشتين ونصف في اليوم ، في وقتنا هذا عشرين بقشه ، وايضا الارض الذي كانت مشوار الكلب بكلب ، في يومنا هذا القيمه بالمعشور لوجود البقشه بايدي الناس ورخصها . وهولاي المساكين لا يفتكرون ولا يعقلون ولا يتذكرون ما الذي جرا معهم خصوصا في ايام القحط سنة ١٢٣١ ، وزادوا قبايل بكيل في محاصره صنعا في خلافة المهدي عبدالله فوصل القدح البُر بعشره ريال ، وبعد ما اباعوا الناس اداتهم وفراشهم بارخص ما يكون لاجل البقشه ياخذوا بها طعام والفضه

الخالصه ابتاعت (99) من ١٢ الى ١٥ درهم بريال وبعد التووا على بيوتهم اخربوها ليبيعوا الخشب والاصابيع . والجوع لا يستحي منهم لا يخاف من جيفتهم بل يقود له كل يوم رجال ونسا واطفال الى الهاويه رغبته حتى انجح قُرا وشوارع وبيوت. ولولا ما رد وجهه الغيث الذي نزل بقدرة الرب الجليل لكان قد اهلك البلاد والعباد . وزاد عاود في سنة ١٢٤١ وتغلب بقدر جهده ، وغفل قرايب ورجع في سنة ١٢٥١ وهو نادم على الذين فاتوه في ما سبق فاستوفا ثنا ، كمن له دين ، عند الصغير والكبير . وفي سنة ١٢٧٥ اقبل وقد داراهم مداراه وساق من ساق وابقا الكفايه من الناس وفي مرامه انه يمهلهم ويعاود ليتقاضاهم سبيل عادته مثل سوالف الازمان . فما فقد ذلك الا وقد افتتحت الدوله العليه لهذا الديار وفجّرت انهار الاسباب وغرّست اشجار الارزاق وحرست عليها من الحواسد حتى اجتنوا الناس اثمارها واكلوا واكتسبوا من اطيابها وقد منعت دخول العدو المخيف المعاود ، وهو الجوع ، بايجاد قوة العساكر ، وهي الفلوس . وفي سنة ١٣٠٣ ارسل مقادمته الى صنعا وهم الشمس والرياح والضريب فدافعوا الناس على نفوسهم وبيوتهم بسعادة (100) الدوله العليه بالفلوس وزاد جلُب من البنادر دقيق ورز ما الذي قد عرفوا عمر البلاد . فلو كان هذا قبل مجي الدوله العليه لكان يا ستر الله من شدة الوقت ومن عدم البقشه .

اما الخليفه محمد بن يحيا المذكور قبل لما راى الاحوال من اهل البلاد متغييره عليه عزم الى الحديده واباع مملكة صنعا اليمن من الباشه وقبض منه القيمه وطلع مع توفيق باشه صحبتهم من عساكر الترك قدر ٥٠٠٠ فوصل بهم الى صنعا، وقد الناس ملامُين ، ويوم ثاني لوصولهم صنعا عابوا فيهم وليس هم محتذرين على نفوسهم فبعد تزبنوا في قصر صنعا وقد ذهب منهم من ذهب في الشوارع والاسواق . واليهود الذي كانوا في القصر في دار الضرب يشتغلوا السكه باسم الخليفه سبب الفتنه حيّروهم الترك مكانهم وليس عندهم من الطعام

شي حتى علا صراخهم واطلقوهم . والمحاصرين دافعوا على انفسهم شهر من الزمان حتى اصلحوا بينهم ان يفلتوا ويرجعوا الحديده والناس قد ردوا لهم خليفه علي بن المهدي المذكور سابقا . فلما طلع على كرسي المملكه امر بحبس محمد بن يحيا الذي اطلع الترك وبعد قرايب قطع راسه في الحبس . والقبايل لم تزال تتغلب (101) وتقلع خليفه وتركز خليفه وقد هجموا بير العزب وقاع اليهود ونهبوها واخربوها مرتين حتى شردوا الناس وكانت خاليه ، والفقر لا يزال مستولي على الناس جميعا . اما في عصرنا هذا فالمنه والفضل لله سبحانه الذي من علينا بشفقه الدوله العظما وبواشتها المفخمه وعساكرها المنصوره ، دام الله بقاها وعز نصرها امين .

قال متعلم الرحيل : وقد دخلت بخبر مهيل ، ولكن انا راجع الى سفرنا واحكي من حيث كنا ، وهو لما اكملنا شغلنا في ملح وزاد دوّرت ما الذي اشوف عند اليهود من اثاراتهم القديمه فوجدت في كنيسة بني قامس تاج تورات رفعات (تورت مشه) رضي الله عنه وله في تاريخه قدر ٤٠٠ سنه وفيه ورقه قديمه تاريخها قدر ٩٠٠ سنه وهي مقدمة تاج اخر . الكتبه فيها ملوّنه بالاخضر والاحمر والاسود والاصفر والازرق والاغبر ، خواتم ولواعب ، وكانت مغريه في اول التاج ومكتوب عليها من نسخة فارس . وزاد شفت ثلاثة كتب اخرات اثنين منهن تسابيح תהלים (١) وهو الزبور ، وهن مكتوبات في جلود ، احدهن (102) تاريخه ٧٠٠ وهو مرصف مثل ترصيف نشيد السكوت (שירת האזינו) (٢) والثاني تاريخه ٥٠٠ سنه ، والكتاب الثالث سقته الى معلمي يزيد ، وهو الجز الثاني من دلالة الحايرين (מורה הנבוכים) ، ربنا دليل الحايرين .

١- اي مزامير

٢- اي النشيد الذي يبتدأ بكلمة "إصغوا"

فلما همّينا بالسفر الى الجوف فاستوثق المعلم يحيا بن سعيد الذي كنا عنده برجل بدوي من مجزر يسفرنا الى اخوتنا الذي في الجوف وشرط عليه للا احد يتعرضنا وايضا يركّب معلمي يزيد على جمله . وفي ذاك اليوم وهو يوم الربوع طرحنا عند المعلم يحيا بن سعيد المذكور ما قد تحصل معنا من نسخ المكاتيب واداتنا وهو قفطاني الذي على جلدي وكوفيتي وشملتي وايضا الساعه والزنّه والسروال حق معلمي وقد استكفا بالقفطان الذي اعطاه الاستاذ يحيا القاره في صنعا ولو هو مرقع مشطط . اما شملته الغليظه الذي عاره رفيقي سعيد العروسي والكوفيه المدبعّه فما امكنه يخلعهن من فوقه . ذلك طرحت اداتنا في ملح لسبب ما قد تسلّخين وتعزّرين مثل ملابيس جميع اخواتنا الذي في تلك النواحي . ومن شدة الفقر يمشوا اولادهن صغار وكبار عريانين بالمرّه ، واكثر العذارى ما تلبس على لحومهن (103) الا شمايل غلاظ مرتوقه مثل الغراره ومفتوحه للراس والايدي فقط ، وذلك بامر ولاة تلك المحلات وهم الخوف والفقر وانا قد تصدق علي سعيد رحبي بلحفة ابنه لاستتر بها في صلوتي وفي رقودي وغير ولو هي كالمنخل فقد فرحت بها . والمعلم يحيا بن سعيد المذكور ، بعد ما اكرم بنا زياده على غيره، جمّع لنا من اصحابه ومن كيسه صدقه ازيد من ما جمعوا لنا في المديد ، ولو ان الفقر فيهم زايد قلوبهم وايديهم راخيه ازيد . وزاد اعطانا رشاد لطريقنا الى الجوف وبعد ما سلم الاجره للبدوي سالم زكّن عليه بشهود انه مدرّك ومخاطب بنا حتى يوصلنا الى اخوتنا يهود الغيل سالمين . وزاد سافر معانا يهودي من صنعا وهو مسكين واسمه يوسف عزيري .

ففي نصف نهار ذلك اليوم التزم بنا البدوي المذكور وسافرنا جميعا فوصلنا الى بيت من نواحي برّان وامسينا هناك . وفي الليل شد على جماله ركّب معلمي على جمله ورحلنا في عوارض الجبل ليس في سهل حتى نزلنا من الجبل . ووصلنا في اخر اليوم الى طرف وادي مجزر فربّخ جماله وامسينا في الخلا وسالم البدوي

يحذرنا للا يعلا لنا صوت خوفه للا يشعروا بنا البدو ويطمعونا ويقتلونا في (104) الليل ومن يعرف ما يكون بعد . وهذه اول ليله لمسانا في الخلا فبقيت حاير الفكر ولم ياتيني النوم وكيف تكون ليلتنا هذا شي الذي ما قد عرفت . فبينما انا مفتكر في بهاية نجم المشتري وضلمة نجم الزحل فاذا قد احسيت بشي يلامسني ويتنقل من مكان الى مكان في اعضاي فعرفت بالحقيقه انه حنش وما اعلم ما الذي يدور بيني . فخُفت خوف المنايا للا يحسي اعلي صوتي او اتحرك فيلذغني فلا يتركني ، فدعيت بخبيري يوسف العزيري بصوت واطي فذهن من نومه وقال ما الذي تريد خليني ارقد . فقلت لا يا اخي اني مدرك الحنش وسطي . فقال يحريمالدك ما احد يفجّع نفسه خلينا نرقد . فصبرت للمشيه حتى ما فقدت الا وما زاد احسيت شي فلفّيت على جسدي العريان باللحفه التي تصدقوا علي بها في ملح واكتبّيت من خوف الاوهام ورجعت لاتفكر في برج الاسد وفي ذيل العقرب . وبينما ذهني غامس في بحر الافتكار فاذا بالمسكين يوسف العزيري قد نهض من مرقده وصاح وهرب خوفه من الحنش الذي دخل وسط جرمه . فقلت له يا يوسف ارجع ارقد ما احد يصيح مثلك فزاد في صياحه وخاصمني وشتم ، حتى قام البدوي وصاحبه ونهوا عليه وقالوا له نحن كلنا (105) في خطر عظيم من شياطين البدو الذي في جوانب المكان هذا . فرجع وقد خف جنانه واسكه من نخيره . ومعلمي يزيد لم اسمع له نغمه . فسافرنا في بقية تلك الليله ، وصباح يوم ثاني وصلنا الى مجزر وادخلنا سالم البدوي بيته الذي من شعر واكرم لنا بالغدا ، وقد حضر عاقلهم ودخل علينا بكلام لطيف وزاد نبه علينا للا يسمع مننا كلام خامل في بلادهم واكّد علينا وسار . وبعد ما استرحنا قليل سار بنا معا جمله الى قرية الغيل فمضينا من واحد مكان وهو مبني بالحجار التي ليس هي منحوته ومنضومه بيوت مدوّره صغار وكبار وهو سكتين كانّه سوق . فسالنا سالم البدوي ما هذا فقال هذه دروم الكفّار ، فقلنا وما هن دروم الكفار ، ولا سمعنا منه لهذا الاسم نتيجه ولا من غيره ، حتى كشفنا عليهن وايضا هن قبور الاقدمون وانا

احكي بعد بوصفهن . فلما خرجنا من وادي مجزر وحرارة الشمس قد استولت في تلك البلد فعطُشنا وما وجدنا ما الذي نطفّي به شعيل نار العطش. فبينما نسير فاذا ببنيه ترعا الغنم في عراضنا بعيده مننا فقال لي البدوي سوق الجمل وانا اروح الى تلك (106) البنيه وهي تعطينا ما من ميلاعها او لبن . فدبّيت بالجمل الذي معلمي راكب عليه وهو سار حتى ما زاد شفته لا هو ولا البنيه فكنت في عذاب من العطش والخوف وبعد اقبل والما قد هو تجاهنا في الغيل .

فقبل غروب الشمس ليومنا هذا وهو يوم الجمعه بنصف ساعه وصلنا الى الغيل وساقنا البدوي الى مطرح اليهود . فحال ما رايت اول بيت من بيوت اليهود نطّيت ودخلت اليه خوف من القبايل وما زاد استدعيت بصاحب البيت . فلما سمعت مره من اهل البيت بدخولي صاحت علي بشخير ونخير وهي تقول من الذي في الباب ، لا تدخل ، وانا لا اسمع لها بل دبّيت ودخلت ولا رايتها الا وهي تمشُط شعر راسها وتغسله لحضرة السبت . فخزيت على نفسي ووقفت مكاني . وهي لما راتني ردّت على راسها بخرقة وقامت بنشط ترحّب وتبهل بي كانّها لي صديق ، وقالت لا تحمل على صياحي ونخيري يا مري ، انا واكنه انك גוי (١) واحنا نخاف من הגוים (٢) لانهم יבאו ישחיתו לנא ציריך אלשבת (٣) وقد مسكت بيدي وسلمت علي وادخلتني الخلوه وحضّرت لي القهوه ، وقد اعطتني قليل من اللحوح بعد ما حضر زوجها واخوه ، وقد سلموا علي وابهلوا بي (107) كفايه . وفي الحال طلبت الما لاغسل ارجلي وايدي ووجهي لاجل صلوة السبت في كنيستهم . ومن عادتهم اعطوني المكحله والدهنه لادهن وجهي وزنانيري ، بعد ما قد مسحوا على

١- اي غير يهودي

٢- اي الغير يهود

٣- اي ياتون ليفسدوا لنا ماكل يوم السبت .

ارجلي بالسمن حال وصولي . اما معلمي يزيد فقد وصل به سالم البدوي الى عاقل يهود الغيل المعلم يحيا الصعدي ففرح بمعلمي واكرم بوصوله . وبعد الصلوه في الكنيس الذي في بيت العاقل يحيا صعدي المذكور ارادوا ناس ان يضيّفوني عندهم فغلبوا النفرين الذي وصلت الى بيتهم وهم سالم الصعدي واخيه هرون قالوا لاصحابهم عيب علينا نترك في هذه الليله ضيفنا الذي وفد الى بيتنا وساقوني معاهم . وقد تكثرت الخير عندهم ولو ان الحال معاهم في اللُطف . وما زاد حضر من الزاد ليلة السبت الا ثلاث لحوح ونصف فرخ طاير لنا كلنا ، واما القهوه فقد كان سبقت حين وصلت لديهم . فقضّيت ليلتي باحسن ما يكون من اعلامهم واخبارهم . وفي اخر الليل سرنا الكنيس وقد طفا القنديل الذي سرّجوه من السمن في نهار الجمعه . وكم فرق في هجيل لحن صلوتهم الى هجيل صلوة يهود ردع الذي كلاهما مشارقه . وبعد الصلوه قبل القراه في سفر التوراة استدعانا للفرق صاحب البيت العاقل يحيا (108) الصعدي وقد زيّد لنا الحليب والسمن ، جزاه خير في الاخره ، وقد قهوانا القشر والزنجبيل والقرفه والسكر في الكنيس حال ما يقرون التورات برفع اصواتهم المستنكره لي . اما ملبوسهم حق السبت فليس هو مستنكر عندهم وهو من القطن الابيض الذي ما يرا الصابون ولا يعرف الغسل حتى يتسلخ وما عليه السلخ . وثوبه الذي الى اعلا ركبه المفقور يليه من تحت وصله قطن مطلقه يستر بها جوانب افخاذه مشدود بحزام من الجلد من فوق المتنات وعلى اعلا اطراف الميزر من تحت السره وعليها يلتف فيها كل حاجه ويسمونها حزّه . ويومنا هذا بركة السبت قد املوهن شعير مقلي ليطعموه بعضهم في الكنيس وبعد خرجتهم ياكلوه مع الجلجلان المقلي . اما صلوتهم فليس بشميل مثل غيرهم وهم بالمقاطُب التي في اطرافها هُدب السنّه (صيصيت) وهي لحاف صغار من القطن . وليس هم مثل اخوانهم يهود سُفال اليمن لا في طباعهم ولا في ملابيسهم ، ان اخوانهم هولا ليس لهم ثوب مفقور وهو القفطان وهم يستتروا بوصله من القطن مفقوره في وسطها بقدر ما يدخل

الراس وفي اجناحه هدب السنه ويسمونه طليت قطن ، والميزر من تحت ويلف جميع جسمه بلحفه كبيره التي يسيروا بها في (109) سبتهم وصلاتهم وغير قريب من السودان جوارهم اهل بربره الذي يلفوا جسمهم كله بلحفه كبيره . اما نسوان المشارقه فاكثرهن يلبسين القطن المصبوغ بالنيل ياخذوا الصبيغه او الشمله ويرتقوها مثل الكيس ما خلا مكان الايدي ويفقروا راسها بقدر دخلة الراس وتشدّ عليه في بطنها بحبل ما يكون شعر او جلد او سلب . وهولاي الاحبال هن الذي يشدوا بهن في سفرهم على دوابهم وفرق كثير بين يهود سفال اليمن وبين يهود المشارقه في اخلاقهم وفي طباعهم وفي معيشتهم وانا اشرح ذلك في مكان اخر انشاالله . وبعد ما خرجنا من الكنيس دعاني الى بيته واحد رجل وعادتهم يوم السبت انهم يجتمعوا بعضهم ويتملهوا بقلي الشعير ويسمونه الطروش ، والجلجلان وهو السمسم ، ولا يعرفوا الفواكه مثل اخوانهم اهل المدن ، وكثرهم يقرّوا اولادهم ويدرّسوهم للقراه حتى يقرّبوا عونة اليوم ، وهي اثنين اقراص فطير من البر لا زايد لاجل سنة تقديم السبت . ذلك تعويض الخمر او نقيع الزبيب من حيث وليس يجد عندهم . وهكذا اكثر نواحي اليمن عونهم من الذره في سبت وعيد وغير والبر نادر عندهم ويسمون خبز البر "הַמוץ" (١) لاجل البركه غير خبز الشعير واكثر (110) عونهم الهريش من البُر مع السمن او المرق ، وعصيد الذره مثل ذلك . ومعلمي يزيد قد ساعد اكل الذره وغير ، واما في صنعا ما كان يوافقه شي من الزاد المنضوم عندنا مثل الكعك وخبز النقي . وبعد غداهم منهم يرقد منهم يرجع للدريس ومنهم يتملهون او ينضفوا اداتهم وقعش النسوان في الشمس . والذين هم مسبتين عند القبايل اذا كان ولم معهم اكل من اليوم الاول يكفوهم القبايل بالاكل . ولكن ما يقدروا القبايل يجالسوهم ويحدّثوهم مثل ساير عادتهم في ضنّهم انها سنّه على اليهودي يحبس نفسه يوم السبت ولا يجوز يتحدث مع احد فلذلك ما يعترضوه يوم السبت في كل مكان كان .

١- اي هموص

ومن جملة العجايب ان واحد يهودي من نواحي صنعا كان من مخفين ثقل السنن، ففي واحد يوم من ايام القحط ظهرت الجراد حتى غطت عين الشمس لكثرها ، واخفقت الجو لحنينها ، وشهقوا الناس لقرودها ومع الجوع خايلوا اكلها . فتداعوا الناس لقرودها سبيل عادتهم من كل قريه ومن كل بلده ومنهم من يتبعها مسافة نصف يوم او يوم . فكان اليهودي هذا معاهم يُقرد لنفسه في ليلة السبت وكان قد نهوا عليه اصحابه في مكانه ولم يسمع لهم ، فلما شافوه القبايل يشتغل في القرود (111) وهو تجميع الجراد الى اوعيته ، فقالوا له اليس ما هذه الليله ليله سبت وانت تشتغل وتقرد ولا تحفظ سبتك ومن حيث وقد اخرمت السبت فواجب قتلك . فضربوه ونهبوا اوعيته وربطوه وساقوه الى قاضي من قضاتهم فجازاه القاضي بالحبس والقيد كم شهور حتى ارتقع خرم السبت باخذ بيته وماله وتشريده من البلاد .

اما معلمي يزيد فلا بهمته من هذه الاخبار ولا خرج من البيت الذي وصل اليه وهو بيت العاقل يحيا الصعدي المذكور سبيل عادته ، ولكن تخصيصه في قبايل الجوف ونواحيها والخرايب وما يليها من اثارات الاقدمون حتى سار مع اثنين يهود من الغيل الى حزم همدان وعيّد عيد الفطير في بيت سالم بن سعيد المشهور بحسن خلاقه ولطف حاله عند القبايل واليهود . وانا عيّدت عند اخواننا في الغيل كثّر الله خير اولادهم وقد تبعت معلمي الى الحزم ، فحال ما وصلت وهو ينسخ في بنات عاد من المرادم المستقيمه الذي يسمونهن معارب ، وهن تحت خربة هرم ويسمونها خربة الفرع ، فاخرجت القلم (112) واسرعت لانسخ من الذي ما قد نسخ لاجل اربح بالاجره ولا يكمل نسخهن فاخسر من اجرتهن فتممنا نسخهن وضوينا بيت سالم بن سعيد . وقد اخوتنا يتحدثوا ان الحاخام معلمي لما وصل الى بنات عاد وشاف الكتايب في المعارب فرح فرح عضيم وصفح وحجر وترقص وتفرقص وتبرقص وتفرصص وتبرصص حتى تعجبوا عليه وما عرفوا ما ضميره

في ذلك . وانت يا عزيز يا قاري كتابي قد عرفتك عادة اصحابنا خصوصا في الاثارات القديمه فاذا توقعت لي ان اشرح لك من المكان هذا ونتايجه بما فيه من العجايب القديمه والغرايب المهيله . اما معلمي يزيد فلا تركن عليه بشي من نسخ الاحجار بيده غير هذا المكان فقط .

واليهود قد املوا روسنا اخبار الاماكن والخرايب الذي في نواحي وادي سبا والجوف . فقال معلمي يزيد خذ ريال الذي قد تحصّل لنا من الصدقه وامضي اشتغل شغلك . فرجعت الى الغيل وقد معي معروف زياده سالم صعدي الذي وصلت الى بيته قبل فمكّنته الريال ليصرفه ليكون حاجتي مثل بياض وغير ولاجّر منه الذي يجوا (113) معي ليدلوني على الاماكن والخرايب . ومن حيث وليس تجد عندهم البُقشه ولا يعرفوها من بُعدهم من مُدن اليمن وهم بداوه ، فما معاملتهم ومصاريفهم الا بالحب والسمن والشعير والريال لا غير ، ولكن عادة الحب حقهم في مراغته الناصفه حب والناصفه تبن وتراب ، فاخذ بالريال حب وزاد عليه التراب والتبن حتى صار الثلث حب نضيف والثلثين تراب وغير . فاعطيته منه اجرة ما جا معي الى خربة السودا . وهكذا وصفها ، ولا تركن علي يا ايه الواقف اني احدّد لك الاماكن بتحقيق ، لان مع طول المده قد غفل من ذهني، وليس انا من اهل المساحه ، فاسمع مني وانا الذي قد شاهدت وهو في جانب خربة السودا هيجه عظيمة الاشجار تراكم من كثرها بعضها على بعض ، وفي جانب من صدفها اثارات بنايه كانت لها سوق وفيه مكان كبير مرتفع وفيه نشر حجار المرمر ، لا بد انه سوق شغل المرمر . وفي صدف الخرابه قريب منها ادواح كبار خزف مرصوفه شي كثير وهي مدفونه واليوم مبيّنه روسها على وجه الارض وايضا هناك صواليج كبار الكبيره منهن مثل المكان . والصولاج هو شي الذي تحرقه حرارة النار حتى تذوّبه وتغير حاله وما يعرف بعد ما جنسه . (114) وفي باب من ابواب خربة السودا متراكم من ذاك الوقت والى يومنا هذا كنس

المدينه كانّه جبال . وفي باب الخرابه دكّه مبنيه من الحجار ، وفي اساسها بسط من الخشب ومعا مرور الزمان ليس انهدمت . وعلى وجه الدكه حجر كبيره من المرمر منحوته وموضوعه كانها مذبح او مصطنعه لشي غير وليس عليها كتب مثل الذي وجدت في اماكن ثانيه . وايضا وجدت مكان خارج الخرابه وهو مبني بنايه مهيله بالحجار والياجور والقُص . وما قد رايت اثار القص والقضاض في جميع خرايب سبا . ولا بد ان هذا كان مسجد ولكن ليس هو مثل بنات عاد وغيره الذي تفرجت عليهن . ومن الكتايب ما وجدنا الا القليل . وقد زرت هذه الخرابه مرار . وعلى تروحتنا انا وسالم الصعدي من الخرابه لقينا شعر انسان طول اربعه اشبار تنفضه الرياح ولم يزول من مكانه حتى قربت اليه ومشعته من بين الرماله واذا هو قعشة مره شباب بدويه قد قتلوها ودفنوها وليس قد تغيّرت او انتنت . وبعد رديناها بين الرماله كما كانت .

فرجعت الى معلمي وسلمت له ما الذي حصل لي وما زاد امكنه يخرج الى الفرع الذي فوق بنات عاد ، وهو قريب من بيت سالم بن سعيد الذي (115) هو فيه جلوس ، ذلك خوف من القبايل ، فدخلت الفرع وفيه ثلاثه بيوت لليهود . ومن العجايب شفت فيه صخره من الصخور وهي منحوته كانها صابون وعليها نقش وقليل كتايب واختها خارج ، ولكن مع مرور الزمان قد هُدمت وصارت صبّه حجار وحصم . وفي تلك السنه قبل وصولنا الى ههنا لما ارادوا القبايل ان يطووا بير الجامع حق الفرع بالحجار نبشوا لهم شق الخرابه ليطووها ، واذا هم بدست من نحاس شبه الحوض ، غلظه اصبع وفي وسطه تماثيل والواح من نحاس . فهفتوا عليه القبايل وكسّروه بالحجار وتقسّطوه ، فاشتراه سالم بن سعيد وحمّل به الى صنعا ليبيعه فعلمت به في صنعا واشتريت منه قدر خمسين رطل ، وفيه اكسار تماثيل ومن الالواح اثنين الذي وجدت بينُه . اما اكسار نحاس الدست ذوّبته في شغلي وكان يطلع منه دخان غليظ اعظم من دخان الكبريت وما عرفت له سبب .

اما الالواح فقد اعرضتهن على يوسف اروجس الذي وصل من الشام ولم يدفع لي فيهن ثمن ، وقد بعتهن الى تاجر من الذي ينزلوا بندر عدن بالثمن الذي اشتريت به الخمسين الرطل النحاس . ويومنا هذا قد وصل بي معلمي الفرنساوي الى هذا المحل الذي ما (116) كان تصوّر الي قبل اني اصاله سبب انه من اطراف مشارق اليمن الجميل . وهو في الحال بلاد القتل بالصميل . وقد اخبرت في اول كتابي ان اكثر شوقي في سفري هذا هو لاتّصل بقبايل اليهود الذي ليس هم تحت وطاة اجانب لهم ، وايضا معلمي قد دخلت فيه الحزويه . هذا من كثر ما يخبصوا بها على طريقنا . وهولاي اخوتنا يهود الجوف ليس يجد خلفهم يهود من جهة الشرق ابدا حتى يخرج بحر العجم ، وانا اوفي ذلك .

وبعد ما سلمت لمعلمي الكتايب من الفرع عزمت مع يهودي دليلي الى معين فلقيت فيها كثير ، وايضا في المكان الذي شرقيها الذي هو مشابه لبنات عاد وانا ابين عجاييه بعد . ومن المتفقات الذي جرا معي في معين هو ان يوم من تلك الايام من حرارة الشمس هربت لاستضل في سقيف وهو وسط الخرابه وعاد هو على اثر بنايته القديمه وحتى سقفه من الحجار المنحوته على المرادم المسلوته وليس بالخشب . فلما استقرّيت اسهت عيني بالمنام فما شعر لي الا بصوت زري فذهنت وفتحت عيني واذا برجل ساع الخرابه منحني فوقي ، ولقفه مفتوح وصوته يتلجلج ويديه مبسوطات وعيونه قاهرات وجسمه يرتعش . فلما (117) رايته وقد تحقق لي ان ليس هو حلم فخفت خوف شديد وقلت في نفسي قد حضرت الشياطين ، فنهضت بفزع من مرقدي ومشعت جنبيتي ومسكت العود الذي معي بيدي وقد احشرت قواي للقتال ، وحضرت نفسي للموت وباعلا صوت اهتريت عليه وقلت له لعلباك يا هذا الجنس وما تكون يا ذا الشيطان . فاختلت قواه من البهيته وارتما على وجه الارض وقال بصوت دقيق ذليل اني من خيار الناس ولم اكون من الشياطين . فعرفت ان قد هو مبهوت فداريته باحسن حال حتى راجعت روحه .

فقلت له وما الذي غيّرك وابهتك حتى سقطت . فقال لما نظرت الشعثه الذي على جسمك تصور لي انك من العفاريت ، لان العفاريت يكونوا مشعثين وما يسكنوا الا في الخرايب . فقلت وما كلفك تصال الى مكان العفاريت . فقال لقد اتيت لاتوجّد ، عسى يرزقني الله . فقلت له وانا مثلك لاتوجد ولكن سيّرك . فقال سيّري (معنى خبيري) فتوانسنا وتحدثنا بالكفايه ، وبعد ما افهت حرارة الشمس خرجنا من السقيف ومشينا موطّيين وعيوننا على وجه الارض لعل نشوف ما الذي يرزقنا الله من اثارات الاولين . فوجدت زرار من الفضه ومن مدة الزمان قد هدم . اما البدوي فقد رزقه الله قدر درهم (118) ونصف قُطمره من الذهب ، ولكن الصايغ الذي اراد البدوي يبيعها منه ما رضي عليه بالرزق وقد غيّرها عليه بقُطمه من النحاس الاصفر . وانا تعجبت على قطعتها بالفراص كيف ما كدرت مثل باقيها ، وعاد الفرصه تلمع كان المشتغل فرصها في الحال ، ما كان قد لها كم ميات من السنين . وايضا قضيه اخرى جرت معي في خرابة معين ، وهو ان في واحد يوم نجح عليّا الما من ميلاعي ومع حرارة الشمس لهبت من العطش . فشفت بنيه ترعا الغنم وهي بعيده مني قليل فقصدتها لاسالها الما او لبن . وهي تشاهد خرجتي من الخرابه فكان كل ما اقرب اليها وهي تهرب حتى اقفيت من الخرابه وايضا من الغنم وانا الحق بعدها فتغضبت وصحت عليها وقلت يا ولده ما الذي يخيفك حتى تهربي مني . فقالت لا تقربني انك من العفاريت . فقلت لها اعوذ بالله لا تخافي اني من خيار الناس . قالت ان كنت من الناس ما كان على جسدك كثر الشعر هذا . فقلت استغفر الله الذي خلقني هكذا وليس انا من الجن ولا من العفاريت والحمد لله اني من خيار العرب . فقالت وما الذي تريد مني حتى تتابعني . فقلت لها اني ضميان اريد الما او اللبن لا غير . فقالت اما ميلاعي فهو حيث كنت واقفه (119) عند الغنم امضي اشرب وخذ منه حاجتك فرجعت وهي تأمّر لي المكان من بعيد ، فشربت واخذت لي في ميلاعي .

وبعد ما قست الجدار الباقيات على اصلهن ، عليهن واساسهن ، خصوصا بعض جدار السور ، فرايت امر عجيب ، وهو ان من تحت الاساس حق هذه البنايه المهيله لكن من الطين غير محرّق ، بل انه مثل لبن الطين المعامل التعمير بها اليوم. فاخبرت بذلك معلمي فانكرني ولم يقر لي عن ذلك حتى توجهت الى مكان اخر . ومعلمي اتخذ له يهودي من الحزم ليسيروا الى معين في غفلتي من غير علمي . فمضا به اليهودي على اثر مداسع ارجلي فليس يجدوا مكان فيه من الكتايب الا وقد وصلته ونقلته وزاد تحقق ببعض جدار الاسوار المستنكره بعظمة البنايه في بواقيها من عليها وعرضها وكبر احجارها المنحوته كانها صابون . وكل هذه القوه المهيله والاساس من اللبن التي من الطين وليس من الياجور المحرق ، ذلك كما حققت له لا زياده ولا نقصان . فبعد ما دلّه اليهودي على اثر مداسع ارجلي في التراب وراى بعينه ما حققت له به صحيحا وبعد ما اخبرني بكشفه علي واقراره (120) فقلت في نفسي قد صح لي الاجر غير الاجره . واذا سالت ، يا عزيزي ، وكيف عرف اليهودي كل الاماكن الذي دعستها في خرابة معين . ليكون معلومك ان في هذه البلاد وهي الجوف بعض الناس ذكور او اناث يعرفوا الماضي باثر مداسع ارجله ويقولوا مضى من ههنا فلان ولا شافوه في هذا الحال ولا سمعوه بل يشوفوا مداسعه في الرمل كان محتذي او بغير احذي واكثرهم بلا شي ، سبب ان البلاد رماله . واحذيهم جلده مطلقه على كف الرجل وعليها اثنين سيور بحسب ما تتعلق بها الارجل لا غير . فبمعرفتهم هذه ، البدو يسيّبوا خدورهم من غير حرس ويسيروا في اشغالهم ولا يخافوا السرق . واذا سُرق عليهم شي يلحقوا على الاثر حتى يخرجوه ولو كان قد هرب السارق مسير يوم او يومين فانهم يلحقوا عليه ويخرجوه . وانا امتحنت ذلك من حرمه عجوز يهوديه واقرّيت لها . وانشا الله اوفي هذه المعرفه في مكان اخر . وبعد ما كشف علي معلمي يزيد فقلدني ولم زاد يتوهمني بنقص او خلل ابدن ، من حيث ولم يجد ولو حرف واحد زايد او ناقص .

وانا قد اجرت لي هرون صعدي وهو اليهودي الذي وصلت الى (121) بيتهم هو اخيه سالم ليسير معي الى خربة البيضا . فنقلت ما الذي وجدت فيها وهن قليل ورجعنا الى خربة السودا ودوّرنا ما الذي نزيد نلقا . وفي اخر اليوم عاودنا الى الغيل ، وقد احنا جايعين تاعبين لاغبين لاضيين . فلما وصلنا قريب قرية الغيل ، فاذا بجربه مزروعه علف الدواب وهو القضب . فقال الخبير تعال ننسُم ههنا ونستريح على هذه الخضره . فقلت له وكيف نستريح وما فيه هنا واحد حاجه . فقال اجلس لا تخاف فجلست في عريم الجربه وهو دخل الى بين القضب وجزب بجنبيته اثنين مقاصيع يقوّتين فرس او حمار فوصل بهن الى جنابي وريض مثل ما يربض الثور على علفه فميّزني واكرم لي بالمقصاع الاكبر وقال جبا لك بهذا . فتعجبت عليه وقلت في نفسي هو يعرف ان ليس لي لا جمل ولا حمار لا فرس ولا ثور لحتى اطعمها هديّته هذه . فبينما المقصاع في يدي والليل قد اقبل وانا اتفكر ما مقصده في ذلك القضب فاذا قد انجح اكل المقصاع الذي في يده وقام ليعوض له غيره . فقال لي غذّي قلبك باكل هذه القضب الخلقه وله تحرم نفسك هذه الخضره العظيمه . فقلت في نفسي لا بد ان هذا العلف يقوم بالمقصود والتذ به ، فحشرت عرقين منه وطعمته ، ومن حيث ونفسي (122) نفس انسانيه ليس نفس حيوانيه مثله كرهته وعفيت منه وقد تراشيت نفسي لاقضي به ديني ولم رضي ينزل من حلقي . فقلت له يا اخي اني ما الفت لاكل هذا العلف ولكن اعجل نعاود الى الغيل قبل ما يضلم الليل علينا . فوصلنا الى بيته وقد حضروا لنا الدهنه فبقيت مستنضر للعشا وما عرفت ان قد قضا عشا ليلته بالقضب من شدة فقره . فلما عرفت بضعف حاله ، قلت له ان لي حاجه مهمه عند عاقلهم يحيا صعدي اريد اسير الى عنده في الحال . فقال قد هو ليل ، ولا بد قد رقد وانما انا اجي معك فقلت اجلس مكانك وانا اسير وحدي . فعزمت الى بيت العاقل يحيا الصعدي، وقد كانوا نايمين ، فقام وابهل بي وسالني من اين وصولي اليوم فاخبرته بالمتفق وقد قرّبوا لي العشا . فقال لي اليس تعلم ان هذا المسكين وهو

هرون الصعدي لما جمعت لكم الصدقه من اصحابي ومني ، تكبّر عليه وجوهكم ، ومن حيث وهو فقير الحال وليس عنده شي ومراده يدخل في اجر الصدقه خلع الاثنين الخواتم الذي في يد زوجته وهن حلية فضتها الذي تحتلي بهن بين الناس. فقلت له وكيف يجوز لك تاخذ لنا معاونه من هولا الفقرا الذي ليس معاهم شي ، وانا ومعلمي بحمد الله ما نحن قاصدين (123) الصدقه للكسب مثل غيرنا الا لما يقوم به حالنا في سفرنا هذا لا غير . فقال هذا شرعنا في بلادنا ان نحن نكرم بالضيف بما يحتاجه وحق واجب على كبيرنا وصغيرنا ان نجتهد بالوافد غني او فقير . ولو ما قبضنا من هرون الصعدي خواتم زوجته ، كان عيب علينا ولا بد انه يطلّعنا للحكم عند جيرانه ويغرّمنا لاجل ناموس شرعنا . وانا مما شفقت عليه ارجعت له خواتم زوجته ولو ان ثمنهن واحد غرش . وزاد سلمت له اجرة ما جا معي الى خربة البيضا والسودا من غير اذن من معلمي يزيد . وبعد ما سلمت لمعلمي ما وجدت من الكتايب قال لي وكيف هذه السطور الذي نقلت من البيضا ، وهن كلام واحد ، لا زياده ولا نقصان . فقلت له نعم ، اني نقلتهن من اشقاق سور الخرابه . فتعجب على سخافة الاقدمون الذي بنوها .

وبعد ذلك رجعت الغيل واستدعيت سالم الصعدي اخو هرون يسير معي الى خربة براقيش سبب ان البدو الذي في نواحي الخرابه عُملته فلا خوف علينا . فوصلنا ولقيت فيها كتايب كثير خصوصا على السور . فلما شفت كم سطور ممتدّه وطويله في عرض السور (124) والمشروط بيني وبين معلمي كل سطر بربع غرش، فلاجل تكثير العدد قسمت السطر سطور ، في هذا المكان لا غير . وفي ذاك اليوم نجح علينا الما ونحن في الخرابه فمضينا منها لنطلب الما من البدو التي في تلك المحلات . فرايت قصبه وفيها ناس فضربت الباب لادعو من اهلها يسقونا وانا اقول يا اهل البيت اسقونا . فبدت واحده حرمه تجاوبني فلما ادركتني اغلقت الباب ولم تجاوبني . فبينما اضرب الباب مره ثانيه وانادي اهل البيت فاذا بصوت

حرمه من علو القصبه تقول يا عايشه من الذي في الباب . قالت حاشيك هو الذي لا يُذكر . فلما سمعت قولها نسيت العطش وهربت من ذلك المحل . ففاجينا امراه عجوز ولها ديمه وهي من مجزر فسالناها الما . فقالت توقعوا حتى يصال ابني من المرعا وهو يسير يسقي الثيره في البير ويدي لنا ولكم ما . فاقبل ابنها بعد المغرب واخذ اواني الما وسار . والعجوز قد اكرمت لنا بالدوم وهو النبق وبقينا منتضرين للما حتى مضا نصف الليل وما بدا بادي . فقلت للعجوز انك تضحكي علينا . قالت وانا قد قلقت على ابني وهانا اسير ادور عليه لان البير ليست بعيده مننا . فسارت وما رجعوا الا في ثمان ساعات في الليل وكان قد تلفت من العطش . (125) فاشكا البدوي ان سبب تحيّاره حيث الثيره هربت عليه وبقا يلاحقها طول الليل . هذا ما اتفق معنا في طرف وادي مجزر قريب من خربة براقيش . ويوم ثاني رجعت الى معلمي واخبرته بوصف الخرابه وسلمت له النسخ وهو ينقلهن بخطّه سبيل عادته .

وبعد رجعت الى الغيل وسرت منه الى علاو الجوف مما يلي قرية المطمّه . ووجدت في صدف جبل سليام قليل من الكتايب فدخلت الى غول من اغوال الجبل لادوّر ما الذي القا من الاثارات فما لقيت في ذلك الغول الا قذارة الوحوش كانها مربض القُراش . فهربت من ذلك المكان وقد قشعر لحمي من الخوف . وزاد مضيت الى قرية الزاهر وشفت فيها جامع كبير للمسلمين ولكنه هامل . وكان فيها يهود وفي الحال ليس ، وشفت فيها بيت يهودي هامل ، وليس الباب ومرادمه حجر واحده . وفي اخر اليوم وانا في الخلا لقيت بدويه وعلى راسها مكرد وهو انيه من الخزف كان فيه مصر الحوت ، فضنّيت ان فيه ما فسالتها الما . فقالت لا تسالني والخارد تجاهك ، امضي اشرب مرادك ، فهي الذي مضت من قُدّامي واذا على كتفها قدر عشره من الحوت طول الواحد ذراع يد ، فلما حزرتهن تشوّقت نفسي (126) للحوت فسالتها ثانية فقلت اني اعطيك القيمه . فقالت لي لا تسالني والخارد

قدامك خذ لك من الحوت كم ما تشا . فسرت ادوّر ساقية الخارد الذي ذكرت لي ، وليس عرفت اين هي ، حتى غربت الشمس وما وجدت شي لا ما ولا حوت ولا ناس اسالهم . فمن الطاف الله لاقيت سالم الصعدي وهو جاي من عند البدو عُملته فشكيت عليه بما في حالي . فقال لا تشجن ان عندي بما يقوم بك الليله من الحوت فساق بي للما عند بدو ليس من عملته وهم يشعلّوا ويشووا الحوت شوي . وسالم اخرج الحوت الذي في طرفه وشواهن واكلناهن ومع لذة الحوت ما شبعنا فاكرمونا البدو حتى جلسنا اكثر الليل نشوي وناكل . وقد استعلمتهم كيف تحصيله لهم فقالوا مع الحرب الذي بين القبايل قطعوا ساقية الخارد من فوق حتى امتنع الما والحوت احتبس . وبعد ما اخبرت معلمي بذلك قال لي ان كان جبت لي قليل من الحوت لكان تجملّت ولكن ارجع الى براقيش ولا تعدم ايامنا باماكن فارغه مثل هولا .

فرجعت الى براقيش وزاد دوّرت في حولها فلقيت مقبرة عرب ومع كثر الزمن قد اخذت الرياح والامطار سحبت التراب الذي على القبور لحتى ان قد عضام الاموات كلها مرصوفه على وجه (127) الارض . فبينما انا مفتكر فيها فقلت في عقلي هل تعرف عضام السيد من عضام العبد او الملك من الخدام وحتى العابد من غير عابد ، ولم عرفت . وايضا في جانبها مما يلي خرابة براقيش مقبرة يهود وعاد اكثر دكاكها باقيات وعليهن كتايب عبرانيه بلغه سريانيه ، نص شرحها :

אתנגיד ואתנח מר ורב סעידד בירב ישע וכו'. (١)

١- الكلمتان الاوليتان باللغة الآرامية . وقد ترجمها غويتين على النحو الآتي : توفّي وارتاح . اما بقية الجملة فهي باللغة العبرية وتعني : حضرة الحاخام المبارك بالتحيّة ...إلخ

واكثر القبور مكتوبه وحتى النسوان ، وشرح اسمايهن "מרת נוגה" (١) (زهره) "מרת יונה" (٢) (حمامه) ، وتاريخها من مدة ٤٠٠ سنه وقبل وبعد. وبينما انا متردد في خطوط قبورهم فاذا قلبي قد خشع لسبب انه خطر في بالي ما الذي اوصلني الى هذا الخلا وكيف كانوا اخوتنا او ابوتنا هولا بين جيرانهم ، وكيف كانت عيشتهم ، وكيف كانت ديانتهم ، وهل لهم نسبه الى يهود صنعا ونواحيها ام لا . فبكيت بكا شديد على تشتيت اليهود في اضهار القبايل وتفريدهم في كل ارض وفي كل بلده ما داموا الناس حلال فيها ، وزاد داخلني الغثا والحزن والتاسف على احوال الملّه جميع . فبين ما انا غارق في بحر الوسواس بالبكا والنهيج والحنين بيناة تلك (128) القبور ، فاذا تصوّر لي ابليس يقول لي ما لك ولهولاي الناس الذي قد فاتوا ودفنوهم وما تعرف كيف كان جنسهم ولا ما اصلهم وكيف كانت عقايدهم حتى تدعي وتبكي وتتضرّع الى ربّك بفضل تربتهم . فلما ضربت ريح ابليس في سحاب خيالي نزّت نزول الامطار من عيوني وتفرقت السحاب من فوق المجنّه ومضيت من ثم في سبيل عادتي ونور الشمس قاهر لي . وبعد سنه من تاريخ معلمي يزيد ، وقت ما جمعت الكتب القديمة من كل مكان من نواحي اليمن بالفلوس لرفعات بن وهب الحسن (مشه بن نتنال شفيرا) الذي غرّ علينا بشراها فمن سطور تواريخ بعض هولاي الكتب عرفت بالحقانيّه اني من ذراري هولا الناس المقبورين في هذا المكان وقد سكنوا جدودي في براقيش .

وايضا قست الخرابه فوجدت قد بنوها وحلّوا فيها ثلاث مرات بعد الذي بنوها اول مره . ومعرفتي لذلك انه استلخ وخرب شق الداير الذي عاده على اصل بنايته الاولى مع ما يليه من البيوت الذي وسط الخرابه فرايت البيوت القديمه المهيله في

١- اي "مرت نوجه" ونوجه كلمة عبرية تعني زهرة
٢- اي "مرت يونه" ويونه كلمة عبرية تعني حمامة

بنايتها الذي لا اقدر اصف تفخيمها وعضمتها وكبر احجارها وصنعتها وعمارتها الذي كانّها حجره واحده ملحومه من مطابقتها على بعضها بعض والشعره ما تدخل (129) بيناتهم . اما هذه العماره فقد اكتبست وبنوا فوقها باللبن وقليل من الحجار الاولات وخربت واكتبست تلك العماره الثانيه وبنوا من فوقها عماره ثالثه وخربت وعمرت رابعه مره . والقص والقضاض لا له وجيده في البنايه الاولى .

وابواب مدنهم وبيوتهم واماكنهم وطاقاتهم فهما اصغر قليل من الموجودات اليوم في صنعا وغير . وذلك دليل محال الذي يكابروا ويقولوا ان الذي بنوا هذه القصور كانوا من اولاد شداد بن عاد عمّ عوج ملك البستانيه ، وهم الذي عمروا الارض وقد كانت فردوسيه . فيا ليت شعري كيف كانوا يدخلوا القصور والبيوت هذه وهم ناس كبار الواحد منهم في دعواهم يقلع الجبل وينقله مسافه لنا يومين او ثلاثه ويفصلّه قصر او مدينه او قريه كيف ما يشا ، وبلا شك ان بعد التعب هذا يحتشي حُشي في انقاب العماير ، والى الان ما عرفت ما ضمير للخرط هذا . وايضا الذي رايت في الفرع ، وهي بنات عاد ، فمن العجايب ان الباب الاول وهو الخارجي صغير لا يدخله الانسان الا ويكاد ان يعطف راسه قليل والباب الذي بعده وهو الواسط افتح من الاول قليل وهو انضم من الاول في شكله والباب الثالث وهو باب المكان الذي يسمونه القبايل م ك ر ب (130) بنات عاد وهذا وصفه الباب اكبر ما يكون من الاوّلات والجدر الذي في يمان الباب كله حجر واحده . ولالة الباب منها مصطنعه ومسلوبه ومنقوشه نقش يبهر العقول ، وقليل من الكتايب ، ومن اليسر كذا المثل . ومن فوق اللاله العليا مع المرادم وكلها حجر واحده وهو الجدر الذي من فوق تكويبة الباب مركّبه على جدار اليمان واليسار . ورايت بعض من هولا الجدار المهيله قد انحنت الى القاع وهي مخدوره في طولها خدر ناعم كان الخدر في خشب ويقولوا القبايل انها كانت مسمره بعضها في بعض . اما المكان ليس بجدار الا بمعارب كبار مركّزه ومرصوفه في يسار ويمان

الانسان الذي يدخل من الباب المذكور وهي الذي وصلت اليها ومعلمي ينسخ منها. وفي وقتنا هذا بعد ما طال اعمارهن الى هذا التاريخ سنه ١٣١١ عجزين وخرفين وهرمين كعادة الشايبين ان يكونوا هرمين وخرفين ، قبايل همدان الجوف يقولوا ان هولا المعارب لا حاجه لبقاهن ، انهم يكلّفين علينا هرم من الكُفّار ما دامين باقيات ، واليوم يكسّروهن ويحرّقوهن ويعلموهن نوره . فلولا اركنني معلمي يزيد انه شا يرسل لي بمنشار لانشر معارب بنات عاد اخو ثمود وانا ارسل بالواح منشوره (131) اليه ، ما كان زاد تحدثت منهن .

وحيث وكنت في خربة براقيش لادوّر ما القا ، اتفقت بمغُرَي في واحد مكان وداخله ضلام . فرميت بالحجار لاسمع له قعر ، فاذا هو قريب ، وزاد رميت فيه بالتراب والحجار ليكون لي درج لانزل واطلع ، حتى نزلت ودبّيت فيه ، فاذا هو سقيف وله معارب بلط مركّزه اكبر من السقيف الذي وجدته في معين ، وهو مملو رماله دقيقه يكاد يغرق ويطفح الانسان فيها . فبينما انا ادب في وسطها لادوّر ما اجد فاذا قد لامست بباب السقيفه وتعجبت في نفسي وقلت وكيف يستقيم هذا الباب الى يومنا ولا ينهدم مع مرور الزمان فضربت عليه قليل بحديد العود الذي هو لي سلاح فاذا ليس صوته من الخشب الا من الاجساد . ففرحت وقلت في نفسي اليوم قد رزقني ربي بباب من فضه او من نحاس . فخرجت من السقيف لاتحقق مكان الباب من خارج لحتى احفر عليه واخرجه وبعد تعب عرفت اي زاويه مطلوبي ، وحفرت هناك تراب حارق ، ليس طين ، حتى انكشف لي ذلك الباب واذا هو مصطنع من حجر واحده مزخرف ومنقوش على هيئة الاجساد ليس كنقش الخشب ، وبعد ما سيّبت هذا المكان وجدت من الكتايب كلمه وهي حرف واحد .

ويوم ثاني (132) دوّرت في نواحي الخرابه من حولها ولم وجدت شي . فعندما حمت الشمس هربت لاستقر من الحما في واحد جرف في صدف داير براقيش ، وهو قد امتعل ، الداير ، في جهه في عرضه حتى صار مثل الجرف . فبينما انا جالس فيه

ومفتكر في المقبره الذي قد ذكرتها فوق ، سبب انها قدامي ، فاذا باثنين بدو ماضيين في طريقهم وهم بعيد مني فقلت في نفسي ليس يدركوني ، ومع حدّة نضرهم وخوفهم وتحذيرهم من المغازي والكماين من بعضهم بعض قد ادركوني وارتدّوا من طريقهم يقدموا الي حتى قربوا قليل ونادوا علي قايلين : من تكون ، وانا من خوفهم ما امكنني اجيبهم وهم العقوا فتيلهم وزاد قربوا قليل وارادوا يطلقوا الرصاص من بنادقهم فحالما هم مقبلين علي طرحت ميلاع الما وقرعت الدقيق رشادي ولحفتي من فوق ضهري وقبعي من فوق راسي وخرجت من الجرف كان ما عندي من الخوف شي والتويت على السور مقفي منهم لادخل الخرابه من الجانب الثاني لحتى اذا تبعوني هربت من جانب اخر فدخلت الخرابه لحتى وصلت فوق الجرف الذي قد كنت قاعد فيه فاذا قد هم هاربين خلف الطريق الذي كانوا فيها . وبعد يومين اتفق امسيت عند بدو ، فلما (133) سالتهم من الخرايب والاثارات القديمه سبيل عادتي قالوا اما فلان وفلان فقد شاهدوا العفريت وسط النهار في خربة براقيش فقلت وكيف كان ذلك . فنادوا على واحد منهم وقالوا له اعلم هذا الضيف كيف شاهدتوا العفريت وسط النهار . قال نعم اني جزعت انا وفلان من محل فلان واذا العفريت كان جالس يتلوا على سور الخرابه ، فضنّينا انه به علينا كمينه فقرعنا الفتيل وقربنا للقتال حيث واحنا نناجيه ولم يرد لنا جواب . فلما قربنا منه وجدناه كله شعثه ، وجهه وايديه وارجله وبطنه وضهره ، وبعد ما عرفنا انه عفريت هربنا ولاطفنا ربنا ولم ضرّنا . وانا لما سمعت كلامه هذا حمدت الله الذي صوّرني لهم جنّي يشل عقولهم لحتى اوفي مقصود معلمي يزيد . وبعد ما خلّصت ما الذي وجد لي في براقيش رجعت الى الحزم وسلمت ما حصل لي لديه .

ويوم ثاني طلعت خربة هرم هي الفرع ومن حيث وما زاد بقا لي فيها عمل الا ثنتين او ثلاث حجار مكتوبه في طواية البير حق المسجد فقصدت نسخهن ولكن ليس لي طريق من اين اتفكر عليهن الا من طاقة المسجد . فدخلته تجاه الغدا وليس فيه ناس وتلاهيت (134) بشغلي حتى اقبل ليصلي صلوة الظهر واحد سلطان من سلاطين الجوف واسمه بن قملا ومعه من اصحابه خمسه عسكر وهو مقلد سيفه وعسكره بالبنادق

فدخل المسجد وانا قد خرجت . فبعد ما صلا خرج هو واصحابه وقد كان كامن له واحد عبد لناس من اعدايه فلما راه السلطان قال له لعلباك ايش معك ملعق للفتيل . قال العبد اني بغيت ارمي غُراب . السلطان واصحابه هم الذي قفوا والعبد اطلق ما في البندق الى السلطان وهرب . والسلطان مشع سيفه وقفز اربع خطا ليقتل العبد وقد اتذق على وجه الارض ومات . وبعض من العسكر تبعوا العبد ولم لِفيوه وصوت البلا انتشر ، وصلحهم اختشر ، وحربهم احتشر ، من عصر ذاك الى يوم ثالث وهم في حشيرة الحرب وفي صياح ونياح رجالهم مع نساهم واولادهم وكان السما قد انطبقت على الارض ، وليس بطايل سبب ان العبد قد هرب الى واحده قصبه خارج قرية الحزم واصحابه يدافعوا عليه من القصبه حتى دخل من حيث وهم يطلقوا الرصاص على من قرب من اهل السلطان فليس يمكن الهجوم عليهم وكم صياح صاحوا وكم عايق عيّقوا وكم مهاري اهتروا من غير فايده ومن هرج صياحهم كل شاجع يخاف ، حتى نزلوا الشوف (135) من جبل خبٍّ وطفّوا نار الفتنه واصلحوا بينهم بما الذي ما عرفنا .

اما العبد القاتل فما عليه من الخوف سبب ان شرع قبايل ذو حسين وهمدان الجوف واشراف الجوف عادتهم اذا قتل العبد او المره او الولد او القراري او اليهودي فلا قصاص عليه الا من اهله او من اصحابه سبب ان ما له ثمن ، واذا قتل القبيلي من هولا فحجّته كبيره ولذلك في محاربهم اذا غلب جهد واحد طرف في الحرب قدموا نساهم واولادهم للحرب فلا يمكن يجاهدوهم ابدا فيختسروا وعيب كبير عندهم قتل هولا سوا حق او باطل . اما قتل رجال القبايل فذلك هو شهرتهم . وانا رايت وسمعت نسا البدو حين تربّي ولدها تدعي له وتقول : يجعلك ربي قتيل ولا يميتك موت الدواب . واذا مات موت طبيعي فمن جملة ما تعدّده وترثي عليه تقول : ليته اغتسل بالدما ولا مات حرما . وايضا رايت اكثر الرجال بافعال فيهم من سيف او عود او جنبيه او رصاص سبب الفتن والمغازي بعضهم بعض . ولكن البركه فيهم من حيث وكل واحد منهم يتزوج من النسا لا اقل من اربعين او خمسين امراه في حياته . ويهود الجوف يتزوجوا في مدة حياتهم ثمان او عشر ، وتجد (136) عند بعضهم ثلاث او اربع

نسوان طباين . وايضا الهاويه تسوق عليهم سبب حرارة الشمس وابخُرة الارض اليابسه فلذلك لم اجد في يومنا هذا ولا واحد من الذي عرفتهم مع معلمي .

وزاد اتفق في قرايب ان اربع شباب يهود من الغيل دخلوا الى صنعا ليتصرفوا. فبعد ما خرجوا وصلوا بحميرهم الى راكض وهو الجبل الذي ينزلوا منه الى الجوف فامسوا في الخلا سبيل عادة المسافرين في تلك النواحي . فبعد ما نقضوا حمولتهم من فوق دوابهم مضوا منهم اثنين في الليل لينتولوا لهم ما من الحياره وهي قريبه منهم . فاستبطوهم خبرتهم ولحقوا بعدهم . ويوم ثاني جو البدو ليستقوا من هذا المكان فراوا واذا يهود مقاتيل في الما الذي على طريق راكض ، وكذلك سار الصوت من مكان الى مكان : يا عيباه يهود مقاتيل في الما الذي على طريق راكض ، والذي سمعوا الصوت ينادوا ايضا مثلهم : وُب يا عيباه ، يهود مقاتيل في الما الذي على طريق راكض ، وكذلك سار الصوت من مكان الى مكان حتى وصل الى الغيل والحزم الى اليهود ، وبينهم وبينه قدر مسافة يوم . فاحتشروا وفقدوا من منهم غافل في تلك الجهات فقالوا بعضهم لا غير (137) من الاربعه الشباب الذي طلعوا صنعا فخرجوا منهم سته انفار واخذوا معهم ثنتين جمال من جيرانهم وعزموا الى راكض فوجدوا اربعتهم موتا في الحياره بين الما . فاطلعوهم وشدوهم على الجمال وساقوهم الى اهلهم ليقبروهم في الغيل للا يقولوا انهم مقتولين قتل . ودوابهم حملوا عليها بضاعتهم واوصلوها الى اهلهم . وصاروا اليهود وبعض من القبايل يرثُوا على الوقعه هذه . هذا ما اتفق في قرايب ولا بد ان سببهم المجاسره من غير افتكار في كل شي مثل القبايل جيرانهم ، يمكن ان الاول الذي اغترف الما طحُس الى الحيّاره وليس هو سبّاح والثاني ما يمكنه يتفرج عليه يغرق سبيل عادتهم ان يجتهدوا على صاحبهم ولو كلّف الموت ، فيمكنه انه قبضه واراد تخليصه فمسكه الاول وجرّه اليه والاخر مثل ذلك . اما اليهود كلهم الذي في الجوف باسرهم فلا يوفا عددهم الى ١٥٠ نفس وهم ٨ لحم . الاولى آل شراره ، والثانيه بيت الاسد وهما منقولين الى الجوف من بلاد نهم . والثالثه آل يهودا الباسل وهم هربوا من صنعا وقت ما طلب الخليفه المنصور الاولاد اليتمى من اليهود ليسلموا

عنده كما ابين ذلك بعد . الرابعه (138) آل صعود وهم من صعده ، والخامسه بيت جلاّخ وهم من خولان ، والسادسه الارحبي من ارحب ، والسابعه الحجازي من الحجاز، وسليمان الجوفي . هولاي جميعهم في افتكاري نقايل من دون الجوفي ، وابنه من الذي غرقوا في راكض . والتنقل هو حال يهود اليمن اما هولا فزياده . وليس فيهم من اللحم الذي وجدت في مقبرة براقيش الا لحمه واحده ، والزمان من عادته يجتا ويكره بعض اللحم حتى يهلك اثارها . وفي الجوف وقرية ملح زياده بالمره يهلكهم ولا يبقي لهم اثر . ومعا حب الوطن لا يمكنهم ينتقلوا من نجاحهم الى اماكن غير يقولوا هذه البلاد احسن ما يكون في الدنيا ، يرحمهم الله ويرحمنا امين .

ومن جملة دُهاة شياطينهم وهو ان بعد قتل السلطان ابن قملا بقليل استدعاني واحد قراري الى بيته وداخلني بالكلام الليّن حتى ادركني ان قد انا مستانس به وآلق عليه . فقال معي لك سرّ يا هذا اليهودي ، والسر على الله . فقلت له وما يكون سرك كلّم ولا تخشى اني من اهل السر . قال لا اكلم الا بعد الوثيقه المعظمه باسم الله على التراب الذي منه بنيت واليه (139) ترجع للا تفشي السر فيذهب رزقنا ويقتلوني القبايل بسببك . فبذلت مطلوبه وانا افتكر في كلامه . فقال اعلم عليك اني القبّار حق موتا الحزم ووقت ما احفر القبور في جانب بنات عاد القا الواح من النحاس مكتوبه وتماثيل وكل شي واخبيهن مكانهن خوف من القبايل للا يعرفوا مكانهن فياخذوهن ولا انتفع بشي . فمرادي اني امرّ لك المكان الذي فيه كثير وانت تحفر عليه في الليل وتخرج ما فيه وتعطيني رزقي وتاخذ قسمك ، ولكن تعال بكره اليّا وانا اوهمك القبر وبيني وبينك عهود الله للا يخرج الكلام لاحد ابدا . فمضيت من عنده وانا اقلب راسي في السما من هذا الرزق الذي في القبور وقد انكرته وقلت له وكيف ما تعطيني ولو اشاره من ذلك وقال ان الذي كان عنده قد باعها في ما سبق بارخص ثمن وفي الحال لم سُطي ياخذ له شي ابدا . فلما رجعت عند معلمي وانا اتسعدر من الوسواس فسالني سالم بن سعيد صاحب البيت الذي احنا جلوس عنده وقال ما لي اراك تقلب فكرك يومنا هذا وانا قد عرفتك اني لك صديق ولو كان عليك ما عليك اني اجيك بعون الله وعون جيراني

وما الذي تخفيه مني وانا اشوفك انت والحاخام مثل (140) ابي . فقلت له الحمد لله ليس علي خوف من شي الا خوف من ميثاق الله وعهد فلان القراري . فلما سمع اسم هذا القراري شعوذ وقال ما الذي قد غرّ عليك هذا الشيطان وما شغل القبار هذا الا يدهي الناس فانت احذر بنفسك للا يدهيك ولا تصدّق عهوده ولا كلامه انه صاحب خداعه لا مثله . فخشرت الميثاق وقصّيت عليه خبر سر القراري فزاد في تعجّابه وقال الحمد لله الذي جعل عقولنا كالمرايه لحتى انبهتك بما اخبرتني به . وزاد في قلوبنا الف الموده والشفقه لبعضنا بعض وايضا للاجانب . اما هذا الذي من قبايل ח̣□ (١) بن نوح الذي ما يعرف ناموس ولا شفقه مثل جده ח̣□ فصحيح انه القبار وكان مرامه ان يسير ياخذ راس السلطان المقتول من المقبره ويعطيه بالاجره ويتجمّل من القتّاله ليلعبوا به ويفتخروا به عناد لاهل المقتول . وانت يسوقك في الليل في غفله الى المكان الذي يريد قتلك فيه وهو قبر السلطان بن قملا وقت ما تنبش على القبر يروح عند اهل السلطان واولاده ويقول لهم تعالوا شوفوا الذي اخذ راس سلطانكم وهوذا هو في الحال ينبش على القبر لا بد لياخذ جثته او من اعضاه ليلعبوا به غرماكم ، فيقبلوا (141) في غفله ويطلقوا عليك جليل الرصاص من غير ان يسالوك ولا واحد كلام . فلما سمعت نصيحة اخي سالم بن سعيد ازرب لحمي وقسا قلبي وقلت تعال معي اسير الى اولاد السلطان وانا اشكي عليهم خداعة القراري . فمنعني وقال اذا لاح لك في القراري فما تسلم شغلة القتّاله ، وزياده انك غريب وانت تعرف ان في بلادنا هذه يستنكروا كل غريب فلولا ما انت مدّعي انك من آل شراره لكان قد اخذوك عبد او قتلوك من غير سبب .

فذكرت ما الذي جرا معي قبل وهو : في واحد يوم خرجت من الفرع لادهج في حول الحزم واذا بوليد من اولاد الجوف يسالني من انا واين بلادي . وانا قد علموني اصحابي الذي في ملح وقالوا اذا سالوني قبايل الجوف واين بلادك قل انك من بلاد

١- اي حام

نهم وانك من آل شراره او من آل يهودا ، حيث وهولا اليهود هم متجوّرين عند قبايل الجوف من قادم زمان ومشهورين في البلاد . فقلت للوليد اني من آل شراره . فقال لا، والله انك طيبه ، ومسك بيدي واراد يقودني مثل ما يقودوا الحمار . فقلت له يا وليد امشي في حالك واستحي على نفسك. فبين ما نحن نرتجز واذا بواحد بدوي مضا من عندي فقلت تعال يا (142) راجل افرع بيني وبين هذا الوليد الشيطان الذي تعرضني ومسكني من غير دعوا ولا حجه . فقال له بوك في حالك يا وليد لما ذا تتعرضه وهو من آل شراره فلّته . فقال انا ما اسيبه ان الله قد هبُه لي طيبه حسب سنّة شرعنا ومن ذا الذي يتعرضني او يفكه من يدي وهذا رزقي من الله . والبدوي الذي دعيته ما جزم يتجاسر على الوليد بل سيبنا نرتجز وراح له . وانا لو كنت ابعد قليل من الحزم وكنت في الخلا لكان قد همّيت بقتله . فزاد مضا بدوي ثاني وكان قد عرفني في بيت سالم بن سعيد فقال له ما لك حاجه في هذا الرجل ولا هو رزقك اني قد عرفته عند سالم بن سعيد وهو من آل شراره . الوليد لما غُلب بكلام صاحبه ما امكنه يتركني بلا شي . ومن حيث وليس يوجد معي غير رقعه باليه لاستر بها عورتي والمقطب المبزطط الصدقه الذي على جلد بطني وظهري وخرقة كوفيتي المهفوجه فوق الى عيوني فنظر الى باقي الاحذي الذي في رجلي المعزّرات الذي لا اجزم امشي بهن في بلادي ، فحلف وقال ما عذر له في الاحذي لو كلّف عليه بسببهن القتل فما هو عاذر لهن ابدا . وانا قد مرادي يشلهن واخوتنا يعوّظوني بدلهن باحسن منهن ، فتركتهن له وما (143) حصلت غيرهن في الجوف ، سبب اني ما جزمت اخبّر بهذا المتفق حتى وصلنا الى خبّ وتصدقوا علي بجديد .

وبعد اجرت لي يهودي وسار معي الى حزمة ابو ثور وهي من علاو الجوف قريب من نهر الخارد الذي اصله من بلاد ارحب وينزل الى الجوف الاعلا ومنتهاه الى معين . ولكن اكثر طريقه فيها اثارات بناية بيوت مهيله من يمان ويسار الساقيه على طولها متلاصقات لا غير وليس بقريه او مدينه . وايضا ليس في ذهني ما الذي اوصلت من

الكتايب ورسم المحلات في تلك النواحي مثل سبيل عادتي . وعلى رجوعنا سار اليهودي خبيري عند البدو عُملته . وانا جلست في باب واحد خدر من الشعر وداخله قاعده في زوة الخدر حرمه بدويه مثل الحرمه المقتوله الذي سحبتها بقعشتها من بين الرماله في خربه السودا وهي مثلها في كبرها وشبّتها وتقطيعها ، ولكن الاولّه ميته وهذه حيه ، فسلمت عليها وهي تعرط اللحم النيّ مثل العرج ، ولا تتحرك من مكانها ودم اللحم على وجهها وايديها وتحدّثني واظراسها تنخش اللحم والعضام . فبينما احدثها وانا (144) متعجب وكيف لو تقوم تاكلني انّي لها في زوة بطنها . فالتهيت في تفكاري فيها وانا ملقي ضهري الى حجر في باب الخدر وركبي فوق بعضها بعض وعيني لم تميل منها فما عرفت الا بلقصه في قاعة رجلي من العقارب او غير كانها نار احرقتني من رجلي الى وسط قلبي . وحال ما احسيت اللذغه ضربت بحميّه على قاعة رجلي بكف يدي واخرجت من طرفي سن ثوم ونقس ملح وفذحت مكان اللذغه ودلكتها بذلك ومصرتها مرات وبريت من ساعتي . ويمكن اني قتلت الذي لذغني فوق اللقصه حتى بريت من ساعتي . والبدويه عاد مرادها تكرم لي باللحم النيّ وانا ما عاد مرادي لا لحمها ولا وجهها الزويب فرجعت الى معلمي . وقد شارط علينا سالم بن سعيد الى جبل خبّ مع قبيلي من خبّ وانا زاد سرت الى خرايب بكبكه . وكان مرادي اسير جبل اللود ولم اتفق لي . وقد احكا لي بدوي انهم وجدوا في بكبكه صندوق من حجر المرمر وفيه عضام حرمه فقلت في نفسي لا بد سموا المكان هذا لسبب البُكا عليها . اما معلمي يزيد فلا خرج من بيت سالم بن سعيد مدة ما نحن جالسين في الجوف الا الى معين وبنات عاد لا غير ، ذلك من الخوف عليه . وقد تحيرنا في الجوف اكثر من كل مكان .

(145) وفي ذلك اليوم الذي ما زاد ذكرت تاريخه جا القبيلي الذي نحن نسافر معه الى خبّ والتزم بنا لحتى يوصلنا الى عند يهود وكان كذلك . وسافرنا الليل من الحزم ولا بد ان احنا امسينا يوم ثاني في بيت القبيلي وبعد وصّل بنا الى بيت الاخ المرحوم سعيد بن يحيا حوّه فابهل ورحّب بنا كان احنا له اخوه ضايعين واحتفل بذبح كبش لنا للعشا في تلك الليله . وزاد وصّا على اصحابه اليهود الذي في القُرا جواره فما غابت

الشمس الا وقد اقبلوا قدر ثمانية انفار كلهم متجهزين السلاح وهن سكاكين كبار بحليه قدرهن ليس كجنابي القبايل . واما وجوههم تدل على عسارته بسعادة جيرانهم، وقعش زنانيرهم الغزيره التي على خدودهم تشهد على شجاعة قلوبهم في اصول نواميس نسبتهم ، من حيث وهم في الاطراف وليس خلفهم من جهة الشرق ناس ابدا الا قليل بدو من ذو حسين وهم قريب منهم . فوجدناهم متعصبين في ما تربوا عليه من حراصة الديانه بما قد عرّفوهم سوابقهم وفيهم ايضا من المشددين مثل الذي وجدناهم في المديد وفي بلاد نهم . ومعاشهم ارتح قليل من يهود الجوف سبب ان بلاد خب الين من بلاد الجوف وقد (146) فيها شجر العنب والتمر ولكن عاد اثمار شجرها ضعيفه ليس كوادي نجران المبارك . واما الجوف يرحمهم الله لم شفنا فيه من اشجار الفواكه شي ابدا الا شجر فاكهة القرود وهو النبق شي كثير لا غير . والبدو يجلبوه الى صنعا. وفي غير صنعا ما يبتاع . وفي خب وتلك النواحي يجمعوا زنب التمر وينقعوه بالما ويوحّزوه بالموحز حتى يتفتّت ويطعموه الغنم فتاكله وتستريح وتسمن جدا . والكبش الذي ذبح لنا قد تعجبت على كثر سمنه فقالوا انه بسبب الزنب .

وفي ذاك اليوم اجتمع هولا الثمانيه الانفار الى بيت سعيد حوه ليفرحوا بنا وليسلموا علينا كان مع بعضهم نزاع ومخاصمه في شان واحده ولده عمرها اربع او خمس سنين يدعي واحد منهم ان قد خطبها تعويض زوجته ام اولاده واهل البنيه ينكروه ولم يساعدوه سبب عارة اولاده . فاحضروا دعاويهم عند معلمي يزيد ليحكم بينهم ومعلمي لم يسمع لدعاويهم فقلت في نفسي لا بد ما عرف احكام الشريعه . وكان قد احضروا كتاب سيدنا يوسف قارو الذي عرفوه واستسنوا احكامه وكان يتنازعوا من وجه الكتاب من غير معرفه ذاتيه لهم في الشرع (147) وليس يفقهوا ، حتى اشتد نزاعهم في اخر اليوم واهتروا بعضهم على بعض ومشعوا سلاحهم للطعن وكانوا كلاهما قريب الفتنه حتى اعترض واحد منهم وطفّا سعير الحميّه وقال ما لنا ولنزاعنا بلا فايده هوذا الحاخام عندنا والشريعه كلها في صدره وهي خرجت من عندهم ، نقلّده وهو يحكم بيننا . وانا من خوف فتنتهم فرحت بذلك لاجل ندرّج حالنا باحسن ما يكون . ومعلمي

يزيد لا بد ان ليس اهتزت له شعره من خوف نزاعهم ولا في باله من فتنتهم . فقلت له في غفلتهم ما لي اراك لم تلتفت عليهم وما تحكم بينهم بما في وجه الكتاب فلو كنت انا قد عرفت حكمهم هذا لكان قد قضيت بينهم ولا يتكلفوا لهذا النزاع . فقال ما لنا ولنزاعهم حتى نحكم بينهم ونحن غربا فان حكمنا على واحد منهم فمن عسارتهم واقمارهم تعدّانا وما نعرف ما الذي يلاقينا به فترك ذلك اولا لنا ، واما حكمهم فهو مبين في الكتاب في باب عدد كذا في فصل كذا . فاخذت الكتاب بيدي وفتحت حيث ما قال لي وذا حكمهم بذاته لا زياده ولا نقصان الا ما عرفوا اخوتنا هولا الطريق . فتعجبت على اختبار معلمي في الشريعه غايه .

(148) وبعد ما جلسنا عند اخونا العزيز سعيد حوُّه قدر يومين ساروا بنا في الليل الى بيت يهودي ثاني في قريه ثانيه . فرحب بنا مثل غيره وجا يفقدنا يهودي جار له واسمه موسى جميل وهو صايغ واكرم لنا بعرقي التمر وما قد رايناه من يوم خروجنا من صنعا الى يومنا مع احد من اليهود سبب عدمه الاكثر مع حريق العنب وامتحاقه المتفق في هذا الزمان . وان المسكين السياح الجديد ما كان يوافق لي ولو زادهم وبالاكثر طبخ اللحم فكان معلمي ينهي علي ويقول ان اكل اللحم انفع واغذا . فلما شربت من العرقي الذي جاب لنا رغبت نفسي وفرحت به زياده. وبعد ما راح موسى جميل الى بيته تبعته لاسال منه ذلك فاعطاني ما الذي عاد معه وهو قدر ٣٠ درهم ، وسرت بعد لادوّر ما الذي اجد في خب فلم اجد من المكاتيب الحميريه شي ولا من الاثارات . وقد لاقيت سالم حوه وهو يشكي ضيقة نفسه في هذه البلاد ولو صناعته في الحديد وهي مقاومه له فقد ضجرت نفسه ومراده يسافر بلاد المُقتدر(ארצ ישראל)(١) فقلت له وكيف تقدر تعيش في بلاد تهامه (ארצ כנען) (٢) وانت من بلاد المشارقه. (149) قال ان كان يوصلني الله اليها واهلك يوم ثاني فذاك مرادي .

١- اي ارض اسرائيل

٢- اي ارض كنعان

وقد سالته ما عنده من اخبار اليهود القدما في هذه البلاد حيث وقد هو شايب ومتردد في الكتب . فقال ان كتبهم من صنعا وليس لهم كتب اصليه ولا يعرفوا كتب التواريخ ابدا . واليهود كلهم الذي في خب نقايل من برط ومن صنعا وغير ومن حيث وهم قليل ومشتتين فليس لهم كنيس . ولا اسمع منه نتيجه غير هذه .

وبعد ساقونا الى قريه عند الاستاذ يحيا حوه اخو سالم المذكور وابو سعيد الذي وصلنا عنده ولو هو في طرف بلاد خب بياع مشتري وقد احسن الينا بجميع ما نحتاج اليه بسفرنا الى نجران من طريق الخلا واسقانا من العرقي وقد قنعت نفسي منه وزاد جاب لي حتى بُردقان للنشوق في الطريق واستدعا بواحد بدوي يسافر معنا الى نجران حتى يوصل بنا عند يهود وياتيه من عندهم بخبر وعلم من سلامتنا في الطريق وكان كذلك فكتب وشهد على البدوي عند سلطانه . وسافر بنا مع جمله في نصف النهار ذاك حتى سرنا ثنتين او ثلاث ساعات في الجبل ولم زاد شفنا ناس وكلها بلاد خب في الجبل فتوخر البدوي في (150) اخر اليوم وقال لي اسوق على الجمل الذي معلمي راكب عليه واسبق وهو يلحقنا . فبينما اسوق على الجمل وما اعرف الطريق وانا خايف واذا رايت قُدّامي بدوي بعيد مننا وهو يتفكر فينا ومن حيث وليس البدوي سيّرنا معانا زاد معي الخوف . والبدوي المتفكر غاب مننا وما زاد حزرناه حتى وصلنا الى تحت كُدف من اكداف الجبل فاذا بندق البدوي الشيطان وراسه قد بدين من عراض الكدف وهو يناجينا ويقول عندك يا ذا اليهودي اطرح الجمل اداتك واسلم راسك . فبينما يصيح ويهتري علينا وسيّرنا اقبل وقد ادركه فالتوا ايضا قفا كُدف وقرع بندقه وتناجا هو واياه وانا ادب بعد الجمل وما عرفت كيف قنع مننا الشيطان حتى غابت علينا الشمس وامسينا في عارضة الجبل . وفي اخر الليل سافرنا من ذلك المكان حتى انورت علينا الشمس ونحن في سفال الجبل بادين على بر الخلا فاذا ببنيه ترعي لها غنم فسلم عليها سيّرنا وسالها من البدو اين هم جلوس في تلك المحلات فتوخر معاها وانا سرت بالجمل قدر ثنتين ساعات فما رجع الا وقد ضيع عقله . فسرنا وكانت الرماله تغامز كانها ذهب حتى لقينا سته بدو وفيهم جمال اكثر من البدويه

(151) الذي لقيها سيّرنا وانخدع عندها . فسلمنا عليهم ومضوا في حالهم وفي اخر اليوم وصلنا عند بدو من قبايل ذو حسين وامسينا عندهم . ويوم ثاني اختلف علينا البدوي سيرنا ولم زاد رضي يسير بنا الى نجران . فحيرت الفكر انا ومعلمي كيف يكون بنا في تلك المحلات الخاليه . وبعد تعب تضمن بنا واحد بدوي منهم بالاجره وشرط وكتب وشهد عليه مثل ما كتب عليه يحيا حُوَّه ، والذي كتب واحد قاضي ، وهو سيّد من صنعا جا عندهم من برط .

فلما التزم بنا هذا البدوي فرحت به لانه جواد وقد هو من قبايل يام ليس من قبايل ذو حسين . وقد احكا لنا في سفرنا ان كان له اولاد وكلهم راحوا قتلا في مغازي بعضهم بعض وفي فتنهم . وانا تعجبت عليه وكيف ما يهمه من ذلك ولا يحزن على اولاده القتلا. فكان كل ما تغيب علينا الشمس نمسي هناك حتى تعطّل علينا الدقيق والما . ففي ليلة تلك الجمعه لما غربت علينا الشمس وربّخ جمله وقعدنا للمسا قلت له يا هذلول وكم عاد معانا لحتى نصال عند ناس . قال بكره وبعد بكره ونصف مثله . وانا لما عرفت كلامه ، شقّ علينا سبب السبت تحوزنا وايضا معانا (152) عيد الخُضيرا (חג השבועות) (١) يوم الاثنين ، وكل هذا وليس عاد معانا زاد وما . فقلت لعلباك وكيف التزمت بنا وشرطت على نفسك انك توصل بنا عند ناس في قرايب واليوم قد نجع علينا الما والزاد ولم نرا احد من الناس في هذا الخلا وايضا معانا بعد بكره سبت وكيف يكون بنا . فقال وعلى أنفي ، اني اسبت معاكم ، ولا تخافوا اني اغلظ زادكم . ومن عادتهم وقت ما يثبتوا كلامهم ينهضوا يدهم اليمنا ويرفع اصبع يده ويطرحها على انفه ويجرّها من بين عينيه الى راس الانف ، هذا شرعهم . اما في صنعا ونواحيها فيطرحوا الاصبع على عيونهم . فقلت له وبما تغلظ زادنا وليس هنا ولا شجر ولا غضايه حتى ناكل منها وما معك هنا الا الرماله لا غير . فقال انت الا اقرع النار ولا تفرقها حتى اتيك ومضى في همسة الليل . وانا من عادتي مع سفره كان

١- اي عيد الاسابيع ويقع هذا العيد سبعة اسابيع بعد عيد الفصح

اتخذ قليل من الدقيق الذي معانا واعجنه في طرف ميزري لسبب ان سيّرنا اخذ القدح وهو الوعا الذي كان اعجن به وشرب به حليب ناقته فغثّيته وتركته له، وكان اعجن الدقيق في ميزري واجعله خبزتين لي ولمعلمي . واشعل النار ليس بالكبريت (153) الافرنجي ، من حيث وما كان له وجود في اليمن بل بحجر السملوك والباروت، فكان اشعل النار حتى تحما الرماله وما تحتها وبعد افرق النار والرماله واطرح الخبزتين وادفنها بالرماله الحاميه والنار فتنضج ولا تشبث فيها الرماله ، وكان التذّ بهن احسن من خبز بلادي . فلما ابطا واقمت النار بعد ما توصاني للا افرق النار حتى يجي ، فرّقت باقيها وطرحت الخبزتين الباقيات معانا من الدقيق . فبينما اتحدث مع معلمي يزيد كيف الذي يكون باكلنا في هذا الحال ، واذا قد اقبل وهو ينادي ويقول ليش فرقت النار انت الا اقرع . فشعلت مره ثانيه فرايت في ضو النار، واذا قد معه من الحيوان مثل الذي يسموهن عندنا الوحر او اللزق ، ولكن هولا اكبر وقد اصطادهم في تلك الليله من بين الرماله وقد هن مشكوكات في العصا الذي يسوق بها جمله . فقدّم بيده عصاته على شعيل النار حتى شواهن وزاد انتفخين على ما كانين وبعد مشع واحده لمعلمي ولي واحده فاخذتها وفسختها وانا اتفكر فيها وهو ياكل منهن ويقول كلوا من هذا الاكل الطيب وقد غلظت به زادكم وما تحتاجوا من غيره لشي ، فقلت له بيض الله وجهك حيث وانت تشبع جوعنا من هذا ولكن (154) العطش بما تروينا . فقال لا تخافوا من حيث والابل معانا تسقينا جمعا . وانا في قلبي ما الفت لاكل اللزق ولا الفيران ولا لشرب حليب الجمال . وهذا البدوي هذلول قد هو من البدو الذي في الاطراف الذين لا ياكلوا الزاد ولا يشربوا لما اوعاد وشهور ، بل يشربوا حليب الابل في اول النهار وفي اخره وليس يحتاجوا لغيره شي واذا صادفوا بالحب فيقصموه قصيم مثل الدواب .

فقلت له يا هذلول زادك وشربك ما ينفعنا وانت اتركنا ليله في هذا المحل وارجع لك عند اصحابك ان الموت هنا اهون من الموت بعد التعب في مكان اخر . فقال لو كان اخذتكم لحمه في فُمّي ، ما تركتكم في الخلا الا ان كان اموت فلا باس اما ما دمت على وجه

الارض فلا ابقي من جهدي بمدافعتي عليكم شي . فقلت كلامك صحيح انك ما تجزم تسيّبنا في الخلا ولكن ما ينفعنا جهدك ومدافعتك علينا ونحن بعيد من الناس ، فاذا انت داري انك مقتدر توصلنا عند ناس يحدّه اخر يوم لبُكره ونسافر في ليلتنا هذه ونجري جري ولا نمسي ولا نستقر ابدا فذاك المراد وانا اسلم لك نصف ريال زياده على اجرتك . فلما سمع فانتهض من مكانه وقال غر العون ، وشدّ على جمله (155) وركب معلمي وسافرنا حمله الليل كله حتى انورت الشمس وقد اختلت قواي من الحمله وزادت حرارة الشمس في مراخة اوتار عصبي والتعب والجوع والعطش قد اهلكني . فكان بعد ما حمت الشمس اسير قليل وانسُم وهذلول يتوقف هو وجمله حتى اتبعه فزاد معي التعب وحسرت بالمرّه . وبعد ما راعا لي هذلول استدعاني ولم زاد قدرت اجاوبه فارتدّ علي وقال هيّا قوم . فقلت له يا هذلول اسالك بالله ان تتركني وتمشي في حالك لاني قد ذهبت . فلما راني قد انا مصرم من السفر مكاني فضربني بالعود مرّتين حتى نسيت حسرتي واروست من مكاني للضرب او لاحتجي منه . فاخذ بيدي وساق بي الى عند جمله وعاذلني للركوب مع معلمي فوق جمله وانا ما كان يوفقني الركوب على الجمل سبب انه يمخض احشاي بسيرته . وكان قد اخذت القدح حقّي الذي كان وعا للعجين فنكت كيس الدقيق اليه ومصرت قربة الما مع الخُلب والشعر الى وسطه وخضبت هذا في هذا وشربته ، ولو ان كان قد كرهت القدح وما زاد عجنت فيه لسبب تنجيسه بالحليب . فبعد ما شربت ما الذي زاد لقيت معانا حيت نفسي قليل وتراجع روحي واضت عيوني وركّبني مع معلمي وسار بنا . (156) ومعلمي معا كثر قوة صبره على الجوع والعطش ومع ربضته على ضهر الجمل في سفرنا هذا العسر لا ارا له تعب ولا اسمع له شكا .

فبينما يسير بنا الجمل بسرعه فاذا رايت بعيد مننا شي يدب ما عرفت ما هو . فقلت يا هذلول تعال خمّن ما هذا الذي اراه بعيد مننا . فطلع على ضهر الجمل وتحقق عليه وقال ناس . ففرحنا كلنا ومشينا تبته حتى وافقنا واذا هي حرمه عجوز . فسالناها من امرها فقالت انها ضايعه في هذا الخلا وقد لها يومين تدوّر على البدو الذي زوّجت

بنتها اليهم . فزاد الحزن والغثا معانا اكثر واكثر . ومشت معانا فاذا بثلاثه رجال من بدو يام ماضيين . فسلمنا عليهم وسالهم هذلول من طريقنا فقالوا ان احنا قريبين من الناس ومضوا لهم مع العجوز . فسرنا في حالنا الى قريب الضهر حتى رايت في واحد مكان شي متحرك فقلت لهذلول تعال خمّن ما هذا . فراى وفرح وقال الحمد لله هولا مطرح البدو . فساق بنا تبتهم حتى وصلنا في العصر يوم الجمعة الى عندهم واذا هناك بير ما ياتون البدو هم ونساهم واولادهم ودوابهم من بعيد ليستقوا منها . وبعضهم بالبنادق معلقه من حذرهم على نفوسهم واكثرهم عريانين الا (157) بما يستروا عورتهم رجال ونسا . فلما شافونا فلتوا نتل الما واقبلوا يسلموا ويتفرجوا علينا يسالونا . اما الحليب والما فقد اعطونا واخبرونا ان نحن في طرف وادي نجران وايضا به يهودي قريب مننا .

فشدّينا في الحال بالمعاجله ورحلنا الى بيت اليهودي على ما وصفونا ، فوصلنا بيت مري مطرود وانا خايف من قبايل نجران سبب ان الذي دلّوني عليه ما قد عرفت اخلاقهم . فضربت باب بيت المري فقال من ذا الذي يطرق لي الباب . فقلت اخواك افتح الباب . فسمع وسكت . وانا مركن ان قد شا يفتح ويجاوبنا ، فتوقفت قدر نصف ساعه ولم يبدي منه بادي . فضربت الباب مره ثانيه وثالثه وهو يقول من في الباب ومن يدعيني في ليلة السبت كان ما سمع . وسيّري هذلول يقول لو وصلتوا عند قبايل لكان قد رحّبوا بكم وفرحوا . وانا ليس خوفي على نفسي من القبايل الا على معلمي . فحميت وضربت الباب ضربا شديدا وما زاد سمعت لكلامه حتى اقبل مهتري عليا بسلاحه . فلما فتح الباب وتواجهنا فقدّمت رجلي لادخل البيت وقد مسك بيدي وجرّني خارج الباب وقعد . ففضبت وقلت بلفض عبراني

"הוי רשע אחיך באו ממרחקים לבקרך ולשאל בשלומך ולדעת מצבך ולא די שלא מהרת לקדם פניני ולהביאנו תחת צל קורת ביתך אלא שאתה מבקש לשבת חוצה. ולו לא היה ליל שבת קדש היינו מפרישים אותך מקהל הגולה אני בכח בית דין

צנעא והחכם בכח רבני ירושלים אשר עיני כל ישראל נשואות לשם. (١)

فلمـا سـمع هـرجي ذلّ وقـال يا مـري احنا نخـاف من אלגוֹיִם(٢) مـا يـخلّونا ندخل عندنا אוֹרחִים (٣) . فقلت له قد كذبت ان אלגוים יכניסו אורחים ויאכילום וישקום ויסובום (٤)، امـا انت חס ושלום אינך מזרע ישראל (٥) . وبعد قـال ברוך הבא (٦) مرحـبا بالضـيف ، واراد يدخلنا البيت . فقلت له اعمل معانا معروف وخلي من القبايل اصحابك يسلموا لهذا البدوي الذي جا مـعانا نصف ريال ، وخرجتنا من السـبت اسلمه لك ولا تخاف عندي بما يقوم به حـالنا وكان كذلك . والبدوي هذلول بعد مـا استلم رجع له في تلك السـاع . ونحن دخلنا بيت مري مطرود وقد اطلعنا خلوته المعطّله من كل شي . فقلت له نحن عوزين לְקַדֵשׁ לכבוד שבת(٧) (والمعنى لهم في هذه اللفظه לְקַדֵשׁ هو الاغتسال بالما لاكرام السبت) (159) فاخرجنا من الخلوه الى حويّته وغسلنا ايدينا وارجلنا ووجوهنا ورجعنا لنصلي صلوة السبت . وبعد ما كملنا ما تكلفنا به في هذه السـاع العسره لنا من التـعب والجـوع والخوف ، حـضّروا لنابثنتين من اللحـوح كان هن اذان فـار ، وزاد قرّبوا لنا بنصف فرخ من الطير . اما القـهوه فقـالوا مـا عليـها דכשַבָּת (٨) . وجلسنا نتـحدث مع مطرود ومع يهودي ثـاني كان جالس عنده وهو منحني ومدكي على زوجة مري مطرود وهي مسكونه على طولها ليس قاعده الا راسها مرتفع على يدها اليمان وايضا تبالغ في الحديث معاهم . فلما تعبت من هذه الجلسه الضامره ، قلت يا مطرود نحن تاعـبين من السـفـر قـد مـرادنا الرقـود وبكره احنا على يوم لمطاولة الحـديث .

١- اي يا خبيث جاءك اخوتك من بعيد (158) لزيارتك والسؤال عن صحتك ومعرفة احوالك فلم تهبّ لاستقبالنا ولم تدعنا الى دخول دارك بل خرجت من دارك للجلوس معنا . ولو لم يكن ذلك يوم السبت المقدس لطردناك من الطائفة انا باسم محكمة صنعاء والحاخام باسم حاخام اورشليم التي تتجه اليها انظار اسرائيل .

٢- اي الغير يهود .

٣- اي الضيوف .

٤- اي غير اليهود سوف يرحبون بالضيوف ويطعمونهم ويسقونهم ويؤوونهم .

٥- اي فالعياذ بالله لست من نسل اسرائيل .

٦- اي مبارك الذي ياتي

٧- اي اقامة شعائر السبت

٨- اي السبت .

فقال نعم وايضا مرادي نقوم في الليل ونسير نصلي عند مري معيض . فمن الفرح ثنيت عليه وقلت له وما تقول . قال نعم في الفجر نروح نصلي عند مري معيض وهو قريب منا . فقلت احسن الله اليك هات لنا مكان لنرقد لحتى نقوم بحين . فاسرع وما خالف ولكن القُمّل تداعين من كل مكان في البيت ليرحبّين بنا وليسامرنّا طول الليل وقد عرفين خبر الصلوه ان ما معاهن مجابره لنا الا هذه الليله فقط . وانا ما زاد (160) هميت منهن ولا من السهر ولا التعب حيث وقد شا نصال بكره الكنيس عند اخوتنا يهود نجران . فجلست في معاكره انا وهن مره اطردهن من رجلي ويرجعون يلتوين على يدي وضهري واعود لاطردهن من هذه الاماكن ويعودين الى اماكن غير وهكذا اكثر الليل . وبعد قلت في نفسي ما يسلمني منهن الا الصلوه . فدعيت بمطرود وقلت له قوم نسير للصلوه قد طلع الفجر . قال لا ، ارجع ارقد ، ما قد صيّح الديك عاد هو ليل. فعاودت الى الحزن الاول . اما القمل فمعاهن في هذه الليله وليمه . فلما صارعني النوم فاذا بمري مطرود يناعضنا ويقول قيام ، قد هو شرق . فما زاد نفعني التمعذار للنوم الا قمنا وغسلنا ايدينا ووجوهنا ، وهيّا بنا سيره في اول الضوّ حتى فذتّ الشمس علينا وزاد حمت ونحن نسافر في وادي نجران بين اشجار النخل وقليل بيوت. فقلت له يا راجل او ما تعرف بقدر اليوم حتى تسافر بنا وقد اختيطنا كم حدود من حدود السبت . فقال يا مري لا تقلق اني قد עֵרַבְתִּי (١) (معنى عربتي المداخلة). فقلت له احسنت بما فعلت وعاجل نسير حتى نصال قبل الغدا . وفي قلبي ليس هو مني الجدّ بل لانهض كلامه . اما معلمي يزيد (161) فكان يشاهد اكثر الاحوال وكان ما راها ولا سمعها وعلى كل حال ان اذا لم يرقمها في دفتره فقد رقمها في بيان صدره . فبينما نسير في الحوايط والشمس لم ترانا من كثرة اشجار النخل وملاصقة ورقها بعضها على بعض فاذا بخمسه او سته بيوت في طرف الحايط الذي نسير فيه واربع او خمس بنات يتملّهين تحت البيوت فلما قربنا منهن عرفين بنا وانا ما عرفت ان بعضهن من اخواننا لسبب ان ملبوسهن والقبيليات سوا . فما عرفتهن انا حين تحقّقين علينا

١- اي بدأت شعائر السبت

وفرّين من بين خبرتهن ودخلين واحد بيت ورجعين يطلّين علينا من طيقان البيت فعرفت ان هذا بيت يهودي . ومري مطرود قد ساق بنا وادخلنا الى هذا البيت فوصلنا واذا ببنيه جالسه في باب مكانهم من خارج مغلمشه بلحفة راسها كانّها مضروبه بعود الحيا في قلبها . وفي عرض المكان حرمه عجوز جالسه كانّها حازنه . وفي زُوّة المكان رجل شايب كانّ قد هو هرم . فلما دخلنا المكان قاموا يرحبوا بنا العجوز والعجوزه ويسلموا علينا . فلما رايت ذلك ضنّيت في بالي ان هذه الكنيس ولا بد قد خرجوا الجماعه بعد الصلوه وشا يرجعوا للقراه في سفر التورات ويتمّوا الصلوه سبيل العاده، والبنيّه المتغلمشه لا (162) بد لتسمع الصلوه . فبدعنا אלתקון (وهو التصليح) حتى اكملنا תפלת שחרית(صلوة الفجر). وبعد قرّبت لنا العجوز قدر من الحجار يشتغلوه في صعده ويسموه مدهله وقد نضّجوا فيها العجين ويسمون ذلك كُبانه . فاخرجت الكبانه من المدهله الى وعا اخر من الخزف وفتحت فيها واسكبت السمن الى وسطها. فحوّشنا كلّنا لذلك الصبوح العجوزين والبنات والبنيه الذي في باب المكان ومطرود وانا ومعلمي. ومن لذّة ذاك الصبوح قلت في نفسي وقت ما ارجع صنعا اوصّي اهلي لا يكونوا يسوّا الكُبان الا على مثل هذا. وبعد ما اصتبحنا قربوا القهوه وزاد انوا لنا تمر فقرينا אלסדר (١) وكملنا باقي الصلوه. وقد درسنا جز كبير في كتاب المزهره (מנורה) سبيل عادة يهود اليمن . وبعد ذلك زاد تحدثنا قليل واراد مري مطرود يرجع الى بيته ويسوقنا معه وانا قد مرادي اجلس عند مري معيض لاجل الاسم وهو من تعويض ليس كاسم مطرود . فقال مري معيض اليوم ضيوفي يا مري مطرود . قال لا هم ضيوفي من قبل وعيب عليا اتركهم . وقام ومسك بايدينا مثل الصدق كانّ مراده يردّنا الى بيته البعيد المعطّل . فانتهض العجوز (163) من زُوّته وقام ومسك على باب المكان وقال كلكم ضيوفي ، ما احد يخرج من عندي ابدا فزاد مطرود تعذرنا تعذار ، حتى ثبتنا على العجوز صاحب البيت ، وسلم علينا وسار. وانا قد عرفت مرام هذه الصلوه وفهمت مخايلتي للكنيس الذي ما شفتها لاخواننا في وادي نجران ، جزاه خير في الدنيا .

١- اي شعائر ايام الاسبوع

فرجعت لاتحدث انا ومري معيض من احواله واحوال بلادهم . فقال ان اليهود الذي في نجران كلهم رُبعان (معنى ربيع جوير) عند القبايل ولا يملكوا ارض او بيت في وادي نجران ابدا لا هم ولا غيرهم ، ولو من القبايل الاجانب لاهل الوادي وحتى اشراف الجوف الذي ياتون كل سنه للخريف لا يملكوهم في الوادي شي الا قد لهم اماكن معروفه يسكنوا فيها ويخترفوا من حيطانها وبعد يتركوها ويرجعوا الى بلادهم . اما اليهود فهم فيها طول الزمان وبيوتهم للقبايل اهلها ولا يسلموا عليها كرا ، ان القبايل لا يثقّلوا على ربيعهم ويام كلها في مساعده لهم ازيد من كل القبايل . واذا ادعت الضروره للبيع فيشتروا قريب البايع . وانا قد رايت مثل خصب (164) وادي نجران في محل دخلته سبب ان الما عذب زياده وهو قريب مقدار ١٢ ذراع يد وهن ابيار . وطول الوادي قدر مسافة يومين وعرضه نصف يوم واكثره ضلّه من اشجار النخل ، والواحده منهن تثمر من ٥ الى ٦ الى ١٥ الى ١٦ عنقاد ، والعنقاد من نصف قدح الى قدح من كيل صنعا . والتبن والعنب موجود في الوادي ، ولكن سبب قل تمدّانهم يقطفوه من الشجر وعاد هو كحب . واكثر ما يزرعون من الحنطه البُر وقد شوهد الدهن يخرج وقت ما يعجنوه . وبينما نتحدث مع مري معيض التفتت العجوز زوجته من مكانها وقالت لبناتها قرّبين الغدا ، قد الضيوف جايعين . فبادرين وما خالفين ونحن ذاك مرادنا . فقربت العجوز زقّ وفيه سمن فاسكبت منه الى بين الهريس وفيها من اللحم . فقلت وكيف شغلكم هذا ، او ما تعرفوا تحريم الشريعه للسمن واللحم . قالوا نعوذ بالله ان هذا ودك ويسموه هال ، ليس سمن ولا شحم . وانا من طيبه ما زاد عرفت لا شمّه ولا طعمه . وبعد ما تغدينا زاد اعطونا من التمر .

فبينما احدثهم وليس لهم رغبه للحديث كالذي قلوبهم غافله . فزاد حدثتهم باحاديث ملهيه ومرغبه لاجل تميل قلوبهم الينا ونستريح بالمجابره معاهم، فما (165) نفعني ذلك الا يحد العجوزه تلتفت عليها طرفة عين وترجع تمد نظرها من الطاقه وتفكر على النخل الذي قد عرفته عمرها . والبنيّه الذي قاعده باب المكان من خارج يحدّها تسحوق وتتشقّر ما دُمت اخجّج بالكلام وبعد تعاود على حالها . ومري معيض يكابر بالجواب

مكابره ، كان قلبه ضايع . فقلت في نفسي لا بد انهم في ضيقه من امر خطر فدبّرت الحيله في عقلي لاعرف بها ضيقتهم ، فقطعت ما كان احدثهم به وسكت وطرحت يدي على وجهي وقد اغمضت عيوني ، وانا اهتف بالكلام بيني وبين نفسي . وزاد نهضت الى الطاقه الذي العجوزه جالسه جنابها واخرجت راسي من الطاقه لاتفكر في جو السما ورجعت كذلك مرتين وانا احسب النجم واتبرطم حتى خطفت عقولهم بكثر الشعواذ والشعوذه ، ولو ان ليس اهل مشارق اليمن تعتقد كثير بهذه الفنون مثل اهل مغارب اليمن ولكن فيهم الكفايه لهم من هذه العقايد . وسبب ذلك ان ليس يوجدوا مدعيين الفقه لانفاسهم في وقتنا هذا في هذه المشارق ، اما حيث يكونوا الفقها كثير فتكون هذه العقايد اشهر ، خصوصا تهامة زبيد والحديده لسبب بيت الفقيه والمراوعه ، والشريعه تنفي ذلك . وانا بحمد الله بعد ما ادخلني (166) معلمي يزيد اطال بقاه ونوّر قلبه لاغمس في ما غوطاس الافتكار استغفرت الله في هذه الخداعه الذي جذبت بها عقولهم حتى عرفت ما في صدورهم وهو :

لما قطعت الكلام وراوا قد زيّدت الشعوذه ، سالتني العجوز وقالت ما الذي لك يا مري . فقلت اني احسب النجم واعرف الضمير . فقالت وما عرفت بضرب حسابك هذا . قلت نعم اني قد عرفت نجومكم منحوسه زياده وانتم في ضيقه عسره ، ولكن لا تخافوا ، اليوم سبت لا يمكن العمل ولا يجوز الحزن وانشى الله لما نخرج من السبت نشوف تدبير . فالتوت عليا وهي تبكي والبنيّه قد ادخلت وجهها الى المكان وهو مكشوف لتسمع الكلام . فقالت الام وكيف تقول لا نخاف ولا نحزن واحنا في هذه المصيبه الذي لا مثلها وقد جرت مع بنت عمي ومع بنت خالة امي ومع بنت بن عمي وما نفعهم الا قتلهم ودفنهن وهذا شرعجا . ونحن قد الرجّال عاجز ولا يقدر وحده يذبحها ويدفنها وقد ارسلنا الى صعده الى صدقانا اولاد عمها ليجوا نتعاون بذبحها ونسكه من هذا العيب والعار الذي احنا فيه . وانا لما عرفت ضميرهم من كلامها ، خرور عقلي من مصيبة هذا الشرع الذي هم مستسنين له على قولها وقلت لهم لا بد (167) ان الله قد ارسلني من بيتي من صنعا لانجيها من هذا الدعوا باخراج الجنين من بطنها من غير

ما يضهر لاحد شغلها ولا تهمّوا ولا تحزنوا ، اني بعون الله ابريها بمعرفتي من ذلك . والبنيّه لما سمعت كلامي اروست من مكانها واعتقرت قدّامي وهي تنشّق رُكبي وتبكي وتقول جارك يا مري انا قد أُخطيت وكلّفت لنفسي هذا الحكم ولكن احييني والا ذبحتني يا مري ولا عاد اجلس لوما يصالوا عيال عمي وما اعرف كيف الذي يفعلوا بي ، انا عند الله وعندك يا مري ، لا تفرّج عليا ولك جهد ، عقيرة الله وعقيرتك . وانا لما رايتها تتعقور بين ارجلي وتبكي بحريق قلبها على روحها لهبت بطوني من رحامتها ، ولو كان قلبي قاسي مثل الحجر اليوم ، صار سايل مثل الشمع من حنينها . فرفعت بيدها وقلت لا تخافي يا اختي ولا تحزني انشى الله انا ابريك من ذلك .

فلما استقرت قلوبهم بكلامي قالت الام لبنتها الاصغر قومي ادي لمري المعقره ، وهو فاس صغير . واختها الذي كانت حازنه روحها اخذته من يدها ومكنتني . فاخذته من يدها وانا اتفكر ما الذي اعمل به وقد اجملت بينهم ولا عاد حاجه لا لفاس ولا لسيف بما (168) نقتلها . وبعد ما قلبت في عرضه وطوله حده وصقالته ، طرحته من يدي وانا افتكر ما مرامهم فيه ، فاذا الام تقول لي خذه واضرب المدكا على يسارك . فاخذت الفاس والتويت على مدكاي واذا تشبّه لي كانه من حجر ذلك من قساه . فقلت في عقلي ما المعنى لهم في ضرب المدكا الذي من حجر يوم السبت وهم يعرفوا تحريم السبت . فاخذت البنيّه المعقره من يدي وضربت المدكا حتى افتك واذا هو تمر محشي في جلد وهو افخر ما يكون من التمر ويسموه رطب وقد الجلد يابس عليه حتى صار قاسي مثل الحجر . فقالت الام خذوا لكم من هذا الذي لا تلاقوا مثله . فعرفت ان قد قلوبهم مطمانه بي وقد كف حزنهم ، والبنيه ما زاد جلست خارج الباب . فسالتها بين اهلها وقلت يا سعيده وكيف اطغاش الشيطان وابوش مري معيض وأُمّش تقول انها صعده من بيت فنحس هكهن واصلهم من صنعا وقد انتي مره ليس جاهله . فقالت اسمع وانا احكي لك بما جرا معي ، وهو ان عادة اليهود في بلاد نجران ان اذا وقع مع احدهم مرض او غير من المتفقات فملزوم على اليهود الذي في كل القرا ان يزوروا صاحبهم حتى يبرى او يموت ، فان برى ذاك (169) المراد ، وان مات فالزُوّار الذي

هو حاضر يرسل لاصحابه لياتون من كل مكان ليعملوا المعروف الاخر مع الماضي منهم . وفي شهر كذا قال لها ابوها تعالي نسير نزور فلان انه مريض . فاخذوا حاجتهم من الدقيق والسمن وساروا الى بيت المريض فقعدوا عنده قدر خمسه ايام حتى اقبلوا يهود غيرهم عند المريض . فقال لها يا بنتي هانا راجع وانتي اجلسي لتعاوني زوجة المريض ولتسبري الزوار فقالت له مرحبا وهو سار وهي جلست لتسبر من وفد . وبعد يومين اقبل سته انفار زوار وهم شباب وقد سمتهم لي . وفي تلك الليله جلسوا بعد العشا وهم يضحكوا حتى ارادوا ان يرقدوا فخرجوا منهم من المكان فلان ورجعوا ليرقدوا . فواحد منهم وهو فلان اقبل عليها وهي راقده جناب زوجة المريض فتركته ولم يسمع لها . فكان منها . وهي قالت في نفسها ليس يطلع شي من هذه المره وكل هذا وهي تستحي من اصحابه للا يسمعوا لها صوت . هذا كلام البنيه .

قال السياح الجديد كل هذا المتفق وقع قُدّام معلمي يزيد وهو يتفرج على ذلك ولم يتعرض بشي وانا قد تجملت من نفسي باقتراري (170) لرفع المصيبه ولندرج حالنا باحسن ما يكون . وازيد في البسط والبزد ما الذي جرا في هذا الوقت في العام الماضي لاجل تفهيم هوا سكان البلاد في انفاسهم وهو ان واحده بنيه من الجوف من بنات يهود حزم همدان اسمها رابعه وقد عرفتها في ذاك الوقت وعاد عمرها في خمس سنين عريانه من فقر اهلها ما خلا الخُصله على حياها ، وزاد استرها ابوها سالم بن سليمان باثنين زنانير مثل الذكور اخواتها وراسها محلوق . وسالتها لاي سبب هولاي الزنانير لها فقالوا لاجل تعيش . فقد عاشت وكبرت وتزوجت وتنشزت وشهرت بجمالها في كل مكان . فسمع بشهرة جمالها واحد من اشراف الجوف فاقبل على فرسه الى بيتها فضرب الباب وفتحت له . فربط فرسه على الباب ودخل الى مكانها وقد سلم عليها وهي قد رحّبت به سبيل عادتها فحضّرت له القهوه ، وزاد قال لها الغدا ، فقالت مرحبا . ولما قدّمت له الخُبزه مسك بيدها واراد يواريها . فقالت العون يا ذا الشريف وليس اخالف . اصبُر حتى اجيك . فصبر وقد صدّق فخرجت واغلقت عليه المكان وخرجت من البيت ونادت باعلا صوتها وهي تقول وُب يا عيبه حتى احشرت الناس (171) فوق الناس . فقالوا لها ما لك يا ذا اليهوديه تحشري الناس . قالت اريد

جاري . قالوا ومن هو جارك . قالت فلان ، حتى حضر جارها مع الناس فقال ما لك يا ذا اليهوديه قد اقلقتي الناس واحشرتيهم بصياحك . قالت يسمع من حضر ان قبايل الجوف اشراف وعربان على سنّه وشرع عُمُر البلاد واليهود على سنه وشرع ما داموا في البلاد على اضهار القبايل . واليوم قد هجا فلان الى بيتي ورحّبت به سبيل عادتنا وزاد طالبني في روحي . فان كان وقد انتقض الشرع ان القبايل تكون من اليهود واليهود تكون من القبايل فعرفنا ذلك ونشوف لانفسنا طريقه ، ما لم فعرفتوا بهذا الشغل ان لم يكون قبيح . وقد حرّكت بكلامها قلوب الحاضرين حتى انهم قالوا لها ومن ذا الذي يسالك او يتعرضك . فقالت هوذا هو في بيتي قد حبسته وهوذا فرسه . فالتووا على الفرس وعقروها ودخلوا البيت واخرجوه وقد فعلوا فيه قليل فعل . وما امكنهم قتله لسبب شهرة اهله واضهروا الضاهره ان من زاد تعرضها فقتله قتل حنش. هذا المتفق في حزم همدان الجوف .

ونرجع للسكون في بيت مري معيض فكان في اخر ذاك يوم السبت (172) بعد ما انعموا علينا بالزياده على ما نستحق به حيث ونحن غربا . فقال لي معلمي تعال نخرج نتفرج على حوايط اشجار النخل . فقلت لبّيك واسرعت بقيامي وخرجنا . فقال ما لي ارا احوالنا اليوم مختلفه وهتفك ايضا اثمر لنا سعاده اخبرني بذلك لاني ما فهمت كلامكم . فقلت له اليس تعلم ان اهل البت كانوا كلهم حازنين وبعون الله قد اركنتهم بالفرج من الله فقال وكيف يكون فرجهم . قلت لي اختبار في بعض اجزا العلاجات وابخر بها او اسقي منها وبخواصها تسقط ما الذي قد حصل . قال كلامك عجيب ولكن من شيخك الذي علمك هذه العلوم . فقلت ليس لي شيخ وانا تعلمت من افواه الناس ومن الكُتُب . قال ومن اين تاخذ العلاجات وانت في اطراف البلاد وليس انت في مدينه لحتى تاخذ حاجتك من السوق . قلت لي معرفه في بعض الاشجار والاعضي وفي الامويه الحده تعويض ما تقدم علي من الادويه . وزاد في استخراج عقلي وهو يستهزي بي في عقله وانا احكي له بالصُدق . وافتخر بمعرفتي هذه غير الافتخار والمشابحه في بيت مري معيض . فقال اني ما عرفت في صنعا انك من اهل المعرفه ولو

عرفت ما كان تجاوزت لاسوقك معي . فالتفت ورما برصاص (173) الشتم وضرب بسيف اللعن وطعن برمح السُبّ حتى ابتلشت وابتلدت من كلامه الذي ما قد سمعت بمثله من وقت ما عرفته . فقلت في نفسي يا ربي اجعلني من الصابرين عسى اكون من المقتدرين . وزاد وقال هانا اضهر ضاهره في صنعا وقدس الشريف وفي كل قريه من قرى اليهود بسبب هذا الشغل . فقلت بصوت واطي ذليل ليس بعادتي يا سيدي ويا نور عيني فهمني لاي سبب غضبك هذا وانا اعرف بنفسي اني بري من الخطا وليس مقصودي بشغلي الا الخير . قال كيف تقول انك بري ومن اين تعرف شغل الخير وانت تقتل النفس المحرمه وتسفك الدما . فقلت استغفر الله من هذا الدعوا الباطل فمن قد قتلت او من قد هميت بسفك دمه وليس قد عارضني في حياتي . قال اليس تستحل قتل الجنين الذي في بطن البنيه اليس ما تستقر بنفسك انك تسفك الدما . فقلت يا معلمي فلو كان غيرك لكان قلت هذا مجنون اما انت فما تعرف شي من تخلاف احوالنا اليوم. وانا غنّيت حيث والمتفق الذي راينا وسمعنا من البنيه وامّها وما جرا بين يديك انك قد امليت صدرك من اخبارهم . فشكيت عليه من البا الى التا حزنهم وفرحهم شرعهم وهواهم ، وزاد اشكيت عليه من النسوان الذي اخبرت (174) بقتلهن . وانا على قدر غفلة عقلي الى ذا الحين وتربيتي العربيه ما كان في همي على الذي في بطن اما على ما اسمع في بعض الاحيان مع اقل الناس من خوفهم وفضايحهم من هذه المتفقات عندنا في صنعا ، فكان حزني شديد على البنيه الذي اعتقرت قدامنا ، وما عليها سُخا من حسن حالها وكثر جمالها ، فلما سمع مني متفقاتهم وكلامهم كف غضبه من جنابي وارتد في كلامه بكثر الحميه عليهم وجرسهم ولعنهم وقال وكيف شرعهم هذا الذي ما ترضا به جميع النواميس ولو كانت مجوس ما تحكم بهذا الحكم ان يقتلوا الامهات مع البنات . فيا رب انتقم من هولاي الناس ان كانوا من اليهود وهذا شرعهم وان كان ولم يتراجعون من قتل البنيه ومن ابطال شرعهم هذا الخسيس ، انا ابين شغلهم في كل مكان من اماكن اليهود حتى اضهر خساستهم . فلما افتكرت في كلامه فثبت عندي انه في طريق الحق ونحن في طريق الغوا فقلت له لا باس عليك . ولكن العجوز تقول وكيف

تربي ولد ממזר (١) (اجنبي) في بيتها وهي من لحمه عاليه وما الذي يقولوا الناس الذي يشوفوه عندهم . فقال لا تسميه التورات ממזר بل تسميه בשר (مجاز) وهو قول الاحبار . (175) وزاد في حميته وقال تعال نرجع وانا اقول لهم ان كان لم يقروّا لكلام الحاخامين فليس هم من جمعيات ישראל(٢). وانا المتعلم لم رايته مشتدّ في نزاعه شقّ علي الامر وقلت له يا سيدي ويا حبيبي كلامك صحيح عند الذي يعرفوا طريق الحق واما هولا لا تدخل عليهم بالمهاوله فنتعب انفسنا ونزيد في غثاهم لا غير ، ولكن تعال ندخل بالسياسه وندوّر لهم بصيره . فقال لا اقدر اصبر ولا حيا بدين فدخلنا البيت وقد اضلم الليل ارواحهم بنخيرُه . فرجع سحاب الحزن وخيّم على سماهم وانا بقيت حاير الفكر لادور ما الذي اصلح به شانهم وكان غثاي من غثاهم .

وبعد ذلك اليوم لما كنت جالس اتحدث مع الأُم وقد احنا كالاهل واجابرها بالكلام فقلت يا امي كلام الحاخام صحيح ولكن لا تكثري الحزن يجعل الله طريق . قالت يجعل الله طريقها الى القبر قبل ان تولد بنتها اجنبي . قلت ان كان خوفك من هذا فانا ملتزم به ولا تحزني . فقالت وكيف تلتزم وانت مسافر وليس تتزوج بها وهو جالس عندي ، هذا كلامك محال . فقلت لها لا باس ولكن ان كان مرادكم (176) فانا ارسل سعيده بنتكم الى الجوف الى ناس قد هم معاريف لي واملك بها في الجوف من حيث ولم نجد هنا في الحال ناس ليملكوا على سنّة الشرع . فقالت اني اخاف للا تعيب على بنتي وتتركها وهي بعيده مني ومن اهلها . فقلت اعوذ بالله اني ليس من الفرغ وانا اخاف من الله كفايه . فلما اجملنا بذلك فرحوا وسعيده مسكت بيدي وطرحتها بين عينيها وقالت اني لك خادمه اذا نجّيتني من العار والموت . فقلت لها يصلح الله . ومعلمي قد سالني ما الذي زاد اتفق لحتى راح حزنهم وقُرُب فرجهم . قلت نعم ان قد اجملنا على صفة كذا وكذا اذا شا الله . قال شغلك هذا وقت ما تصال بها عند اهلك ومعاريفك في

١- اي ابن حرام
٢- اي اسرائيل

صنعا اخبرني ما الذي يقولوا لك منها هل يقبحوك او يمدحوك . قلت يمدحوا ويقولوا جا بفايده ما مثلها ، بنيّه مشرقيه ، سبب ان نسوان المشارق مشهور جمالهن في نواحي اليمن . قال لا باس . ولكن قد اغتريّت بكثر جمالها وحسن حالها وزاد في مدحها من قُفاع راسها والى اضفار ارجلها . فقلت له يا سيدي ليس انا مغرور ومقصودي الخير في ذلك وانا في نفسي قد انا مفتخر بهذه المحسنه . وبعد ارتدّ عليا معلمي بالغضب (177) وقال اليس تعلم انك خرجت من بيتك معي لنقصد الله في شغلنا وفي الحال تريد تدخلني في اشغال ثانيه . واذا تركتها في الجوف او في اي مكان لحتى نكمل سفرنا وبعد تدخل صنعا بالطبينه الى بيتك فما الذي يقولوا اهلك واخوتك واولادك وزوجتك ، اليس ما هذا الشغل عار وتعب عليهم ، اليس ما تتكلف تفارق ولو اولادك بسببها . اليس ما تتعذب بمخاصمة اولادك وزوجتك بسببها . وكم تعب تنال واهلك يقولوا كل هذا بسبب يوسف هلوي ، وانا لا اقصرٍّ في نعث اشغالكم القبيحه ، يا اهل اليمن من هذه الفنون عند اهل النواميس ، وايضا في كتابي ، اذا لم تراجع من هذا الامر الذي تحسبه عمل خير وهو عمل شر ، وانا قد عرفت ناس عندكم يتزوجون بكم من النسا ولا يبالون من الاثم والمصايب عليهم وعلى اولادهم . وكم خسف ولعن سمعت منه حتى اضمر قلبي وخزيت على نفسي من هذا الامر وقلت له انا قد عرفت ان الحقّ عندك وقد صدقت بنصيحتك لي . ولكن اريد منك بالمعروف للا تخرج هذا الكلام فيكون عيب علي بلاش وانا قد تركت ذلك باطن وضاهر .

(178) فلما خرجنا من عيد الخضيرا مضينا الى محل اخر ونحن مُركنين لنرجع الى بيت مري معيض . فوصلنا الى بيت مري ثاني الذي ما زاد ذكرت لا اسمه ولا محله وهو صايغ وقد اكرم لنا بعسل التمر الذي ما قد عرفته . وكان واحد سوق اسمه دحضه وهو قريب مننا فسرت اليه لاتفرج على الناس الذي فيه وعلى بضاعته بيعهم وشراهم فدخلته واذا هو كساير اسواق البوادي الذي لا بيوت فيها ولا دكاكين وبضاعتهم القُطن المصبوغ بالنيل سواحلي او حضرمي وغير مصبوغ ومن البز الثاني والقماشات ليس بموجود . هذه بضاعتهم المجلوبه من خارج بلادهم ، وهم يستكفوا

بما قد اركنتهم به ارضهم من الحبوب والتمر والمواشي ، ونادر ما يجلب الى بلادهم من ساير البضايع وقليل الذي يطلبونها . واما الملح فمن ضافر الذي هو قريب مارب الذي ينتولونه في صنعا ونواحيها . فبينما انا اتفرج على ذلك فاذا في طرف السوق واحد فقيه من المكارمه . وهو ينهي القبايل للا يلتفتوا الى النسوان الواردات الى السوق لياخذين حاجتهن وما رايت احد من القبايل يميّزه او يسمع لكلامه . اما النسوان فكان يتخزين من صياحه . فلما (179) حمت الشمس عطشت وما عرفت من اين اشرب . فلاقيت واحد يهودي ومسكته وقلت تعال يا اخي اسقيني من حيث الذي تعرف لاني غريب . فساق بي في وسط السوق الى حرمه معاها ما في ثنتين قرب تسقي الناس بالقيمه . فاخرج لها بيده من مسبّه قبضه من التمر الخفيف واعطتني شربه من الما . فزاد اخرج لها قبضه ثانيه لاجل يشرب فهو الذي قدم الما الى فمه ليشرب فاذا بصوت ثور الفتنه في الحال والناس قد صاحوا صيحه واحده وهربوا . واليهودي من خوفه نسا انه بيشرب وبزق الما من لقفه وهو يقول باعلا صوته سوق ، سوق ، وهرب فالتفت والذي وراه يهرب يصيح . فقال او ما بيني وبينك حتى تتبعني ورماه بالوعا حق الما الذي في يده وهرب . وفي الحال ما ذهنت الا وما عاد ناس في السوق ولا فرد . اما مفارشهم ببضاعتها فجميعها باقيه ولكن مع الهريب قد داسوها . فبينما انا مبتلد واذا قد رجعوا الناس وكلهم ينطقوا ويقولوا سوق ، سوق ، سوق ، فعاد الاخر ما قد وصل الى مفرشه واذا صوت العياق ثاني مره ، والمتسوّقين رجعوا للهريب وانا مستتب مكاني في وسط السوق وقد عرفت ان لم يتعرضوني ، حيث وانا (180) غريب عندهم . فحضرت فكري لاعرف الى اين الهريب فاذا كل واحد يهرب الى كل جانب . وما دام وسوق دحضه هذا في صرحه لهم وحواليه اشجار النخل ، فكان يدخلوا بينها وما زاد رايت احد الا رجال الحرب نصرتهم يبعدوا اقباعهم من روسهم ويندشوا قعشتهم ويشطروا في النخل الذي هو قريب وليس بمرتفع وسلاحهم معاهم وهم يتزنّبوا وسط شجر النخل ويطلقوا الرصاص وقت الفتن . وبعد قليل لهذه الفاغات نزلوا من النخل الشجعان والناس ارتدّوا من الهريب الى السوق وكلهم يقولوا سوق ، سوق ، المعنى لهم ان الاسواق تكون مهجّره ، ولو كان دين او خطا او حتى قتل

فلا قضا ولا خطاب في السوق للا تثور الفتنه . ومن خالف شرعهم هذا تعاونت جميع القبايل عليه ، وهكذا ساير اسواق قبايل اهل اليمن غير المدن . وفي هذا السوق ليس في بالي اني زاد لاقيت يهود غير الذي اسقاني . وبعد رجعت الى معلمي واخبرته بما شوهد لي .

اما الخرايب فاخبرونا بواحد مكان فسرت اليه ولم اجاده مهيل مثل خرايب الجوف ، وليس فيه من الاحجار المنحوته . (181) ومن الكتايب وجدت ثنتين حجار لا غير . وفي جانب هذه الخرابه مسجد وعليه قُبّه وتقول العرب انه قبر ثمود اخو عاد . ولا بد انه عاون اخوه في عمارة الارض وتكفّا بها ولم يعمر له ولاصحابه في وادي نجران شي وهو مُركن بقوّة اصحابه . والى يومنا هذا قبايل الوادي اكثرهم مختلفه اجسامهم بالكبر من ساير قبايل المشرق هذا . ولذلك سماهم الكتاب اصحاب الخدود . والقبايل مقرّين ان بلادهم قد تهودّت وتنصرّت وعاد اسما بعض ضيعاتها باسما اليهود . ومذهبهم الى يومنا خلاف مذاهب قبايل اليمن . وانا رايت عند قاضيهم واسمه بن لُغه دعاوى ونزاعات على مذاهب الداودي والسليماني من برط من القاضي اسيّد احمد الكبسي . وقد غفل من ذهني ما الذي تعرّضت في الجواب لحتى ان بن لغه بذل لي بيت ونخل وقال اجلس عنده وهو يعطيني زوجه من اليهود رُبعانه وكان قد حضّر لي ولده من آل الجمل ولم اساعده . فكان مراده على قوله ان يضيّفني ثلاثه اشهر او حتى شهرين وانا ما جلست الا يومين ورجعت الى معلمي . وانا قد كان رغبت الرجوع الى البلاد بعد ما نخلّص اشغالنا (182) لسبب وضع القبايل وجوادهم وخير البلاد ولكن همّيت اهلي واولادي . وثانيا ان اخوتنا الذي ساكنين في نجران لا يسلموا المرض ما بين كل سنه او يحدّه سنتين ويعاودهم المرض اشهُر حتى يصرفوا ما الذي قد اكتسبوا ويزيدوا في الدين ، هذه عاداتهم عمر بلادهم . وانا ومعلمي كان مرادنا نسير الى براد محل فُقها قبايل يام وهم المكارمه ولم امكن ذلك . وقد همّينا بالسفر الى برط بعد ما تفرجت على شجر النخل العاليات الذي سُمكها قدر خمسين ذرا ع يد وكيف يطلعوا الى روسها . وقد سالت اخواني من اخبار اليهود ولم اسمع نتيجه بل يهتفوا بقبايل بني

الحاكم (بني دن) وبني الناصر (بني راوبن) ، وكم حزاوي يحازوا بهن مثل ساير اخوانهم . وفي صعده ينسبوا يهود نجران من عشرة الاسباط עשרת השבטים(١) وهم الذي في مغرب نجران مثل قرية كتاف وما يليها ويسمونهم بني فلان بني فلان وهما لحام قلال بالمره . وليس يوجد عندهم كُتب الا ما انتقل من صنعا لا غير . وانا طلبت من مري معيض الذي ما زاد رجعنا عليه ان يفرجني كتبه فحضر لي زُعبه من الجلد وفيها كم كتب وقد هي خزانته (183) فبينما ادوّر ما الذي القا فيهن واذا قد لامست كتاب العهد الجديد ברית החדשה وقد عرفت قطعته ورايت هياته من قبل في صنعا فما امكنني اخرجه قدام معلمي ، وهو قد ادركني وقال اخرج ما الذي تخبّيه مني فخرجته وسالت مري معيض من اين جا عليه . فقال انه اشتراه بعد تعب بريالين من قبيلي ادّاه معه من حراز وقد اعجبه بنضم مطبعته وشكل خُساطه وليس يعرف جنسه. هذا ما شفنا عند مري معيض .

اما مري يعيش السلوس فقد تواعد لنا بقبيلي اسمه حُنبُك ليسوقنا الى كتاف . ولم حصلّ لسفر معلمي لا جمل ولا حمار فسافرنا مرجلين . فوصل بنا الى نقيل الحديده وقد غربت الشمس حتى سافرنا الليل في ضو القمر . فبينما نستحب سحب من جور التعب في عوارض الجبل واذا البدوي حنبك ردّ على صدري بالعود الذي في يده ودهف بي الى قفاي حتى انتذقت الى الورا . فالتفّيت في الحال وصُحت عليه وهو يقول اخّر با تقتلك . وقدم علي وجرّني عليه وانا ما عرفت شغله . فقال القارش قدامك ، انت الاّ اهرُب . فمديت نضري مع فكري واذا بنوع من انواع الحنشان (184) مثل المسبّ ، وعيونها كبار ومحدوره تبهت من في بطن أُمّه واذا لفت بالانسان تنخشه وما تفكه وسمّها مثل الافاعي . ولا تقطع فيها جليل الرصاص ولا السلاح . واذا همّوا بقتلها فيقدم عليه الذي هو شاجع ويطعنها بالعود ويوتر عليها بعوده للا تفر فتقتله والناس الحاضرين يجمعوا الحاطب الى فوقها ويحرقونها . ويسموها حيه . فبعد ما شاهدنا

١- اي القبائل العشر

هذا بقيت حذر منها في سفري ليل او نهار . اما معلمي فقد كلّ جهده في سفر نقيل الحديده ونال كل العذاب سبب ان ليس معه مركوب . والبدوي حنبك قد بلغ جهده معانا زياده حتى انه حمل معلمي على ضهره وسرنا شي كثير حتى شاهدنا لوايح النار فقربنا اليها واذا هم ناس من اشراف الجوف ممسين في عارضة الطريق في الجبل يريدوا يصالوا نجران يخترفوا . فطرح معلمي من علا كتفه . ومضا في تلك الليله الى عندهم ، فتحدثوا معه وهو قد تمدح لهم ان قد فعل خير معانا . ومن حسرة واحد مننا ركّبه على ضهره . فبخسوه بالكلام وقالوا له اليس تعرف انك مسلم مصلي على النبي وهولا يهود ، وكيف تركّبه على ضهرك ولا يجوز لك حتى تتحدث معاهم بحديث (185) لين فاذا تحدثت معاهم بحديث لين لا بد ان تضحك من مداخلة الكلام بينكم . وهذا امر شرعي ان الذي يضحك مع يهودي ما يقدر يبصر وجه النبي يوم القيامه وهو يقفي منه سبب صحبته لليهودي . هذا ما اخبرنا به حُنبُك من كلام هولاي اشراف الجوف رجّح الله عقولهم . ولولا ما قد عرفت البعض منهم وهي الذي قالت لخبيرتها وقتما ضربت لهم الباب : حاشيك هو الذي لا يُذكر ، لكان ما صدقت لحنبك من كلام الاشراف الذي ما عرفوا ان النبي كان له جار يهودي وكان يتحدث معه بالكلام اللين ، وهو قول الكتاب: الا بالتي هي احسن . وحنبك لم صدق كلامهم كله ولم يصدق لنا ، فسار بنا حتى وصلنا يوم ثاني الى مكان ما زاد ذكرته ودخلنا عند واحد يهودي وقد احوشين علينا نسوان القبايل يتفرجين علينا ويسالين من اين احنا وما جنسنا بالمازحه . وواحده منهن مدت يدها اليه بلطافه وغُنج وهو لم يلتفت اليها وكان يكره كلامها وزاد ارادت تدخل يدها الى صدره بين الناس ، فتسحوق من مكانه وحمس بصوت ذليل وشخر مما كرهت نفسه . وهي قد خزت على نفسها مما ضحكين عليها خُبرتها . (186) وانا سمعت البعض منهن يتحدثين ويقولين هذا ملك ، ليس انسان . يا ريت من كان منه ، عسى يكون الثمر مثله .

وحنبك قد اجر اثنين قبايل يسوقونا الى محل اخر لا بد الى كتاف الى حيث ما التزم بنا . فلما وصلوا بنا الى بعض الطريق تغلبوا علينا وارادوا ينهبونا ، وما عندنا شي ضاهر . فداريتهم حتى وصلوا بنا الى بيت واحد يهودي قد هو شايب قد لا بد بلغ

عمره عن ١٠٠ سنه . فرحب بنا وادخلنا بيته الذي ليس فيه الا جرمه ومرته الجديد ليس ام اولاده الذي لقيت منهم في وادي نجران وقد هم شايبين . والقبايل الذي اوصلونا جالسين في باب بيت اليهودي مراعيين لاجره ثانيه غير الاجره الذي سلمناها لهم قبل وهم جالسين يتحتّموا فينا . فلما عرّفنا اليهودي الشايب بشغلتهم وحتمتهم علينا قام عليهم بسلاحه وهو العود وصاح فوقهم واهترا عليهم وسبّهم ولعنهم ، وانا اتعجب عليه واخاف للا تحصل فتنه ونحن السبب ، وقد هربوا من مخاصمته لهم . وزاد افتكرت عليه وكيف يهتري عليهم وقد نجح قواه من كبره ولا يقدر يسير الا وهو متّكل على عصاته (187) او الجدار . اما همة عسارته وشجاعته فهن باقيات على ما تربّا عليه . ومعلمي لما راى القبايل قد هربوا رجع يخاصمني وقال اني ما اهتريت عليهم واقنعتهم وما الذي يقدروا يفعلوا بنا واني ايضا مثل الحتول (الدمّ) الذي شغله مبين . فقلت له يا سيدي لاتشتغل بشجاعة هذا الشايب ولا بمهراه ، انه ابن البلاد ومتربي بين القبايل ونحن غربا في هذه البلاد ولم نعرف شي من اخواضهم . واذا خاصمتهم فنكلّف لانفسنا شغل من غير فايده وليس لنا دفاع من المحن غير المداراة بالبصر .

فلما استقرينا من المخاصمه ونحن نتقهوا سالت اليهودي الشايب من احواله . فقال ان اصله من صنعا من بيت الجمل وهو هرب في ايام الخليفه المنصور علي وهو الخليفه الذي قابلته السعاده ازيد من غيره وكان تدفع له جميع بنادر اليمن وايضا من الهند ارسلوا له بهدايا من الذخاير والنفايس وقد اجتمعين له عدّه من الجواري. وزاد سال من الطبيب الذي كان عنده ان يعطيه علاج القوه زياده على ما فيه من الكفايه . فاشترا الطبيب من افخر ذكور البهايم الهايجات واسقاه من العلاجات القويه للانعاض. (188) فلما زاد في هيجة شهوته قطعه الطبيب بالموس وفعله علاج مركّب بالادويه حتى صار في قوته اعضم من السقنقور وكان ينتول منه وقت الحاجه . هذا الخبر يوصفون به الذين هم خاورين لكثر الشهوه وينسبوا ذلك للخليفه المذكور . وهذا من الخواصات الغريبه لاهل اليمن . وبركة الجوار الذي كان معه كانوا له اولاد كثير.

وقد وقع جرح ونزاع من بعض فُقها العلما على اولاد الجوار ولو قد تزوج بهن زوجه يدّعوا ان قد عيّب ذريّته. وقد عمر في صنعا دور مهيله وكان تتكلف عليه الدار في مال جزيل ولا يبالي من كثر السعاده في وقته . ويقال ان الحجر الواحده الحبش من عمارة الدور كان تتكلف عليه في ريال ، قطعها وتوقيصها وشقا عمارتها وكان كل شي عزيز. ويصاير هاذاك الوقت تشهد على غلا كل شي . فلما اسكن الدور اولاده امر باخذ اولاد اليهود اليتمى ليسلموا عنده لحتى يسكنهم خدامين ودوادره في الدور والقصور ، ومن تحتها تجري انهار الدموع من امهاتهم واهلهم . والاولاد في اول امرهم يحزنون . وناس خبّوهم في بيوتهم حتى بلغ رشدهم، وناس هرّبوهم اهلهم (189) الى محلات بعيده من صنعا مثل الجوف وغير. وهذا المكان الذي لقيت فيه هذا الشايب هو الذي كان من اهل السطوه والثروه . ولكن قد نجح ماله وانهزل جسمه وكان من الهرمين وعياله وقد تفرقوا. وبعد ما تقهوينا عنده عزمنا الى مكان اخر وليس معانا خبير لا يهودي ولا قبيلي ، حتى وصلنا الى بلاد وايله وامسينا عند يهود يقول واحد منهم ان اصله من صنعا من بيت القها فامسينا عندهم .

ويوم ثاني توجهنا وحدنا الى المحتويّه قريب سوق العنان من بلاد قبايل ذو محمد وهي بلاد برط . وقد لقينا في طريقنا رجل راكب على حماره وهو في هيئة نقيب من نقبا القبايل ، القُبع المهذبل على قعشة راسه المندوشه فوق وجهه ، والقميص المكمّم ومحتشر عليه مثل القبايل وهو مقطوب بسلاحه والصبيفه على جنوبه . فتشبّه لنا انه قبيلي وقد ذلّينا منه فوصل الينا وهو يمعن نضره فينا فقال بلسان اليهود שלום (١) عليكم . وبادر نزل من فوق الحمار وسلم علينا بالمعانقه سبيل عادتهم . فسار معانا قليل وتحدثنا معه (190) فقال ان اصله من صنعا من بيت فنحس هكهن. وزاد سالته على زيّه هذا . فقال ان عادة بعض اليهود في هذه المحلات يتشبهوا بزينة العرب في الطرق وفي اسواق القبايل للا يستضعفوهم ويتعرضوهم ، ووقت الحاجه يجردوا

١- اي السلام

السلاح على المتعرض لهم ولو تكلفوا للقتل ، ان ذلك افتخار لجيرانهم الذي هم في ضهورهم . وبعد رد السلام علينا وسار له في طريقه ونحن دبّينا وحدنا في طريقنا في عوارض جبال بلاد برط .

وقد ضاق حالي من السفر ومن جور التعب وايضا اصابع ارجلي قد تسلخين المره بعد المره من اكداف الحجار وليس نجد شي من اثارات الاقدمون ولا من الكتايب ابدا الا راينا قبور الاقدمون وهن الذي يسموهن دروم الكُفار لا غير . فبينما نسافر وانا في حالة الندم من هذا التعب من غير مفيد واذا بحصن مرتفع في راس جبل من حصون العرب . فقال معلمي اطلع الى هذا الحصن لتشوف ما الذي تلقا فيه من الاثارات. فقلت له يا سيدي اني لم ارا فيه شي وبنايته بناية العرب وليس ارى في حجاره اشاره من اشارة الاقدمون وايضا قد انا تاعب زياده . قال لا انا اجلس وانت تطلع الحصن . فقلت له (191) اني اخاف عليك للا احد يتعرضك لسبب انك تجلس وحدك . فقال لا تخاف ، انت الا اطلع . فما امكنني المخالفه والمعانده له الا طلعت الى بعض الجبل حتى لم اراه ولم يراني وجلست ثم قدر ما اطلع وانزل وانا خايف من القبايل للا يروني فيقولوا ما معانا في حصن خالي ليس فيه ناس فنكلف لانفسنا مصايب من غير فايده. فجلست هناك حد ما جلست وبعد نزلت وقلت اني دخلته ولم اجد فيه شي وهو انكرني وزاد في المخاصمه . فدبينا في طريقنا وقد قلبي مريض غير ما في حالنا من التعب وضجر الطريق حتى قربنا الى قرية المحتويه وجلست من الحسره والغثا بعيد منها . ومعلمي قد سبق ودخل عند اليهود واخبرهم بحالي. واخوتنا لما استبطوني اشجنوا علي وارسلوا نفر منهم ليدورني في الطريق وليدعيني اليهم . فوجدني وانا غارق في نفسي فسلم علي وجر بيدي وجابرني بالكلام . فلما شاف اصابع ارجلي مسلخه ولم اقدر اسير سالني ما هذا . فقلت هذه جبال بلادكم قد روت من دم ارجلي وقد اعجبها حسرتي فيها . فقال انك لا بد ما تعرف السفر في الجبل ولكن انا اعلمك كيف سفر الجبال . فقلت جزاك خير اذا (192) علمتني. فوقّفني وهو يخطا ثمان او عشر خطا ويرجع ولم يسحب ارجله سحب بل يرفعهن قليل بخطيته . فقال لي امشي مثلي ولا

تسحب ارجلك . فما سرنا من ذاك المكان الا وقد تعلمت وايضا نسيت التعب والغثا الذي في حالي .

فوصلنا الى دار اخينا العزيز المكرم داود جميل (رحمة الله عليه رحمه واسعه) المشهور باكرامه وحسن خلاقه لكل فرد . فرحب وابهل بنا ازيد من ما قد عرفنا من غيره وايضا عطل شغله في ذلك اليوم وهي صياغة الفضه وفعله عيد لنا وله وقد ذبح لنا من افخر الكباش وزاد قرّب لنا من التمر العال النزّ الذي يتكسر مثل السكر ولوز وجلجلان وطروش ، ودقّ هذا مع هذا واعطانا الكفايه منه مع العرقي الهايل . فتحدثنا معه وسالته من الكتب الموجوده معه فلم اجد من ما اطلبه ابدا . وقد سلبنا بناموسه وكلامه الحلو حتى تمنيت الجلوس عنده ولو يومين او ثلاث . وزاد تعجبت على ميزته وناموسه لوالدته وقد هي عجوز لا بد من فوق ٧٠ سنه لانه قريب من ٦٠ سنه وهو موكّل لها في جميع مصاريف الدار وحوايجها ، ومفاتيح مخازينه الذي من العود ، ليس من الحديد ، معلقه في رقبتها على صدرها مع حليتها وهي (193) الدُقّه واللبّه واللازم ، وطوق الحديد الذي على رقبتها للا يخطفوها . وله ايضا ثنتين نسا او ثلاث ، ولكن هي ام المحشّرات وهي ايضا لم تقصرُ في ما تسلّي به علينا من تعب سفرنا ومن عذابنا ، وتدعي الى الله ان يكون رجانا ورجوعنا الى بيوتنا على خير .

ويوم ثاني لذاك اليوم قصدنا السفر الى طريق الجوف وقد عوّلوا علينا لنجلس عندهم قليل او كثير ولم ساعدناهم سبب ان نحن مهمّين الرجوع . فكان مرادهم ان نسير الى قرية رجوزه وغيرها لاجل يحصلوا لنا اخوتنا الذي في تلك القرى معاونه لما يقوم به حالنا في طريقنا . وكان في ذاك الوقت المعاش معاهم سهيل لسبب ان قبايل بلاد برط وهم المسمّايين قبايل بكيل ، قد كانوا متغلبين في اكثر نواحي اليمن وهي الاراضي التي كانت تدفع الحقوق لدولة صنعا بعد وفاة المهدي عبد الله سنة ١٢٦٥ . ذلك بعد ما استفتح بنادر اليمن وملكها وتدوّل عليها ابراهيم باشا بن اخت محمد علي باشة مصر. فقدّم مع عساكره على مدينة تعز . ذلك في ايام الناصر الذي كان خليفة صنعا . وهو الذي وجد في دار الملكة بعد نجاحها (194) وتعطيلها كتاب من كتب اليهود بيت

البديحي الذي كانوا يخدموا عند المهدي عبد الله . فلما راى ان الكتاب ليس فيه منفوع له ولا يقضي به حاجه ولا دين يقضي فارسل الشوش لجميع مشاهير اليهود وعُقّالهم وتحججهم بدعواه انهم اطغوا الخليفه المهدي المذكور من الاسلام . وهذا الكتاب اشاره لدعواه فامر عليهم بجلب سفر التوراة التي في الكنايس وحريقها في ميدانه . وهولايك اليهود قد صلبوهم ليجزبوا روسهم . والجمال قد ساقوها ليحملوها من الكنايس الاسفار . فبينما هولا المساكين مقيّدين مصلوبين والمصلحين اصلحوا ان يدفعوا كفاره ٥٠٠ ريال وروسهم تبقا حاجتهم ، والاسفار تجلس في هياكلها وكان كذلك . ولكن يقولوا المتدحين ان كعبهم ما سلّم الفلوس للناصر المتحجج لهم الا وقد رقا عليها رقوه عظيمه حتى ما دارت السنه على الناصر الا وقد بسرّ خواص الرقوات قتلوه هو واصحابه وسط الدار في وادي ضهر . وقام بالخلافه علي بن المهدي مره ثانيه هو الذي قد ذكرناه سابقا . اما ابراهيم باشا فقد كان عجز من اخذ مدينة تعز ، سبب ان العامل الذي كان فيها من ايام (195) الهادي الذي قبل الناصر قد ادّعا لنفسه الخلافه ، غير من الجراه الناصر . فجمع له العساكر واكثرها من قبايل برط . فاتفق ابراهيم في ذلك فوقعت بينهم حروب مهيله وقتلات موحشه حتى خادعت عساكر مصر عساكر اليمن بالفلوس . وايضا محمد بن يحيا الذي قد ذكرناه في ما سبق زاد في مخادعة العامل الذي قد ادعا الخلافه وهو عمه اخو ابوه لانه كان مع اصحاب ابراهيم باشا . فما فقد الا وعساكر مصر قد انتصروا ودخلوا المدينه ورجع يصالحهم وعساكره تراخت وتلاشت . وهذه عادة اهل اليمن المكر والخدع لدولتهم وايضا لانفاسهم . وفي قرايب ورد لعساكر مصر رفع من دولتهم فخرجوا من اليمن وفلتوه . وقبايل بكيل بسطوا على تلك النواحي وملكوها حتى ارتفعوا منها الى بلادهم برط التي ما تقوم بهم بعد ما اغاث الله البلاد والعباد باشراق شمس العالم اليها ، وبها نور الاقمار فيها . وانا استغفر الله في حق الله وفي شمسه وفي اقماره سبب ذنوب العباد تكدّر بعض اقمار البلاد من بُعدها من شعاع الشمس . يهديهم الله نحو الصواب وتعمر الارض عمرا مبينا ، (196) ولا تهمل هملا ولو قليلا ، فتُترك وتكون قافرا وخاليا ، والبوم وابن اوى يرثونها ويسكنوها ، يمد الله بحجابه على شمسنا ، وينوّر

قلوب اقمارنا ، امين . اما قبايل بكيل الذي كانوا اجنحة دولة صنعا اليمن فقد عجزوا من تغلاّبهم وتغزّاهم في اليمن الاسفل وقعدوا ليطلبوا رزقهم من وطنهم . ومن حيث ولم يقوم بحالهم لما قد الفوا عليه من المخرجات والمصرفات التي كان يصرفونها في ايام تسلاّطهم في يومنا هذا قد ضعفوا يرحموا المرحمين ، وكيف اخواننا سكّان بلادهم الذي صاروا ضعفا ازيد وازيد من جيرانهم . يفتح الله عقولهم حتى يرزقوا رزقا حلالا سهيلا .

قال المحدّث وقد عارضت بخبر ليس من الغرض ، عسى اخفّف على القاري من تعب رحيلنا في بلاد برط . فسافرنا يوم ثاني لمسانا في دار داود جميل مع يهودي قد ارسلوه معانا ليدلنا الطريق لنرجع الى الجوف حتى اوصلنا الى بيت يهودي في اطراف بلاد ذو حسين . وقد حوّزتنا السبت في ذلك البيت الذي ما قد وفقني الله بمثله، وهذا وصفه . الحوش وهو حجرة البيت طولها سته اذرع يد وعرضه اربعه الا ربع . وفي زُوّه من (197) جانبه الداخلي باب المكان الذي يدخله الانسان الا وهو يحتشي منه حشي . والمكان هذا فساح عرضه وطوله ثلاثه اذرع . وفراش اليهودي القاع ، ودفاه الجرم المبرطط . كل هذا وله ولزوجته واولاده . وقد ذبح لنا ولاجل السبت فرخ من الذي عاد هن رهط . اما ترتيب صلوة السبت والوعد فما تفوته . ويوم السبت بعد الصلوه وبعد ما درس مع عياله وقد تغدّينا ما الذي قد حصل زاد ، اكرم لنا بكيله صغيره من النبق فرغبنا له وانجحناه . فقال ان كان عاد مرادك يا مري ، قوم وانتول لنفسك من المخزان . وانا قد مرادي اشوف مخزانه وحوايجه . فقلت اين مخزانك واين المفتاح . قال ليس مفتاح وهوذا المخزان قُدّامك في الحوش . فخرجت من المكان واذا بمغرّي فتحه شبر ونصف ، وداخله جرف في الارض، فيه من النبق قدر اربعه او خمسه اقداح. هذا غناه وهذا كسبه ، وهذه اشاره من لوايح البلاد.

ويوم الاحد سافرنا وامسينا عند يهودي ثاني وهو احكا لنا ان قد هرون الصعدي صاحب الغيل الذي ترشّد القضب قد (198) اصحبوه الجن ولو ان قد حدث فيه

مرض السقطه . ذلك لشهرة الجن الذي ساعدوه . وايضا اخبر اليهود باسما جنانه وجنُّه وهم بַחִיִי ואלסַבָא (١) يكشفوا له ما في الصدور وايضا في العلوم ، بعد ما كان ياكل القضب مثل الحمار ، اليوم عالم كبير . ومن وقت ما دخلوا فيه وهو يناشُط لحييم حبشوش خبير الحاخام يقول ان אלסַבָא ואלבַחִיִי لهم حاجه ضروره منه وهو ايضا مراعي لكم في طريق الجوف الاعلا عند القبايل عُملته . تامّل يا ايه المطلع على ضعف عقول اخوتنا هولا الذي كلام هذا المريض عندهم حق ويفرحوا به، رجالهم مع نساهم . وانا مسكين حالي قد غثت اكبادي من خبره ، وكيف اذا زاد وافقته . ويومُ ثاني لقيناه اخر اليوم ونحن قريبين من الحزم فسلّم علينا واراد ان يشغب لي في الطريق من شغب اصحاب المنخوليا . فقلت اني اخاف من القبايل فلا تكلمني هنا ولا تسايرنا ، وانشى الله بيننا في الغيل . فقال قد شغلوه الجن وأُم قالد شغله بسببي ، والسبا والبحي بشّروه بمظمون جدول (كنز كبير) في خربة السودا وقالوا له لا يجوز يخرجوها الا وانا معاهم حاضر . فقلت له امضي في حالك ، والكلام في (199) وعاه ، وبيننا بعدا ، وانا قد ذلّيت من صُراعه . فوصلنا بيت سالم بن سعيد وقد وصله مكتوب ردّوه له اخوتنا الذي في برط وهو من صنعا من الاستاذ يحيا القاره ومكتوب عنوانه الى يد حييم بي يحيا حبشوش الصنعاني اين ما يكون كان . فاخذه معلمي وفتحه واذا المكتوب باسمه . فسالته ما هذا وما الذي فيه . قال انه من بيته من زوجته ، ولم يخبرني بما فيه .

وبعد قال معلمي لسالم بن سعيد انه يدور لنا سير الى مارب ونحن نعطيه الاجره . فاتفق بواحد بدوي اسمه مرشد وقد هو مسافر الى مارب ليقضي شغله فشارطه علينا وهو قد التزم بنا ليسوقنا مع جمله الى مارب . ونحن شرّحنا جميع النُسخ الذي قد حصلّنا في هذه النواحي وايضا ثنتين حجار خفاف عليهن كتبه سطر سطر . اما الفلوس الذي قد جمّعنا من الصدقه والخمسه الريال الذي ارسل بها الاستاذ يحيا

١- اي "البحي" والسبا" وهما اسمان لاثنين من الجنّ

القاره من صنعا الى الجوف كانت الجميع عدد ٤٢ ريال فقد خبّيتها ورتقت عليها في حزامي . وسالم بن سعيد التزم لنا انه شا يدخل بنفسه الى صنعا ليقضي حوايجه ويدخل معه جميع ما شرحناه ، وايضا (200) النسخ المشرحات في ملح عند يحيا بن سعيد يدخل الجميع معه وتمّينا على ذلك . ويوم ما سافرنا من عنده زاد معلمي زكّن عليه وقال ان كان ولم تقع لك دخله الى صنعا ارسلت برسول قصد عاني وانا اسلم الاجره ولا يسلّمهن الا الى يدي او يد مري يحيا القاره لا غير . وان كنت انت ، فلا تقبّض احد غيري او مري يحيا فقط . وانا لما سمعته يزكّن عليه ولم يذكرني شكّيت شك عظيم ما السبب لذلك . وقلت في نفسي لا بد ان له حيله فاذعنت ولم اكلّم بشي . فسرنا في اخر ذاك اليوم وامسينا قريب الحزم عند البدوي مرشد ويوم ثاني زاد تملّهنا حتى يصال جمله . وقد عرفت ان سيّدنا مرشد تحيّر من السفر حتى وصلت الفلوس من برط الذي يسير بها لناس الى مارب ، ذلك بالاخفا ، فلو احد يعلم بها لكان قتلوه واخذوها وهي ٨٠٠ ريال قيمة بز حضرمي لواحد بياع مشتري من سوق العنان. وبعد ساق بنا غير الطريق خوفه على الفلوس ولم يبيّن لنا لا بالفلوس ولا بغوا الطريق. ونحن قد فرحنا بغوا الطريق للا يلاقونا القبايل .

فبينما نسير في الخلا ومعلمي راكب على جمله لقينا اثر بنايه في الخلا من الحجار المنحوته كان هي ساقيه للما . (201) وقد ساق بنا البدوي مرشد على نواحي رغوان ، وهي طرف عمارة بلاد الجوف في يومنا من جهة الشرق ، وليس تجد خلفها في مشارقها قُرى ابدا الا بعد مسافه في الرمال قدر ٢٠ يوم حتى يصالوا الى مسكات من غير ما يلاقوا ناس في الطريق . ومن جهة نجران شرقي بقبلي الدواسر والحسا مسافه قريبه ، وليس يوجدوا يهود في هذه المحلات ابدا حتى يخرجوا البصره . وانا احدد سكون اليهود في نواحي اليمن في مكان اخر . فمضينا على خرابه مهيله وليس كخرايب الجوف ولا بد اني لقيت فيها ثنتين او ثلاث حجار مكتوبه وهي قريب رغوان. وذلك اليوم امسينا في الخلا . ويوم ثاني سافرنا بين لكام الركام وقد نجح علينا الما الذي كان معانا فوق الجمل . ومع حرارة الشمس ازداد معانا العطش وبينما نسير وما

نشوف في تلك الاقطار الا لكام الرمال فاذا بشي مقبل علينا من بعيد . فلما وصل الينا واذا هو بدوي متلثّم على لقفه وراسه بمنديل ، ورقعه ليستر بها عورته وبندقه وجنبيته لا غير . فساله مرشد بعد ما سلمنا عليه من حاله . فقال ان له يومين يلاحق بعد اثر دسعة وحش يريد يتصيده ، (202) والبدوي في نفسه مثل الوحش ، ومضا له في حاله . ومرشد يسير بنا في اماكن ما قد عرفها ولا ناس فيها . وكل ما اساله يا مرشد واين الناس ، يقول قريب ، حتى اقبل المغرب ولا ناس ولا مانشرب والعطش قد غيّر عقلي حتى خاصمت البدوي مرشد سبب مغاوة الطريق . فانهاني معلمي يزيد وقال اليس ما عاطش الا انت ، حتى تخاصمه وانا وهو لم نكون عاطشين ، اليس ما كلنا تحت المقدور وللمشيه صابرين ، وانت اصبر وفرج الله قريب. فتراجع عقلي من كلامه وقد ركبت على ضهر الجمل جنابه والليل قد اقبل ونحن نلتفت ونمعن النظر يمنه ويسره لنشوف من اين يغير الله علينا بغارته . فلما اظلم الليل واذا بلايحة نار بعيد مننا جدا فدبّينا نحوها وقد غابت علينا وما زاد شفنا لها اثار حتى قرب نصف الليل الاخر واذا بصوت كلب ينبح وهو بعيد منا . فتحققنا له ودبينا على اثر الصوت حتى قربنا منه واذا لوايح فتيل البنادق تتلامع من كل جنب لنا والكلاب زادت في شويحها وتلك لوامع الفتيل ما زاد شفناها حتى تيقن لاولايك البدو ان ليس احنا بغازيه عليهم . وبعد ناجونا وقالوا من تكونوا ، وعاد هم بعيد منا ، (203) فقال مرشد احنا الا ضيفان . فلما عرفوا بنا ارتدوا من تلك الاماكن التي قد كان اكمنوا فيها للحرب واطفوا فتيلهم واقبلوا يرحبوا بنا ويسلموا علينا وادخلونا محطتهم وبادروا لنا بعصيد الذره والحليب والسمن . وانا سالتهم الما حال وصولنا . فقالوا اصبر حتى تعشوا ونحضّر لكم القهوه. فقلت اعطوني الما ، والقهوه من بعد . فاعطوني القدح وهو من الخشب مملو ما. فكان اشرب وما طفت لي لهبة العطش حتى انها علي معلمي وقال اليس ما تضر نفسك بكثر شرب الما ونحن وصالين من الطريق ، اصبر حتى نتقهوا وتروا . فقربوا لنا العشا فاكلنا نحن ومرشد جميعا . اما انا فما قد عرفت مثل هاوية الليله هذه فكان اكل ولم احسي بالشبع حتى شبعوا اصحابي ورفعوا ايديهم من الاكل وانا جالس الكم العصيد ، وزاد شربت من العصيد والسمن الذي بين العصيد وجالس جايع ومهلوع

كـان مـا قـد اكلت شي . فـخـفـت من ليلتي هذه وخـزيت على نفـسي من البـدو ومن اصحابي فرفعت يدي وانا ارتسف من شهوة العشا ، وقد اكلت ما يكفيني ثلاثه ايام وما دريت اين صار . وبعد ما تعشينا في الخدر على ضو الهبة الوقود اخرجونا وهم يرحبّوا بنا ثني من الخدر نتقهوا قهوة الحليب (204) شقّ المحطّه ليتحدثوا جميعهم معانا وليسالونا من احوال العرب الذي جينا من عندهم وكيف وقع معانا في طريقنا حتى وصلناهم وما الذي معانا في هذا الخلا وما مقصودنا في سفرنا وكم مسائل لهم سبيل عادتهم ، ذلك لسبب انقطاعهم من الناس . فبينما نحن نتقهوا قهوة الحليب ونتحدث معاهم في ضو القمر تحت نجم السما ، وقد فرشوا بساط من الشعر ومرشد في طرف البساط من جانب وبعض البدو ملتفتين عليه يعالمهم وانا في الطرف الاخر اتحدث مع بعضهم ، فاذا وقد فزّوا البدو وهربوا شقّ من المحطّه ، وقد مشعوا جنابيهم وانا قاعد مكاني ومبلود من فزّتهم وهم يصيحوا عليا ويقولوا العقرب اهرب با تقتلك . وانا ما سمعت لكلامهم وفي الحال افتكرت من اين بدع الهريب فاذا هو من حيث كان جالس مرشد والبدو اصحابه . فقفزت الى مكانه وانا ادوّر في ضو القمر ما الذي هربوا منه وهم ايضا يصيحوا عليا خوفهم للا تلذعني . فلما رايت جانب البساط يتحرك ما الذي عرفت نوعها من قبل وهي من تحت تلعب . فانتشيت وانتديت وقلت اني ابو يوسف ، وبرمت العود وطعنتها من فوق البساط وتوتّرت عليها . فقلت لا تخافوا ، تعالوا اني قد (205) قتلتها وما فكيت العود منها الا بعد ما ضربوها بجنابيهم وقد زادوا في تمدّاحي وقالوا ليس هذا الرجل من الجبال الا من السهول . وبعد زاد تحدثنا قليل ورقدنا . والصلوه ايضا ما كان تفوتنا ، ولو في الخلا.

ويوم ثاني قمت اتلوا في هذا المكان لاتفرج عليه وعلى اهله . فوجدت اماكن فسيحه مملوه ملح جبلي فعرفت ان هذا المكان اول مطرح للذي ينقلوا الملح من جبل صافر . وفي نواحي اليمن يسموه ملح ماربي ، ويسموا هذا المكان الفضي ، ومنه يُجلب الى مارب والى جميع الاسواق . وزاد اخبروني ان عندهم حلاً يشتغل الفضه . فقصدته واذا ليس عنده من الات الصيغه الا السفله والمطرقه وزق النار والمُلقاط والجاز الذي

يُقص به لا غير . فتحققت منه واذا ما يعرف تنويب الاجساد ابدا . وشغله يطرق الريال حتى يرق ويقصقصه بوقش ، وتحتلي بالبُقش نسوان البدو على البرقع الذي على وجوههن . وغير هذا ولا يعرف شي من الصيغه . وما قد اكفاه ناموس اسم حلاّ يعني صايغ الا زاد وفّاه وغلّظه بشرب التُتُن من كذب في مداعه ، من دون ولو عقّال البدو . وانا لما رايت شيشه من الرصاص وعليها (206) قصبه من الحلال وهو يشرب التتن مثل الصدق ، شهقت نفسي لنشرب التتن ، لاني كنت متولع له زياده في نشوقه . فلما انقطع علي في الخلا فكان معلمي يزيد يضحك علي ويقول حييم انشق الرماله تعويض البُردقان ، وانا اصبر لخورتي مثل ما صبرت لغير ذلك . فقلت للحلاّ اعطيني نخسين ، فقال جبا ، وقرّب لي الحلاله فمع كثر الخوره جرّيته نخس واحد والنخس الثاني ما بقا فيه دخان . فقلت له اسالك بالله اعطيني تعميره ، فقال مرحبا . واعطاني وعا التتن وقال عمّر لنفسك . فاخذته واذا هو نُخّاله الشعير الذي يسموها حسه . فقلت له لعلباك اني سالتك تتن وانت تعطيني حسه . فقال هذا هو الذي نشرب وما الذي يكون غيره . فتقنعت بشرب هذه النخاله حتى اصترع راسي ورجعت الى معلمي .

وقد تحققنا من البدو على تلك النواحي ومعلمي يرقم ذلك . اما سيّرنا مرشد فقد ارجعت معه مكتوب الى الحزم الى سالم بن سعيد باسم معلمي ان نحن وصلنا قريب مارب وهو الفضي كثيرين مستريحين وقد انت تمدّ بالك في ما توصّيناك ان لا تقبض المشارح الذي عندك الا الى يدي او مري يحيا القاره او خبيري حييم حبشوش لا غير والسلام . وسافر (207) في ذلك اليوم ، يوم ثاني لوصولنا . ونحن زاد جلسنا لوما يعملوا لنا الغدا . ومعا هولا البدو قصبه يخزنوا فيها حوايجهم وقد هي حصنهم . ففتحين الباب ثنتين بدويات واخرجين من القصبه قليل من الدقيق ليعملينه لنا غدا . فلما ارادين يقفلين الباب بعد خروجهن واذا بدوي كهول يزاحمهن يريد يدخل القصبه والبدويات يهزرينه وما استر يدخل وهن ما قدرين يوُخرينه ويغلقين الباب وقد ادخل رجل واحده الى القصبه ، وبينما هم متشابحين وقد اصواتهن علت قليل ، فاقبل بدوي اخر وطعنه في رقيق بطنه حتى سقط على الارض من ساعته . والنسوان اعلين صوت

الفتنه وفي الحال ما عرفنا الا وسعير الحرب كاين قد اخفقوا بصياحهم وعيّاقهم مع قوارح بنادقهم جو السما . وجليل الرصاص قد خرّت من كل جانب ، ونحن قاعدين مكاننا وسط الرماله قدام القصبه تحت عين الشمس وهي تقلينا بحرارتها قُلي . وفرد نسمه ما زاد شاهدنا الا دُخان الباروت ، حتى مضا اكثر نصف النهار ولا غدا الذي انخدعنا له والحرب ايضا لم يسكن . وما امكننا الهريب ولو نروس روسنا خوف من رمي البنادق . فقلت لمعلمي هيّا نقوم نروح ، عسى يلطف الله بنا ولا نهلك بحرارة (208) الشمس والجوع والعطش . فقال معلمي اني قد تعبت شورك وصدّقت نصيحتك بخرجتنا من صنعا على طريق بلاد نهم ، وفتح الله لنا مصاريع بلاد الجوف ووادي سبا وغير حتى لقينا شي الذي ما حدا من السياحه قد اخبر بهذه الاماكن ولا كنت قاصد لها ولا عندي خبر منها ، وكان مرامي السفر الى مارب على ما وصف السياح الاول الذي اخبر ان كان قد قتلوه حتى امتحنوه القتاله ولينظروا هل قد مات او عاد هو حي فكان ينشغوا راسه باذنه ويفلتوها ، المعنى للقبايل ان اذا انتذق الراس نذق فقد مات ، وان لم فعاد السياح حي وزادوا في قتله وطعنه . والمسكين قد عرف حيلتهم وكان ينذق براسه حتى تركوه وهو هرب ، ونحن قد سهل الله طريقنا في هذه الاماكن الخاليه الذي لم احد يقدر يصدّق بدخولنا اليها ابدا . ومن الطاف الله معي زاد تحوّزين اداتي في حراز حتى امتنعت من السفر الى مارب من حيث وليس اداتي معي. وعلى كل حال لو اني دخلت مارب باداتي ما كان سلمت من شرّهم قط ، والفقر قد نفعنا احسن من الغنى ، وهيّا نسير وعلى الله الدرك . هذا كلام معلمي ونحن وسط الرمال .

فنهضنا انفسنا ومشينا من المحطه وهو محل الفضي حتى خرجنا الى بين (209) البدو الذين يحتربوا ولم يتعرضونا بشي ورصاصهم قد اختطتنا وسارت في الرمال او في لحم ونحن ما عرفنا غير هذا بشي . فبينما ندبّ والشمس قد مرادها تغيب واذا بلكمة خرابه وعلى راسها دار مبنيه من حجار الخرابه . فطلعت اليها وانا ادور على المكاتيب في جدارها الخارجه . فلما وصلت الى الربع الاخر واذا بدوي مهيل في

صورته والشيب قد بدا فيه والعود بيده وهو قاعد على ركبه تحت ربع الدار . فلما شفته وهو شافني بغت ، خفنا جميعا . هو خاف مني ومشع جنبيته وانا خفت وبرمت العود واحتذرت على نفسي ومعلمي تحت في القفا ليس يرا شي . فقال البدوي لعلباك ما هذا الجنس . فقلت السلام عليك اني غريب وادور على باب الدار هذه لاسال من اهلها الما عندهم . وانا قد عرفت باب الدار وعارف ان ليس فيها ناس وهي خاليه ولكن ما الذي اجاوب البدوي . فقال (بعد ما تسالمنا وتحدثنا من احوال العرب الذي جينا من عندهم) ليس هنا ناس وانا قاعد هنا شاوفي للابل الذي يرتعين في هذا الوادي . فقلت له واين الناس مننا . قال جي من هاكا واخرج الى هاكا والناس قدامك . فسلمت عليه ونزلت الى معلمي (210) واخبرته بما اتفق لي وما اعرف هو صدق او خقخق . وبينما نسير في ذلك الوادي الذي ترتعى فيه الجمال واذا بشباب من البدو اقبل مهتري علينا وهو يقول ، عندك يا ذا الراجل سلبك يفيدك . فالتفت عليه وقلت لعلباك وما الذي تنهب عليا . وما عندي حتى تطعمني . وما تلاقي عندي غير الموت شي . فتقابضنا انا وياه مقابضه ولم قدر مني وانا ايضا لم قدرت افتك منه وما قد امكنني السلاح واذا ذاك البدوي الذي قد عرفته تحت الدار اقبل ففرحت لاستجير به سبب ان قد هو لي مثل الجار . فقلت له شوف هذا الشيطان الذي تعرضني في طريقي وانا غريب وليس عندي شي ويريد الفتنه بيني وبينه لا غير . فقال ذاك البدوي الذي قد استغارت به لا باس اني اجيك في بلادي من كل معترض عليك . اما هذا الشباب فهو ابني وانا الذي ارسلته لياخذ الزاد الذي معاكم لا غير من حيث وقد وهبكم ربنا لي ماهبه ، وقد انا وولدي اقدم من غيرنا بما معاكم من الزاد (والمعنى لهم في لفظة زاد الفلوس) . فقلت لعلباك فلو كان عندنا زاد ما تشوفونا في الخلا ، ولكن اذا كان وعندنا زاد فمن (211) غير قتل وقتال اسلمه لكم ونفوسنا طيبه . اما ان كان مرادكم تنهبوا الدقيق والسمن الذي ما يكفينا ولو ليوم فما تشوفوه الا بعد القتال وكل ذلك موت نضيف ان اخذتوا قوتنا فمتنا من الجوع حيث ونحن في الخلا وليس ناس نتعوض . وان قاتلنا على حياتنا لا بد من ينصرنا الله عليكم ونقتلكم سبب ذنبة عراضكم علينا ونحن غربا ومساكين . فقال اني ما اريد منكم لا دقيق ولا شي غير الزاد ولكن اخرج اداتك من

مزادتك وامسكهن بيدك حتى نشوف . وانا قد صدقت له وانزلت المسب من فوق جنبي ومسكته بيدي الشمال واخرجت بيدي اليمان بعض من الذي وسطه ، وليس فيه الا ١٠٠ درهم من الدقيق وقدر ٦٠ درهم من السمن ، وكُبّه من الشعر وكتاب الصلوه صغير وكتاب المنشور (תפלין) (١) حقّي وحق معلمي . فبينما احسب ما فيه وافرجهم ذلك والشباب البدوي تشطّر ونتف المسب من يدي بما فيه وهرب . فتبعته وقبضته وقد احسيت الموت . فاقبل الاب يصالح بيننا . فلما شاف الولد الابره مرتوقه في لحفتي المشطّطه، حلف وقال ما افتك له من يد الا وقد اعطيته المسلّه يعني الابره . فقلت لا اعطيه وانا بما اجلس ومن با يرقع لي وانا في الخلا ولو (212) كان تجيب لي القيمه ما ابيعها منك ابدا . وبعد تعب ارتضيت ان هو يجي يدلنا الطريق واسلمها اجرته وكان كذلك ، فسار بنا اكثر الليل وانا لم اسلمها له ، واخر سفره معانا ترجّا مني اسلمها له لحتى يرجع الى محله خوفه من البدو اهل هذا المكان الذي احنا فيه ، لسبب ان بينهم قتول فسلمت الابره اجرته ورجع في حاله . ونحن دبينا حتى وصلنا الى بيوت بدو اول الضو وجلسنا باب المسجد حقّهم . فاقبلوا يصلوا طلعة الشمس وكل واحد منهم يتمدح ويقول هولا ضيوفي اليوم . وبعد جا واحد شيطان منهم وتحقق علينا واخبر اصحابه ان نحن من الزيغ ليس من العرب . فخرجوا جميعهم من المسجد على واحد واحد وقد زاغت قلوبهم مننا ولم زاد احد منهم التفت علينا . وبعد ادخلنا عنده واحد قبيلي وحضّر لنا كسرتين من العيش . اكلنا بعضها وبعضها خبّيناها وزاد قهوانا . فخرجنا فوجدنا خرابه او ثنتين . اما الكتايب فليس في بالي ما الذي زاد وجدنا في هذه المحلات .

فتوجهنا الى مارب من جهة الشرق من بين اشجار الاثل حتى وصلنا الباب الشرقي لمدينة مارب . ورجعنا نسير من تحت الداير من خارج كانّ ما قد لقينا باب المدينه حتى (213) وصلنا الى الباب العدني ودخلنا منه . فعاد نحن داخلين واذا بخمسه او سته

١- اي كتاب التميمة .

انفار وبينهم واحد رجل صورته تشهد عليه انه من اهل الامر . فلما شافنا سال علينا ودخلوا في حالهم . ونحن سالنا عليه وقالوا هو الامير الجزار امير مارب . فدخلنا من ذاك الباب حتى انتهينا الى الباب الغربي وجلسنا قليل قدام الباب من داخل . واذا قبايل البدو يتجمعوا الى هناك فما عرفنا الا ونحن بين القبايل . وما عرفنا ان لهم ملقا الى هناك . فرجعنا لندخل شقّ المدينه فاستدعانا قبيلي الى بيته وكان قد عرفني من صنعا . فتصدق علينا بخبزتين من الشعير وجمنه قهوه وسار له في الملقا . ونحن اكلنا واحده وواحده خبيناها . فبينما نتقهوا فقال معلمي امضي دوّر ما الذي تلقا في وسط المدينه بالمبادره حتى نخرج منها في الحال ولا لي رغبه في الجلسه فيها ابدا ولو الساعه الواحده . فمضيت ونقلت ما الذي لقيت وهن قليل خمس او ست حجار ورجعت الى عنده في ساعتي . وخرجنا من المدينه وعاد القبايل في المجمع . فتفرجنا على المكان الذي مثل بنات عاد ويسموه القبايل مسجد سليمان وهو خارج الباب الغربي وجانبه البير الذي يستقوا منها ، وكل هذا وسط الخرابه (214) القديمه ولو المدينه المعموره اليوم هي فوق جانب من الخرابه الاوله .

وقد احكوا لنا من ابن الاعرج الصنعاني الذي كان يحفر في خرايب مارب ويغسل التراب ويخرج منه ذهب وفضّه وغير ذلك ويرسل ليبيعوها في صنعا . وزاد طفنا بعض من تلك الفرق الذي بخشها وسحّل منها التراب . وانا عرفت الراجل هذا وهو من فقرا الشياطين الذي كانوا في صنعا . وكان معاشه يشتري القرش حق اصحاب الصنايع والقرش ، يعني الكنس ، حق صاحب المهره ويغسله ويخرج منه ما الذي تلف على صاحب الصناعه نحاس او رصاص او فضه . فلما نجحت الصنايع من شدة ذلك الوقت خصوصا صناعة الفضه في صنعا ، فكان ابن الاعرج هذا يبخش الدكاكين حق اليهود الذي كان يشتغلوا فيها ويحفر فيها مقدار قامة الانسان ويغسلها . وبعد ما اكمل اكثرها رجع يحفر وسط سوق عقيل على شق شق حتى اكمله ورجع ينعث دار الضريبه التي كانت في قصر صنعا حتى اكملها . وبعد وصل الى مارب واشتغل فيها حتى مات . وقضية هذا بن الاعرج تقريبا في سنة ١٢٨٥ . والى يومنا هذا والبدو اهل

مارب يدخلوا الى صنعا ومع بعضهم قدر ١٥ او ٢٠ درهم واكثر واقل من الذهب والفضه ، كلها مصطنعه . واكثر (215) الذهب الذي يجوا به شذر . هذا ما نشاهده ونشتري منه . الله اعلم كم كان مع قبايل سبا من الذهب والفضه لحتى انه ينساق مع مرور الزمان والى يومنا هذا ولم ينجح .

ونرجع على الذي يسموه اليوم مسجد سليمان بن داود يقولوا ان في تلك المعارب كتايب عربيه في داخل المسجد . واشراف مارب يعرفوا سليمان بمسجده وليس يعرفوا الناس الذي من قوم سليمان الذي خرجوا مع رجوع ملكة سبا وسكنوا في بلادها واتّجروا فيها بسعادة ملكهم . وفي الحال لم يجادوا من اليهود ساكنين فيها . وقبل سنتين او ثلاث كان فيها يهودي من صنعا واسمه سالم شرعبي فمع حرفة البلاد تفلس وهرب من مارب . فقالت قبايل مارب ان اليهود كلها تستبيح اموال القبايل ولا تخشا الذنوب . ونحن حاشانا من هذا الدعوا ، والحرامي حرامي كان من القبايل ، كان من اليهود . وبعد ما تملّهنا قليل قدام هذا المسجد مضينا الى البير واملينا ميلاعنا منها وسرنا من غير خبير في عراض طريق السدّ . فلاقينا كم اماكن مبنيه بالحجار المنحوته، لا بد انها قبور العرب (216) القدما ليس من بناية قبايل سبا . وقد شاهدنا كم عُضام في ذلك المكان مكسوره ومدقوقه ولم ينجحهن الزمان بسوق سيول الامطار حتى انهن باقيات في الطريق الى يومنا . واكثرهن مثل الذي لقيت في الجوف في خربة معين ، ولكن هولا ليس محروقات بالنار مثل الذي في معين الذي كلها مشويه بالنار . وبعد خرجنا من هذا المكان ودخلنا بينات جدار عظيمه قُدّام سدّ مارب حتى وصلنا قريب ذلك السد الذي بين الجبلين فراينا دار مهيله في جانب السد في عراض الجبل فطلعنا اليها ولم نجد لها لا باب ولا طاقه وليس لها طريق . فدوّرنا تحتها ما الذي نجد فيها من الكتايب ولم وجدنا فيها شي الا صدرين او ثلاثه في الجبل من تحتها . وقد لقينا على خرجتنا من مدينة مارب الى هنا بعض كتايب . فسرنا من الدار ونحن في طريق سيل الامطار من جانب تلك البنايه فلاقينا في طريقنا مكان مرتفع قليل وكان قد تحوّزنا . فتكلفت ان انشغ معلمي لعل يشطُر ويطلع تلك الدرج العاليه

الذي حوزتنا . وبعد تعب اطلعت معلمي من هذا المكان وسرنا حتى خرجنا من ذلك الجبل وسافرنا في عرض طريق مارب الى صرواح ، فاهفت الليل علينا فامسينا (217) وحدنا في الخلا . ويوم ثاني قمنا نسافر الى صروح . وقد اثنين بدو كان مرادهم ينهبونا او يقتلونا وقد لاطفنا الله منهم بسبب المسافرين الذي لاقيناهم حتى وصلنا اخر اليوم وهو يوم الجمعه الى اول بيت من بيوت صروح . فدخلنا الى حوش البيت واذا ليس فيه ناس ساكنين الا رعيان جاو هم وغنمهم ليمسوا فيه وهم اثنين قبايل وثنتين عذارى عريانات الواحده منهن عمرها في قدر ٢٠ سنه وليس على جلدهن الا الخصله من السيور . فاخرجنا من الدقيق وعملوه لنا خبزتين للسبت وامسينا معا القبايل . وفي الصباح ساروا في شغلهم ليرعوا غنمهم . ونحن جلسنا مكاننا قد حوّزتنا السبت . وبعد ما صلينا صلوة السبت جلسنا نتحدث انا ومعلمي . فخرجت وسط النهار لاتفرج في جوانب البيت الذي نحن فيه واذا قد وصلنا الى خربة صروح وما عرفنا . فدخلت الى ذلك القصر الذي عاد بنايته على اثر الاقدمون وفيه ساكنين اثنين او ثلاثه قبايل مع اهلهم يحوكون البساط من الشعر . فجلست معاهم وتحدثنا من احوالهم واحوال الدنيا وانا اتفكر في واحده حجر كبيره وعليها سطور كثيره . فعرفت بالحقيقه ان هذا هو المكان الذي يذكره معلمي (218) ويقول ان به بركه في صروح وفيها كتايب كثيره وليس هي بركه الا مكان من اماكن سبا والكتب من خارج الحجر . فجلست عندهم حد ما جلست وزاد تلوّيت قليل ورجعت الى معلمي واخبرته بما رايته وزاد قلت له واجب نجلس هنا يوم او يومين حتى نخلص شغلنا وبعد نسافر ، لاني قد رايت هنا كتايب كثير . فقال لا نجلس الا نسير ونشتغل كلنا والذي تعمله في يومين وحدك نصنعه انا وياك في يوم واحد . فقلت له ما يمكن انك تشتغل بيدك سبب ان القبايل يشوفوك ونكلف لانفسنا مصايب ولا نسلم شرهم . فقال لا ، بل نشتغل جميعا ولا نجلس ابدا . وبعد ما راجعته ولم يسمع ، قلت له اليس تعلم ان كل الشغل صار علي وفي الحال تريد تذربنا ، فان كان مرامك من الاجره فلا تحاسب لي اجرة هذا المكان وانا اخلصه سبيل عادتي ، ما لم ، تعلم عليك اني لم اكون لك خبير في هذا المكان ما دام وانا اشوف الضرر علينا بين . وان كان ولم تراجع فانشى الله بكره

اوصلك المكان واروح لي في حالي ولا اقعد معك ابدا لاني اخاف عليك وعلى نفسي بلا شك . فقسي قلبه ولم تراجع لكلامي . وقد هذا شي من الله . ويوم الاحد من البدري (219) سرنا الى القصر وعاد الباب مغلق والقبايل عادهم رقود . فضربت على الباب حتى قاموا وافتحوا لنا باب القصر ودخلنا فسالتهم القهوه والعيش وقعدت انا ومعلمي جانب تلك الحجر المكتوبه الذي قد تفرجت عليها واخبرت بها . فبينما نحن جالسين وهولا البدو قد بدعوا يمدوا ايديهم في شغلهم وهي حياكه الشعر وانا اتحدث معاهم من اسعد وجدته بلقيسه وغناهم . ومن هرم بن معين وعمته بكبه وشهرتهم . ومن سد مارب ووديانه الغصيبه . فقال لا تحدثنا من اسعد ولا تحكي لنا بكبه ، حدثنا من كنوز زهرا بنت الازهر ملكة هذا القصر ، ان كنت صاحب كتاب . قلت ليس انا صاحب كتاب ولم اعرف شي ولا بد ان كلها الكنوز مكتوبه في هذا الحجر . فقالوا بلا شك انها محققه فيها . واليهود يعرفوا في الكتب فحدثنا ولا تخاف ولا تخفي مننا . فقلت صحيح اني ليس اعرف . ولكن يمكن ان خبيري يقدر يفكّ منها شي . فالتفت الى معلمي وقلت تفرج يا خبير على هذه الحجر المكتوبه ان كان لك اخبار فقريتها او حتى نسختها وتحققت عليها عسى يرزقنا مالك الملك من قصر زهرا (220) بنت الازهر . فلما رايت معلمي يزيد قد اخرج القلم والقرطاس وبدع في نسخها سيّبته وخرجت من القصر وسرت في الخرايب لادور ما الذي القا فيها فلاقيت كفايه وقد نسختها ، وبعد ثلاث او اربع ساعات لقيت حجر طويله وعليها كتب كثير وهي غامضه فجلست تحت باقي ذلك الجدر الذي هي فيه والتهيت بنقلها . وبينما انا مشغول بها فاذا ببدوي قدامي يدوّر علي فرايته وهو ينادي ويقول يهودي يهودي وما عرف اني قدامه انسخ . فبعد ما لفّيت القرطاس والقلم في عُبّي سنّبت وقلت وما الذي تريد مني . قال وما الذي تفعل هنا . قلت الا رقود . قال هيا تعال قد القبايل ربطوا خبيرك يريدوا يقتلوه وكم لنا ندور لك . فمديت نضري الى باب القصر واذا قد اجتمعوا فيه قبايل كثير . فلما رايت قد هم قابضين لمعلمي ، والقرطاس الذي قد نسخ بايديهم ، خفت من النسخ الذي معي فالتفت من اوجاهم وجلست كاني ابول . وبعد كم حجار وجدار ادور عليها لاجفّف النجاسه حتى لاحت لي وخبّيت الذي معي بين ثنتين حجار وانا قدامهم وهم لا

يشعرون. فوصلت اليهم وقلت يا قبايل ويا جماعة الخير ما الذي احشركم علينا حتى تخوفونا واحنا مساكين وغربا وانتم اعز واشهر القبايل ترحبوا (221) بالضيف وتكرموا بالغريب . واليوم ما كفا لنا ذلك ، الا زاد خوفتونا بحشيرتكم وما نعرف لاي سبب . فقالوا ان العاقل فلان دخل القصر ووجد خبيرك ينسخ من الحجر وقال له توقف ما الذي تعمل هنا وهو لم يسمع بل ينسخ الحجر ولا يلتفت الى العاقل ويسرع في شغله والعاقل قد هم بضربه بالمعقره في راسه ، ولولا ما مسكوا القبايل بيد العاقل واخذوا النسخ من يد خبيرك ، لكان قد قتلوه . فقلت العوذ بالله يا قبايل ، وطغى الشيطان لبعض الناس لحتى يكونوا لجهنم وقيدا .

وانتم يا اشراف القبايل ، حاشيكم من المصايب الموحشه ومن تعدا الغريب او المسكين، خصوصا في ساحتكم . وتعلموا حقه ان خبيري والى ذا الحين ما يعلم بشي مما تقولوه سبب انه غريب وايضا ما يعرف من لسان العرب شي . ومن حيث ولم يرضي الله عليكم بالاثم فقد لاطفكم الله وسلمتم مصيبة هذا المسكين الذي مثل الرخله بين ايديكم. فاتقوا الله ولا تضلموه ولو بالكلام . فجاوب احدهم وقال لا تدافع على نفوسكم بالكهن والتغرير وقد عرفنا شغلكم وانتم ساحرين ، ونحن لا نقتلكم ، بل نربطكم ونسوقكم الى عاقلنا فلان الذي في مكان كذا عند البدو مسافة يومين من هنا ونسلم له المكتوب الذي نسخ ولكم حكمه . وبعضهم (222) يقول سيّبوهم ، ان هولا مساكين وعيب علينا نتعرضهم . ومنهم من يقول لا تصدقوا لهم ، انهم خنازير واليوم لهم ثلاثه ايام جالسين في المحل لا بد لشي ما نعرفه . ولم يزالوا يهرجوا علينا ويخوفونا الى قريب العصر او بعده وانا قد كلّ جهدي مُتاقه لهم من غير مفيد ومن ما ضاق حالي اعليت صوتي وقلت لا يرحم الله الذي يدور عذابنا ، وقد صدق ان لنا ثلاثه ايام ، ونحن وصلنا اخر نهار الجمعه وحوّزتنا السبت . وفي يومنا هذا قصدنا السفر واتينا الى هنا لنسال من القبايل كسره من الزاد وفنجال من القهوه ونسافر في حالنا ولكن لا حول ولا قوه الا بالله العالي العظيم ، الذي نحن منتضرين لما يتصدقوا علينا من عونتهم حتى نقدر نسافر فما وقع لنا الا هذا الدعوا الباطل . وفي الحال لا قتلتونا ونسلم

العذاب ولا تركتونا ونسافر لنا ولا عاد نشتي منكم زاد . ولكن ان كنتم تعرفوا شرع القبيله فاعطونا من الزاد لترجع ارواحنا من الجوع ، وبعد كتفوا بنا وسوقونا اين ما تريدوا ، او ما تريدوا تعملوا عملتوا . فقال بعضهم لبعض قد صدق اليهودي هذا ، وعيب علينا نضمرهم من الاكل فمن يلتزم بهم وباكلهم وبعد نكتفهم ونسوق بهم عند البدو ، فقال واحد منهم انا التزم (223) بهم ومسك بايدينا من بينهم ومضى بنا الى بيته ، وليس هو من القصر ، والزم حرمته لتعمل لنا خبزه من العيش . وبينما احنا مراعيين دخلت عليه بالكلام حتى انه زاد روانا من طاقة بيته الطريق الذي نهرب منها وهي عراض طريق المسافرين . وبعد ساعه خرجنا من بيته وسرنا في غفلة القبايل . وانا قد اخذت النسخ الذي خبيتهن اما النسخه حق معلمي فما زاد ارجعوها . وسافرنا في خلاف الطريق الذي امر لنا هذا القبيلي خوف للا يتبعونا شياطينهم حتى وصلنا الى قرية الحرجه وهي اول قريه من قُرى اليهود في حريب بني جبر فدخلنا عندهم وهم مساكين وايضا يرحموا وما راينا عندهم شي . فخرجنا من تلك القريه وسرنا في وادي حريب ودخلنا قريه ثانيه وهي العارضه وفيها يهود واشهرهم سالم المشرقي . فدخلنا الى بيته وقد رحب واكرم بنا كفايه . فعاذلنا بالجلوس عنده يومين او ثلاث ولم يساعده معلمي . وانا كان مرادي لنستقر عنده من جور التعب والخوف الذي جرا معنا .

وانت يا ايه المتفرج على سفرنا هذا الموحش استقر وتعال معي الى سوق شرع القبايل وتتفرج على بعض من احكامهم (224) وتعرف ان لولا ما قيّدوهم القدما بترتيب هذا الشرع وهو المسما طاغوت ، لكان القوي اهلك الضعيف وكان قد نجحوا اهل اليمن في قادم الزمان ، سبب بعد الدول منهم . وهذا ما اتفق مع هولا بيت المشرقي في سنة ١٣٠٥ وهو ان بعد ان توفّي سالم المشرقي المذكور الذي ضيّفنا ، قام ابنه شُكر بعده على شهرة ابوه عند القبايل . وفي هذا التاريخ كانت البلاد مخلفه سبيل عادتها في كل وقت . فلما نضر شكر المشرقي ان ليس عاد معه حب ليديّن القبايل اصحابه مثل عادتهم ، اخذ من افخر السلاح الذي هو مرهون عندهم في ما سبق وشدّ على حماره

قاصد ليسير من محله بني جبر الى بني سحام الى نقيب خولان المشتهر حزام بن صالح النيني ليرهن عنده ذلك السلاح وهن ثنتين بنادق وثلاثه سيوف في ١٥ او ٢٠ قدح من الحب ليقضي به حاجة معاريفه في هذه الساع العسره لهم . وقد ادركوه وترصدوا له بعض من شياطين القبايل . فبينما يسير في طريقه وهو امن بامان الله وجيرانه ، والشياطين هجموا عليه وربطوه الى شجره في عرض الطريق وقد احشوا في لقفه المنديل الذي مثل القبع وهو الذي على راسه من فوق الكوفيه . ونهبوا ما الذي (225) فوق الحمار السلاح الذي ذكرنا وغير . انما الحمار لم اخذوه للا يعرف شي بسبب وجيدة الحمار . ويوم ثاني مضوا قبايل من ذلك المكان وقد عاينوا الحمار فعرفوه وقالوا هذا حمار اليهودي المشرقي لا بد قد قتل وحماره مسيّب في الخلا. فدوروا عليه في جوانب هذا المكان حتى وجدوه مقتول وهو مكتف الى الشجره والمنديل محشي ومربوط على فمه . فلما راوه وعرفوه اعلوا صوت البلا بالصياح والنياح حتى حضروا من تلك النواحي قبايل ويهود وليس يعرفوا من قاتله فقبروه يهود بني سحام . وبعد اقبل عم المقتول يوسف المشرقي مع نساهم وجُهالهم وخيموا فوق قبر صالح بن حسين النيني جارهم وهو من نقبا خولان المشهورين حيث والمقتول وقع في ساحته . فلما علم النقيب حزام ان عم المقتول طرح وخيم فوق قبر ابوه صالح النيني بالبكا والعدد ، فاقبل بالكباش يرضي اهل المقتول حتى يرتفعوا من فوق القبر للا يعيبوه القبايل ويقولوا فسل في جاره وما قدر يامنه في ساحته . وقد التزم لهم انه لا يبقى جهد في البحث حتى يخرج الغريم . فقال اليهودي ان نحن لا ننتزع من فوق القبر الا وقد جارنا المرحوم صالح بن حسين (226) انبعث من القبر ليسلم لنا القاتل حي او ميت . واذا لم يكون فيه ستره ليامن جيرانه فعرفنا لانفسنا طريق . والنقيب حزام من وقت ما حضر على المقتول مع الناس لم يزال يبحث ويتخصص من غرما المقتول . فلما نظر ان اليهود لم يرتفعوا من فوق قبر ابوه وايضا هو المساول بدم اليهودي عند جيرانه قبايل بني جبر حيث وهو وقع في ساحته ، فاستدعا بشيطان من اصحابه وبذل له من الحب حمل جمل اجرة ما يسير في بلاد خولان يتجسس ويتخصص من شياطينهم كيف وقع بهذا اليهودي . وهذا الشيطان شد على جمله وسار يتجسس في

بني سحام بلاد النقبا بيت النيني وهو يدعي انه قاصد يدور عند من حب ليكتال على ظهر جمله . وبعد وصل الى طريق وادي بني جبر ودخل الى بيت من بيوت ذلك المحل ليسال على الحب ، فوجد القتاله يتنازعوا على طميعة المشرقي . فقالوا له انهم معقلين له ليقسم بينهم وهم يعطوه اجره من الطمع . فقسم بينهم ولم اخذ له اجره . وبعد رجع الى النقيب حزام المذكور الذي ارسله . واخبره ان الغرما من قبايل بني جبر ليس من اصحابه بني سحام ولا من قبيله ثانيه . وبينما النقيب حزام يدور الحيله كيف ...(؟) والتهمه كم ايمان وقبلانها مع مخاسيرها . هذه اشارة شرعهم .

ونرجع الى سفرنا الى بيت سالم المشرقي الذي في طرف بني جبر من الغربي مما يلي نقيل اشجع . ففي ذلك اليوم لوصولنا عند اخونا سالم قال معلمي هيا نسافر وعن شرط لا نتحدث مع احد من القبايل الذي يسلموا علينا ويسالونا في طريقنا من اين احنا وما جنسنا وما معانا . وبسبب جوابتهم نتحير في سفرنا ولا عاد لنا حاجه في كلامهم . فقلت له يا سيدي لا باس علينا ولو تحيرنا قليل قد نحن قريبين من صنعا ولا يمكن كلامك هذا ان نحن لم نلتفت على من استدعانا من القبايل ونحن ضعفا وغربا في بلادهم . قال لا بل نسير ولا نسمع لكلامهم ولا نقول لهم ولا سلام . فشق عليا كلامه وقلت في نفسي ارتبي يا مقادير الله . فاجبته اني ما اخالف امرك وهيا نسير . فمشينا ونحن كالذين لا يسمعون ولا يرون بل نستحب في الطريق سحب . والقبايل الذين يفلحون في الارض لما يشوفونا مستنكرين في بلادهم ، يستدعونا ليسالونا سبيل عادة الناس ونحن لم نجيبهم ولا نلتفت عليهم ، حتى وصلنا الى تحت نقيل اشجع وقد استدعونا ... (234) المعروف الذي بيني وبينك . فقلت له وكيف افتح على خبيري بالاجره وما الذي اقول له وانا اعرف ان نحن في الغربه كم شهر وليس معانا شي . وراجل مثلك معتبر وحاج وزاير ما يمكنه يتحدث بحكايه فارغه مثل هذه . وواجب عليك ان تتصدق علينا بما يلهمك الله ليكون لك ثواب عظيم . فقال اليس ما قد بيننا عهود الله انك لا تخفي مني شي . وخبيرك هذا قد اخبر به في صنعا بن المسلماني الذي جا من بندر عدن واخبر انه نصراني ليس يهودي ، وهو جاسوس

ومراده يكشف البلاد لدولته ويكتب جبالها واراضيها وغيولها ومدنها وقراها واسواقها . هذا الكلام قد هو مفتوح في صنعا وهم يدوروا عليكم . وفي الحال افتح عليه بما كلمتك حتى نشوف جوابه . وانا لما سمعت كلامه هذا ، خفت عليه وعلى نفسي خوف المنايا حتى تطاير حواسي واهتد قواي وقلت في عقلي يا وثقي بالله . فجاوبته وانا ارتعد وقلت يا حاج حسين يا حاج حسين يمكن انك صادق . اما الى هذا الحال فما قد تبين لي ولا واحد كلام مما تحكي وهو يدعي ان سفره هذا سبب ان وله اخ غافل اليوم كم سنه . وقد اخبروه انه في مشارق اليمن وكل مكان نصاله ونستعلم الناس يحكوا ببعض (235) من اشاراته ، هذا دعواه في سفره . ولكن توقع لي وقد احنا طريق حتى انهض واجسّه في المسا ولو بكلمه واحده من كلامك . فاذا كان صدق والله القسم ما خليت ابن مره يتجمل به الا وانا اقتله او حتى اطعنه قبل الذي شا يقتلوه . واما الفلوس فما نجد معه شي ابدا . فتزاحم بالكلام وقال لا تحكي لي بالكهن وشيطنه من شيطنة صنعا . فاذا كنت صادق وانتو معانا في المسير هاتوا باداتكم معانا ونحن نتخابر بعد . كل هذا الارتجاز وقد شدت القافله ونحن نسير معاها حتى طلعنا طرف النقيل . فالتويت الى معلمي واخبرته بجميع ما احكا لي صاحب مارب وقلت ليس خوفنا الا بسبب الكتايب الذي معانا . ولكن سلمهن الى يدي وانا اخبيهن حتى لا يبقا علينا خوف ولا نحزن من كلامه . وفي ساير سفرنا ما كان يجلسين الا في قرعه صغيره على جنبي . ويومنا هذا بالمصادفه اخذهن معلمي معه . فرجع عليا يخاصمني ويبهدلني وقال ان نحن قلال ذلال نهرب من غوير الصوت ونخاف من غومنا ، وقلوبنا راخيه . وليس هم نقبا حتى يحكموا علينا وهيا نسير ونتركهم . فقلت هذه الشجاعة في نقيل اشجع ما تنفعنا الا بعد ما تسلمهن الى يدي . وبعد (236) كيف ما تقول انا بعدك . وايضا عاد المكاتيب حقي ، حيث وما قد سلمت لي من الاجره شي . وكيف تقول ان ليس هم نقبا وما تعرف ان الجاهل من القبايل يسوي فينا مقصوده ومن يسال علينا او من يقوم في حجتنا ونحن غربا . وبعد ما ردهن لي واخفيتهن ارتديت على الحاج حسين وقلت له ان ما يمكن كلامك اني اخاطب خبيري بشي ما دمنا في الطريق . وفي مسانا اشوف تدبير لادخل عليه بالسياسه . وخوض ما تقول من ادانته

نديهن معك فانا عارف ان ليس معانا شي بالمره . فما زاد جاوبني ولا بد انه قد عرف اني احدثه بالكهن لا غير . وقد تمسجعت قليل مع القافله حتى ادركته قدا ؟؟ من خطابي . فلفيت بمعلمي وهو يسابق القافله بقليل وقلت له ما الذي عندك لهذا الشيطان المتعرض لنا . قال قد قلت لك هيا نسير ونترك كلامهم . فطلعنا النقيل وقد سبقناهم حتى وصلنا الى راس النقيل وقد الشمس مهمه للغروب . واذا بخمسه قبايل من القافله ببنادقهم ملصيه . فقلت لمعلمي هولا قد خلفوا علينا وهم قاعدين في راس الجبل قدامنا على طريقنا ليمسكونا . ولما وصلتهم قلت السلام عليكم وجلست لاتحدث معاهم وهم ردوا لي سلام . ومعلمي يسير في الطريق حتى (237) ان نحن ما زاد نظرناه . والقافله قد ارتفعت من النقيل . وانا قلت للقبايل اريد اتبع الخبير للا يغوا الطريق . ومن هناك فارقت الحاج حسين والقافله . ودبينا حمله في سواد الليل حتى راينا ضو السراج قدامنا وسرنا على شعاعه حتى وصلنا ذلك البيت الذي السراج فيه . فضربت على الباب وهم يقولوا من في الباب ومن يستدعينا في الليل ونحن يهود . ففرحت وقلت الا اخوتكم قد وفدوا الى مطرحكم . فنزلوا يفتحوا لنا والسراج في ايديهم وادخلونا عندهم وهم مشكّين مننا سبب اختلاف صورنا وحديثنا منهم . وكان في ذلك البيت موجب والناس حاضرين ما عرفت هل عروس او ميت . فاكرموا لنا بالعشا وجلسوا لنتحدث معاهم . وكان بينهم نفرين من صنعا فعرفتهم وهم زاد عرفوني . فقال احدهم لقد شبهتك يا مري وما زاد عرفتك اخبرني باسمك . فقلت اني بن الفتيحي من الجوف ولكن قد جلست في صنعا . فجلس حاير الفكر وانا قد اخفيت اسمي للا يخرج الخبر ان قد رجعنا حتى اشوف كيف يكون بنا في صنعا .

ويوم ثاني من البدري قال معلمي هيا نسير الى تنعم ، وبعد ندخل الى صنعا . فقلت له ما يمكن اني اظهر معك في تنعم من (238) خوف بعض اليهود اصحاب اليهودي المدعي نفسه انه كحيل بسبب المخاصمه والنزاع الذي جرا بيني وبينهم في العام الماضي . فقال لا تخاف تعال معي نكمل شغلنا وبعد في امان الله . فاطعته وانا في

خطر عظيم من خوف משיח (١) الكذاب واصحابه الذي قد هموا علي بالقتل في ما سبق.

واذا كان مرادك يا ايه المتفق ان تتفرج على بعض "משיחי תימן" (٢) الذي اتفقوا في عصري وعرفتهم ذات وصفات ، فاعدل من طريقنا هذه وهي طريق السر من قرية الشرفه الى تنعم . وارجع الى حريب لنطلع جبل الطيال وهي طيال بني جبر ونستقر ثم ما دمنا قريب منه وهو حيث قتل אל משיח الاول شكر كحيل الذي وقع خميره לכמשיחים وهذا خبصهم . وهو ان في سنة ٢١٧٠ للملك المهيل المرعش المخيف المهلك ذو القرنين الفقر والقحط الذي قد ذكرناه في اول الكتاب وقت اهمال دولة اليمن ووزراها ، ونجاح امرا صنعا ونواحيها ، في تلك السنه كان احمد الحيمي شيخها . واسم الخليفه بن وزير وهو في السر . فخرج من صنعا واحد يهودي مسكين وقد ادعا انه مبشر للمنتظر. واول امره انه كان من الناس (239) الضعفا الذي من قصر عقولهم ما يقتدروا يعيشوا نفوسهم بحيله من المهر . وهذا كان مهرته يرقع ادلا الما المشططات ليس يقدر يعمل ولو جُدُر وهي اضعف المهر . وكان يدعي لنفسه انه من الزهدا . واكثر مطالعته في كتب التقليدات (ספרי הקבלה)(٣) من غير شيخ او خبير . فلما ازتاد معه الهذي زاد يرقم في قرطاس حروف ونقط . وسار به الى مدرسة واحد من علما اليهود يوم السبت وعنده بعض ناس . وزاد استدعا من المشاهير واراد ان يسمعهم كلامه . فانكره واحد منهم ، وزاد استهزا به حتى ان اولايك الحاضرين ما زاد سمعوا منه خبر. اما القرطاس فقد طرحه لواحد منهم ولم يبين له معناه .

وقد طلق حرمته لحتى يمر في القرا لينهي الناس بالرجوع الى الله والتوبه من الاعمال الخبيثه . ولم يزال كذلك حتى اكمل اكثر قرى اليمن وايضا وصل الى بندر عدن

١- اي المسيح
٢- اي "أنبياء" اليمن
٣- اي كتب القبالة

ومخض عقول المساكين تمخيضا . ورجع الى حريب وقد اعجبه السكون في طيال بني جبر وجلس هناك مقدار سنتين وهو ينتدي ببني دن حتى يصالوا من المشرق الى حريب . واختلفت النون بالميم وكانت بني دم . ودمه استفك بجليل الرصاص ، وحملوا راسه الى صنعا .

مخطوط مكتبة جامعة القدس ق ٩٨ ، مخطوط شوكين (Schoken) ق ٥٤٤.

اما المعادن الذي شاهدتهم ، فالاوّل الذي اطلعت عليه في رحيلي هو الذي في حريب القراميش في غايبه ، واسم المحل الذي فيه معدن الاسرب وقليل من الورق صلب . والى يومنا هذا المحلات الذي استخرجوا منهن الاقدمون هذه الاجساد فهن حفاير غميقات في صُدف الجبل ، يسمونهن القبايل المدنّات . وانا اخذت من تلك السايله قدر قبضه من النيس حق المكان هذا وهو شبه الباروت في لونه وهو رزين ، فاستخرجت منه الاسرُب . وذلك المكان مشهور الى يومنا هذا ، يسموه الناس رصاص ثايب . والمحل الثاني وهو في مارب الى يومنا هذا ، يستخرجوا البدو من بعض المحلات من الذهب عن كل وقت حبوب سغار مثل الشذر وجدت مع بعض من الذهب مصوّغ . فلا بد ان به هناك معدن ذهب وهو مشاهد الى اليوم من حيث والاكثر الذي يستخرجوه شذر . المحل الثالث في تهامه في جبل الضامر ، وهو ان في ايام الباشه اسماعيل حافض وجدوا قطعه من الذهب مقدار ثمانين درهم وبعد ما تناقلت في ايدي الناس تناقصت ووصل الباقي الى يد الباشه قدر خمسين درهم ، لانها خشنه يكاد تتفتت باليد . فارسلني الباشه الى ذلك المحل للكشف . فليس وجدنا الا رايحه الكبريت تعج في تلك السايله ، وخصاصا اذى ضربنا بالحديد في الجبل الذي وجدوا فيه قطعة الذهب او حتى بالحجر طلعت وثارت رايحت الكبريت ، رايحه شديده . ونحن حفرنا في الجبل حيث وجدت القطعه قدر قامتين ولم نجد الا جبل في تلك الحفرات .

تقرير حول
بعثة أثرية إلى اليمن

قدمه

جوزيف هاليڤي

ترجمه

منير عربش

تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن

قدمه السيد جوزيف هاليفي

باريس ٢١ تموز ١٨٧١

ترجمة: منير عربش

اكتوبر ١٩٨٩م

سيادة الوزير

بتاريخ ٦ أيلول ١٩٦٩م تلقى وزير التعليم مشروعاً تقدم به مجمع النقوش والآداب متضمناً نشر مدونة النقوش السامية (١)، وأوكل إليَّ مهمة بعثة أثرية في اليمن للتفتيش عن النقوش السبئية أو الحميرية الموجودة هناك ونسخها.

هاقد نفذت هذه المهمة فلهذا أطلب منكم الموافقة على تقديم عرض لهذا المشروع العلمي متبعاً تعليمات المجمع بحذافيرها.

تغمرني السعادة عندما ألاحظ أن رحلة الاستكشاف التي قمت بها مجازفاً خلالها بحياتي في مناطق متوحشة لم تطأها قدم أوروبي، قد أعطت رغم ذلك نتائج مرضية جداً، أكان على صعيد علم الآثار، أو على صعيد أهمية المعارف الأكثر شمولاً حول شبه الجزيرة العربية.

لن أتطرق هنا إلاَّ إلى الآثار التي كانت الهدف الرئيسي لرحلتي وسأعرض بإيجاز فائدة النصوص التي جمعتها والإيضاحات التي ينتظر أن تؤديها تلك النصوص، ليس فقط حول الحضارة السبئية، وإنما حول حضارات الشعوب السامية بشكل عام.

وفي الواقع، إن ضآلة النصوص الموثوق فيها قد جعل دراسة الساميات شديدة الصعوبة والتعقيد، ويعتبر الفينيقيون في هذا المجال أكثر حظاً من بين كل الشعوب السامية، فهذا الشعب الذي احترف التجارة والملاحة، بفضل احتكاكه المتواصل مع العالم القديم، قد جعل المؤرخين القدماء يتعرفون عليه ويقدمون لنا كثيراً من المعلومات حول هذا الشعب كثير الحيوية. فالنقوش المكتشفة في السواحل الفينيقية وفي المناطق التي استعمروها قد أغنت دائرة معارفنا، ومع ذلك، كم من ثغرات تحتاج إلى أن تسد، ومن مشاكل تتطلب حلاً. وبشكل عام./ يمكن القول إن معارفنا عن بقية الشعوب السامية وخاصة عن السبئيين أو الحميريين الذين نادراً ماذكر المؤرخون الإغريقيون والرومان بعض الأحداث عنهم في حين أن المؤرخين العرب، الذين من المفترض أن يكون لديهم المعلومات الكافية عن الأحداث التي وقعت عند شعب ينتمي إلى نفس العائلة ومجاور لهم، لم يستطيعوا الاحتفاظ سوى ببعض أسماء ملوك زعموها لحمير، وبطائفة من الأساطير الخرافية. أضف إلى ذلك أن قلة النصوص السبئية أدت بالمقابل إلى فشل كل محاولة لتفسيرها بسبب عدم وجود نصوص مكتوبة بلغتين، إذ من المستحيل فهم نقوش كتبت بلغة غير معروفة إلا باللجوء إلى عدة مقارنات وإلى دراسة العبارات والصيغ المتشابهة، فهذه الوسيلة الفائقة الأهمية لم تكن موجودة في الدراسات اللغوية السبئية التي مابرحت تجتهد في فهم نصوص ناقصة وغير أكيدة.

أتمنى أن تكون رحلتي قد أسهمت في جلب عناصر متينة لتساعد على إيضاح السؤال الكبير حول الساميين. فإن الوثائق الحميرية المكتشفة حديثاً مدعوة لتوضح لنا الخصائص السامية الصحيحة، إذ لايمكننا النفي بأن اليمن إنما هو البلد السامي الأصيل. وفضلاً عن ذلك، فإن الشعب السبئي كان منعزلاً عن العالم الخارجي بسبب وجود حزام صحراوي عريض، ولم يتعرف عليه الأوروبيون إلا منذ الحملة التي قام بها القائد الروماني (اليوس جالوس) في عام ٢٤ ق.م والتي أخفقت ولم تدم إلا قليلاً إذ لم يقع السبئيون تحت نير احتلال أجنبي في أي عصر من العصور القديمة.

ولهذا السبب بقي هنا الفكر السامي السليم دون اختلاط، وعلى العلم الآن أن 8
يقوم بدراسة جدية لهذا العدد الكبير من النصوص الحميرية التي أضعها تحت تصرفه

ولن يتأخر عن استخلاص الفائدة منها.

سأتطرق بعد هذه المقدمة مباشرة إلى عرض مهمتي، فأروي أولاً بإيجاز مسار رحلتي ثم أذكر المكان المحدد الذي وجد فيه كل نقش، وكل العناصر المادية التي يمكن الاستفادة منها.

أولاً
مسار الرحلة

تعتبر مدينة (عدن) النقطة الوحيدة في شبه الجزيرة العربية التي لها اتصال منتظم بأوروبا، ذلك اتخذتها نقطة انطلاق للتعرف على البلاد، ومن هذه المنطقة حاولت في بداية الأمر التغلغل للوصول إلى (صنعاء). ولهذا الهدف، ذهبت إلى مدينة (لحج) التي تبعد عن (عدن) مسير ست ساعات والتي كان يحكمها يومئذٍ سلطان عميل للانكليز كان يظهر استعداده لخدمة الأوروبيين. ولسوء الحظ، لم تكن سلطته ممتدة إلى مناطق بعيدة بل إن عاصمته كانت دائماً في حالة تأهب مستمر تحسُّباً وخوفاً من قبيلة (الحواشب) المحاربة التي كانت تقطع الطريق وتفرض الفدية على القرى التابعة للسلطان وتقطع طريق القوافل المتجهة إلى (عدن)، فبعد أن قضيت أربع ساعات من المسير متجهاً شمال (لحج)، أجبرت على الرجوع على عقبي لئلا أقع في الكمين الذي حذَّرنا منه.

9 ولكن قبل أن أرجع إلى مدينة الحاكم الانكليزي تأكدت بأنه لاتوجد أية آثار قديمة في الأراضي الواقعة تحت حكم سلطان (لحج). أما في (عدن) فقد حالفني الحظ بالتعرف على عدد من الرجال البارزين الذين أود أن أذكر من بينهم السيد كابتن (مايلز) قاضي الصلح في المستعمرة، وهو عالم مميز فضلاً عن اهتمامه بالنقوش الحميرية، فبفضل حسن رعايته قمت بنسخ عدد كبير من النقوش السبئية التي يحتوي بعضها على نوع من الخط الخاص الذي يجعلها تبدو وكأنها قد كتبت بلغة مختلفة عن السبئية العادية. وزوِّدت برسالة توصية من تجار اليهود الوجهاء في (عدن) وركبت الباخرة إلى (الحديدة)، ومنها انطلقت حالاً إلى (سفيان) (٢) وهي إحدى المناطق الثلاث الواقعة تحت حكم السلطان الذي كان يشغل منصب نائب الملك من سلالة المكارمة، وهم الرؤساء الدينيون والسياسيون لنجران، وقد قاموا بفتوحات كبيرة في الجزيرة العربية خلال القرنين السابقين (السابع عشر والثامن عشر) ويسود السلم والهدوء تلك المناطق، وهو مايعد نادراً في شبه الجزيرة العربية، غير أنه كان هناك عقبة كبيرة أمام الرحالة،

وهي أن المناطق جبلية مرتفعة، ومن الصعب الوصول إليها، ومع هذا فإنني صممت أن أفحص كل شيء، وأرى كل شيء بأم عيني، وغالباً ماعرّضني ذلك لخطر الوقوع في هاوية لاقعر لها من أعالي قصر مهجور، فكانت الحجارة تتحرك تحت ثقل جسمي متدحرجة في كل لحظة تحت/ قدمي متابعةً هبوطها مع أصوات الارتطام على 10
منحدرات الجبل الغرانيتية. وبعد كل التعب والعناء في هذه البلد المسمى (سويسرا) العرب، وبعد الضنى الذي كانت عواقبه وخيمة على صحتي، آلمني ألاّ أكتشف حتى نقشاً واحداً بين أنقاضٍ قديمة ذات أصلٍ حميري دون شك.

وحال وصولنا إلى (صنعاء) عاصمة اليمن لم يقو جسمي على احتمال طقس (حراز) الضبابي. وهكذا فقد أصابتني حمى قاسية مصحوبة بصداع مؤلم اقترب بي من حافة الموت، فأجبرت عندئذٍ على البقاء على سرير الألم لمدة شهر دون أن أستطيع المسير. وبعد هذه الفترة تحاملت على نفسي وقمت بجولة في المدينة لنسخ النقوش الموجودة فيها. وفي أحد الأيام جازفت بتسلق جبل (نقم) الواقع في الجهة المقابلة للمدينة بهدف رؤية (قلعة براش) المسماة قصر (سام بن نوح) والذي ينسج العرب حوله كثيراً من الأساطير، وفي نهاية الأمر كان جهدي عقيماً فيما يخص النقوش. وعند رجوعي إلى مكان إقامتي، انتكست صحتي من جديد واضطررت للبقاء على السرير مدة عشرة أيام. ولما كنت أتحرق شوقاً للتعرف على النقوش الموجودة في المناطق المجاورة لصنعاء فإنني غالباً ماكنت أتخذ مسالك وطرقاً طويلة لاجدوى منها. وفي أحد الأيام قيل لي إنه يوجد في (بيت بوس) الأرض التابعة (لبني مطر) الواقعة على مسار يوم واحد باتجاه جنوب غربي صنعاء، حجرٌ كبيرٌ عليه نقش بخط غير معروف.

وذهبت إلى ذلك المكان مدفوعاً بحماس لايتناسب مع حالتي الصحية. وفي اليوم 11
التالي وصلت إلى مكان وجود الحجر الذي كانوا قد مدحوه لي على نحو مبالغ فيه تصورت نفسي معه أنني على وشك أن أعثر على نص أصلي لأي ملك مشهور من ملوك العصر القديم، ولكن ياللخيبة ! لم أجد سوى خربشات منكرة بخط عربي رديء تحتوي على آيتين من القرآن الكريم. وعلى الرغم من ذلك، فإن قلة الأبنية القديمة في المناطق المجاورة لصنعاء لاتخول لنا الاستنتاج بأنها لم توجد أصلاً. بل على العكس، لقد كنت متيقناً بأن هذه المدينة، وإن لم تكن هي (آزال) المذكورة في التوراة (٣)، وكما

تزعم الأسطورة الشائعة في اليمن، فإنها ليست أقل قدماً منها. ولكن، من الذي يستطيع
أن يقول لنا اسم المدينة قبل التدخل الحبشي؟ فلايوجد في أي نقش من النقوش التي
جمعناها اسم مطابق لاسمها الحالي (صنعاء) غير أنهم قد أكدوا لي أن الحجارة التي
تحمل نقوشاً قد تم جلبها من (الجوف)، وهذا بالتأكيد يجب ألا نأخذه بحرفيته. فلقد
وجدت بنفسي قطعة من نقش مؤلفة من سطرين في بيت صغير يقع خارج منطقة (باب
شعوب)، ومع هذا فإنه لمن العجب أن يخلو (قصر غمدان) المشهور من النقوش وهو
الذي وصفته العرب بأسلوب كتاب (ألف ليلة وليلة) والذكرى الوحيدة الباقية من العصور
القديمة مرتبطة بالجامع الذي كان فيما مضى كنيسة (إبرهة) المسماة (كنيسة) أو
(قلّيس) وهي الآن جملة أنقاض. وقد روى لي أحدهم أن بعض الأحجار التي عليها
12 نقوش / قد خُلعت من الجدران وأخذت لتستخدم في أبنية أخرى وأن يهود مدينة
(صنعاء) قد انخدعوا باسم (قليس) التي تعني أيضاً (كنيس)، واعتقدوا بأنه أقدم كنيس
بني عند قدومهم إلى اليمن، ونسجوا عدداً لابأس به من القصص التي إذا مارويت
لسائح مولع بالغرائب يمكن أن يأخذها مأخذ الجد، ثم إن هناك مصدراً آخر للخطأ
ويقع فيه الأوروبيون بالذات بسبب سوء نطقهم لبعض الحروف العربية. فلقد بحثت بلا
جدوى في مدينة (صنعاء) عن (باب سبأ) الذي ذكره (ارنو) فلم أجد إلا (باب الصباح)
فقد سمي بذلك لأنه كان يفتح عادة في ساعة مبكرة من الصباح بالمقارنة مع بقية
أبواب المدينة (٤).

كما ترون سيادة الوزير، إن الحظ لم يحالفني في المرحلة الأولى من رحلتي، ولكن على الرغم من سوء حالتي الصحية قمت بجولة في غيمان في أرض (بني بهلول – خولان) حيث اكتشفت عدداً من النقوش مما بعث في الأمل بوجود نصوص أخرى في مناطق أخرى. وحتى أبلغ ماربي توجّب عليّ إعطاء أبحاثي منحىً عقلياً وتبنّي مخطط محدد لمسار الرحلة.

لقد كان لدي حدس بأن المنطقة الواقعة شرقي (صنعاء) والتي كانت تشكل قديماً لبّ الامبراطورية السبئية ربما كانت الأكثر حفاظاً على الآثار القديمة إذا ماقورنت ببقية المناطق.

13 لقد توجَّب عليَّ إذاً الاختيار بين مشروعين لخط الرحلة، فإما الذهاب مباشرة إلى (مأرب) متبعاً الطريق الذي سلكه (ت. أرنو) ومحاولة العبور إلى مناطق (الجوف) الأخرى، وإمَّا النفاذ إلى الجوف عبر طريق آخر، والاستفادة في الوقت نفسه بزيارة المواطن الواقعة مابين (نجران) و(مأرب) مؤجِّلاً بذلك زيارة (مأرب) لحين عودتي.

كان المشروع الأول أكثر سهولةً حيث أن القوافل المحملة بالملح من (مأرب) كانت موجودة دائماً في (صنعاء) فيستطيع السائح أو الرحالة أن يجد في كل وقت جَمالاً جاهزاً لاصطحابه إلى هناك مقابل مبلغ زهيد، وعلى العكس من ذلك، بدا لي أن تنفيذ المشروع الثاني أقل سهولةً ويعرض لمخاطر جدية لسالكه بحسب رأي بعض الأصدقاء الذين كنت قد استشرتهم. إن هذه البلاد التي تعاني من المشاكل والمسماة بهذا النعت (الجوف) أي البقعة المجوفة، منسيةٌ تماماً في خرائطنا الجغرافية، ولايعرفها أيضاً سكان (صنعاء) الذين لايكفّون عن رواية الحكايات المرعبة عن وحشية السكان الشبيهين بالبدو الذين يسكنون في المناطق المتاخمة للصحراء، فالجوف في رأيهم مدفن للأجانب الذين يذهبون إليه ولايرجعون منه أبداً، وعلى الرغم من ذلك، فإن جاذبية التعرف على المجهول والأمل في اكتشاف أماكن المدن القديمة التي ذكرها بعض المؤلفين القدماء، وأيضاً في محاولة متابعة نفس الطريق الذي اتبعته الحملة الرومانية بقيادة (أليوس جالوس)، كل هذه العوامل جعلتني أميل إلى اتخاذ خط الرحلة الثانية. ثم إني – بعد ذلك كله – لم أكن متيقناً من أقوال العرب القاطنين في المدن والذين لايتحرجون في الإفصاح عن حقدهم الشديد على البدو.

14 وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة، صممت على اتخاذ هذا الطريق متكلاً على عون الله سبحانه وتعالى في أن يمن علي بشيء من التوفيق لكي أتغلب على كل العقبات. كانت صحتي قد مالت إلى تحسن ملحوظ، فاستأجرت أتاناً مع دليل يهودي من أجل الذهاب لاكتشاف المنطقة الشرقية من اليمن. ولكي أعطي سبباً وجيهاً لرحلتي، طلبت من حاخام (صنعاء) رسائل توصية موجهة إلى اليهود المستوطنين عند القبائل، ثم لبست الزي اليهودي ساتراً رأسي وتاركاً فقط خصلتين متدليتين عند سالفي، وكانت هذه التسريحة ضروريةً للتعارف بين طوائف اليهود، وفي نفس الوقت خلعت البنطال والحذاء

مُبدلاً إياهما بقطعة من القماش الأزرق وضعتها حول خاصرتي وبحذاء مطابق بشكل تقريبي لقدمي. استغرقت عملية اللبس هذه نصف ساعة، وبهذا الزي المستغرب غادرت (صنعاء) بتاريخ ٢٠ شباط/فبراير/ في الساعة الرابعة بعد الظهر. كان المارون ينزلوني عن الأتان بكل إزعاج وبدون توقف موجهين لي الشتائم الغليظة، ولكي أضع حداً لهذه الإزعاجات أجبرت نفسي على المسير راجلاً مع أن ذلك كان مضنياً لي في البدء غير أني تعودت عليه.

وخلال ثلاثة أيام، عبرت الأودية الجميلة التالية: الروضة والزبيرات، والرحبة التي تشكل قسماً من (بني الحارث) وحيث وجدت بعض قطع النقوش.

15 وبعدئذٍ وصلت إلى (شرعة) (٥) في أرض (أرحب)، كانت صحتي وقتئذ لابأس بها ولكن قدمي كانتا في وضع محزن، فقررت البقاء بعض الوقت هناك لاكتشاف المناطق المحيطة بها، والتي بدا لي أنها مهمة. ولقد وجدت بعض النقوش في المدينة نفسها وقسماً آخر في الجبل المقابل للمدينة مما جعلني أنسى أوجاعي بسهولة لولا قصة شيخ المدينة الذي شُبِّه له فحسبني ذلك الشخص الذي يدَّعي عند يهود اليمن أنه المسيح المنتظر. وكان يبعث الخوف والزيغ عند المسلمين، لهذا سجنت مدة ثمانية أيام تم بعدها الإفراج عني بفضل تدخل اليهود الذين استطاعوا إقناع الشيخ بالغلط الذي حصل.

تتكون مدينة (شرعه) من عدة ضيع منفصلة بعضها عن بعض بالقرب من واد، وتبدو وكأنها قديمة جداً، إذ تكثر فيها المعالم الأثرية من العصر السبئي، على الرغم من أن القسم الأكبر من الأحجار المحتوية على نقوش قد اندثرت بسبب إهمال السكان الذين كان جُلُّ دأبهم تحضير الكلس بإحراق كل الأحجار التي تقع تحت أيديهم دون أي تمييز. أما الجبل الواقع مقابل المدينة فإنه يحتوي على بقايا أبنيةٍ من العصر الحميري، كما تُظهر الصخور عدداً من بقايا آثار نقوش. ونجد في قمة الجبل مغارة طبيعية قد تم توسيعها بيد الإنسان، والظاهر أنها قد استخدمت قبراً لشخص مهم ذكر اسمه ولقبه في القسم الأعلى من المدخل.

16 ويوجد عند العرب خوف وهمي من هذا الجبل إذ يعتقدون أنه مسكون بالأرواح الشريرة.

وعلى مسير ساعة ونصف باتجاه شمال شرقي مدينة (شرعه) في قضاء (بني أحكام)، توجد ينابيع نهر لم أعرف أهميتها إلا عند وصولي إلى (الجوف) إذ تتدفق المياه في وسط سهل محاط بأرض وعرة لتتجمع في النهاية في أربعة أحواض شبه مربعة يأتيها البدو للاستحمام وغسل ثيابهم، ويوجد نبع أو نبعان من تلك الينابيع مياهها ساخنة نسبياً، ويبدو أنها تحتوي على مواد معدنية، وتتكاثر الأسماك على مسافة قريبة منها حتى أنها تشكل عنصراً من المواد الغذائية، ومصدراً للدخل بالنسبة لليهود الذين يقومون بتموين سوق (صنعاء)، على أن العرب بشكل عام لايحبون الأسماك.

لفتت المعاملة التي عاملني بها شيخ مدينة (شرعه) أنظار العرب نحوي، فحاصرني الفضوليون الذي أرادوا أن يعرفوا عمَّ أفتش في بلدهم. وفي تلك الأثناء كان الأرحبيون - وهم تلك القبيلة المحاربة - يعدون العدة لإرسال رجالهم لنجدة حلفائهم في (بني مطر) الذين قرروا استعادة منطقة (الحيمة) من سلطان حراز، فكانت الطرق مزدحمة بالمتطوعين الذاهبين إلى نقطة التقاء المجموعة المساعدة. وهذه الحالة المضطربة في المنطقة جعلت من المحال علي الذهاب لرؤية أطلال المدينتين اللتين طالما حدثنا اليهود عنهما.

17 واسم هاتين الخربتين (ناعط) و(صرواح) اللتين تقعان بجوار مدينة (مدر) الصغيرة في قضاء (بني زهير) ولقد أكدوا لي أنه يوجد هناك كثيرمن الأحجار التي تحتوي على نقوش. أما بالنسبة لخربة (صرواح) فلا أستطيع التأكيد عم إذا كانت هي نفسها التي في بلد (خولان) وتحمل الاسم نفسه، وقد زرتها لدى مغادرتي (مأرب).

كانت المحطة التالية لرحلتي مدينة (المديد) في (نهم) وهنا عاملني الناس أحسن معاملة، وحينئذ زرت قرية (ضبوعه) وجمعت منها بعض النقوش. وإلى جانب ذلك اكتشفت نقوشاً أثرية محفورة على صخور جبل (شيحان) باتجاه (وديان) (٦) أو(ملح). وتشكل المناطق المجاورة لهذه المدينة نقطة تجمع للقبائل الرحل الذين يرعون مواشيهم فيها في بعض فصول السنة.

وتتميز المسافة التي تفصل (وديان) عن الجوف بوعورتها وجفافها. وإلى جانب ذلك فإنها مليئة بأسوأ قطاع الطرق الذين يزاولون مهنتهم الجنائية هنا، لهذا واجهت

صعوبة كبيرة في العثور على دليل بسبب أن الاتصالات بين هاتين المنطقتين (وديان والجوف) نادرة، وإذا ماوُجدت فلاتتم إلا عن طريق اليهود الذين يذهبون للعمل عند البدو. وبما أن (عيد الفصح) قد اقترب أوانه فما من يهودي رضي الرحيل معي والابتعاد عن عائلته في هذا العيد الكبير. فاضطررت أن أصطحب شخصاً عربياً ذا سمعة سيئة.

18 وعلى الرغم من ذلك، فإن طبيعتي المسالمة وادعائي بأنني من سكان مدينة (القدس) قد أوحيا إلى دليلي ببعض الشعور الحسن تجاهي، فبعد ثلاث ساعات من المسير وصلنا إلى الحد الشرقي من الوادي حيث توجد ضيعة مكونة من خيم سوداء ولم نتوقف عندها بل تابعنا الطريق لأننا قررنا مبيت الليل في بيت راع على مسيرة ساعة منها.

وعلى مسافة قصيرة من الضيعة تميل الأرض إلى الارتفاع، وينحسر الوادي أكثر فأكثر، وعلى جانبي الطريق الذي كان السيل قد شقه تشاهد عدداً من البيوت المهدمة التي يطلق عليها العرب اسم عاديات نسبة إلى (عاد) وهم شعب قديم اندثر بأكمله ولايزال يلعب دوراً كبيراً في أساطير العرب حيث أنهم ينسبون إليه كل الأبنية التي ترجع إلى العصر الجاهلي، ولايخفى على أحد أن الفرق شاسع بين تلك الأبنية والمنجزات الهزيلة التي حققها الجيل الحالي، فالعرب يعتبرون فن القدماء دليلاً على التكبر والتمرد على الآلهة، إذ بدل أن يفخروا بأجداد منحدرين من أمة كانت قد قطعت أشواطاً في الفن الحضاري، يتباهى سكان اليمن باطلاً بأنهم هم ذرية (إسماعيل) الحقيقية، ومن يتجرأ ويعلن أنه من ذرية (عاد) يدفع حياته ثمناً لذلك. ونجد أن اسم (حمير) أيضاً محتقر ويتضمن فكرة الدنس والهجنة.

19 كما أن نعت (يهود حمير) هو أقسى شتيمة يوجهها مسلم مؤمن إذا احتد غضبه من أحد أتباع موسى (عليه السلام) لتحقيره بالخزي والعار. وعلى عكس ماكنا ننتظر، رفض صاحب البيت استقبالنا، وسبب ذلك الرفض الفظ أنه خشي أن يصاب بالعين الشريرة. فإذا كانت البقرات على وشك أن تلد، كانوا يرتعدون خوفاً من أن يراها يهودي فتسقط مافي بطنها، ومن المعروف عادة أن اليهود هم أساتذة علم السحر، والشخص الذي يرتكب عملاً سيئاً ضد أي يهودي يصبح معذب الضمير ويخاف نقمة اليهودي أو

نقمة أحد أتباع ذلك الدين لئلا يصيبوه بأذى. وعندئذ اضطررنا للنكوص على أعقابنا باتجاه القرية. وعلى الرغم من أننا لم نلق الضيافة، فقد كنا متأكدين على الأقل من أن الطريق خالٍ من قطاع الطرق خلال الليل، وعند الفجر سلكنا الطريق نفسه وشاهدنا من جديد البيوت المهدمة، وبعد ربع ساعة مررنا أمام خربة واسعة ممتدة عند أسفل الجبل من جهة اليسار، ومليئة بركام اللبن المشوي، ويشاهد فيها قليل من الأحجار المنحوتة، كلها خالية من النقوش. وتحمل هذه الخربة اسم (خربة بران).

وتصبح الأرض بعد الخربة أكثر ارتفاعاً، وبعد وقت يسير وجدنا أنفسنا تجاه نجد عالٍ نرى منه نحو الشرق عدة سفوح خلفية لجبال قد عبرناها بمشقة إذ أن الأرض
كانت مليئة بأحجار ذات رؤوس حادة. / ومامن شيء يوازي قفر هذه الجبال القاحلة 20
والمتكلسة بسبب أشعة الشمس، فما من عشب في هذا البحر الغرانيتي، ولم نجد أثراً لبعض النبات إلا في جوار الوديان. وفي صباح اليوم التالي بدأنا ننزل المنحدر الشرقي لجبل (يام) مارين عبر مضيق معروف باسم (الفرضه) (٧) حيث وجدت نقشاً محفوراً على صخرة. وفي هذه البرهة تغيب دليلي لرعي جمله وإذا به يرجع نحوي مقطوع الأنفاس ومصفر اللون كالميت، وسرعان ماتكهنت سبب هلعه: عصبة مؤلفة من عدة فرسان يتجهون نحونا من أسفل الوادي، وكانوا ممتطين خيلاً جميلة، ومتسلحين ببنادق، وقد أدرك دليلي من خلال زي لباسهم أنهم من أشراف الجوف الأعلى الذين لم تكن علاقتهم طيبة مع قبيلته، لذلك خاف أن يجردوه من دابت.، من جهتي، لكي أطمئنه أو بالأحرى لأبعد عنه فكرة الهرب وبالتالي تركي وحيداً، سحبت من إحدى طيات ثوبي قطعة من الورق فيها بعض الأسطر بقلم الرصاص ووضعتها في يده طالباً منه الاختباء وراء الصخرة دون أي خوف وقلت له طالما تمسك بالورقة لن يحصل لك أي مكروه.
اختبأ دليلي العربي المؤمن بالحجاب بكل ارتياح خلف الصخرة، وتغلغلت أنا في جوف/ 21
الجبل منتظراً مرور مجموعة الفرسان حتى أنادي بعدها الدليل الذي كان مندهشاً لأنه أصبح بعيداً عن الخطر، ومنذ ذلك الوقت استيقن بأن مرافقة السائح يملك سلطة كبيرة على الأرواح الخفية.

إن الأشراف الذين يدعون أنهم من ذرية النبي محمد ﷺ التي لم ينقطع نسبها، يؤلفون جماعة كبيرة في الجوف، ويشكلون طبقة الأعيان، ويتمتعون بكثير من الامتيازات،

أما سلطتهم فكانت توازيها سلطة الملاك الأغنياء الذين يشابهون طبقة النبلاء في العصور الوسطى في (أوروبا)، إذ يعتبرون أنفسهم أصحاب الأرض الشرعيين دون سواهم، ويخضعون الحضر كأتباع لهم. ويمارس معظم هؤلاء الأتباع مهنة التجارة، ويأتي بعدهم اليهود الذين يختلف وضعهم بحسب المناطق. تشكل هذه الجماعات المختلفة كلياً طبقات مستقلة على الصعيد الاجتماعي، إذ أنهم لايتزوجون إلاّ من نفس الطبقة، فالقرويون واليهود تتوارثهم عائلات الأسياد ولايسمح لهم بحمل السلاح ولا امتلاك العقارات، بل هم تحت رحمة (السيد) الذي يعطي لنفسه لقب الجار تجاههم، فهو يستطيع تجريدهم من أي شيء دون أن يكون للضحية حق الدفاع عن نفسها. فعندما تقل وسائل العيش، وهذا مايحصل غالباً لقلة الاهتمام بالزراعة، يخرج الرجال الأحرار
22 بمهمة للغزو، أي مباغتة مواشي قبيلة مجاورة، فيترصدون طيلة أسابيع بأكملها / حيث يعانون من الجوع والعطش إلى أن يجدوا الفرصة المواتية لسرقة بعض الدواب أو لتجريد راع من الرعاة، فإذا قاوم هذا الأخير، قتل دونما رحمة، بل إنه قد يكون عرضةً للقتل مباشرة لمجرد التخلص من مقاومته، وتؤخذ جثته علامة للانتصار، ولايبالي أحد بالطريقة التي تم بها الانتصار، أكان ذلك بالصراع وجهاً لوجه أم بنصب كمين، إذ أنه بحسب تقاليد العرب الأخلاقية تعد الحيلة وسوء الظن سلاحين شرعيين يمكن استخدامهما ضد العدو بضمير مرتاح، غير أنه مما يدعو للسلوان أن نلاحظ، في بيئة كهذه تتميز بوحشية منكرة، وجود ملامح تنم عن روح الفروسية والشعور بالشرف، فمثلاً لايقتل أبداً أناس عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم وفي عداد هؤلاء العاجزين: النساء بمختلف أعمارهن، والرجال الذين لم تجر لهم عملية (الختان) التي تعتبر الإثبات الأول للشجاعة، وأخيراً اليهود في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية الذين يبدون وكأنهم ولدوا لتلاوة المزامير وإقامة المناظرات حولماينبثق عن الفيض الإلهي، لا لكي يحملوا أسلحة (إسماعيل) القتالة. فالرجل الذي يقتل يهودياً يتحاشى أن يفتخر بذلك أمام أهله، فهذا العمل لايجلب له أي فخر بل عليه أن يتحسب بكل تأكيد من انتقام حماة تلك الضحية، وهكذا ينجو اليهودي بجلده في مقابل الازدراء الذي يثقل كاهله. وبانتظار مستقبل أفضل، يمرون
23 بمراحل طويلة عابسة ينتقل خلالها / من سيد إلى سيد.

أمَّا مجموعة الرجال المنحدرين من سلالة الرسول ﷺ فإنهم يأنفون القيام بحملات إغارة صغيرة، ولهذا يشكلون فوجاً مساعداً، ويضعون أنفسهم تحت تصرف القبائل التي هي في حالة حرب، فيتلقون عندئذ مرتباً شهرياً يتراوح مابين ريالين أو ثلاثة، وينالون جزءاً من الغنائم، والمجموعة المحاربة التي شاهدتها في (الفرضة) كانت في طريقها إلى (الشيخ محسن) المقيم في (بني مطر) والذي كان قد دعا إلى الجهاد المقدس ضد الداعي الحنفي في حين أن أغلب اليمنيين يعتنقون مذهب الزيدية، وهكذا يشكل الأشراف أحد أسباب استمرار الحروب الداخلية في شبه الجزيرة العربية. صحيح أن هذه الحروب كانت تنتهي عادة دون إراقة كثير من الدماء، فعندما يرى المحاربون أنهم قد قاموا بما فيه الكفاية لاسترداد شرفهم، يقيمون السلم، ثم يتم تسجيل عدد الأموات لكلا الطرفين والفرق يعوِّض بنسب محددة حسب العرف. وبعد ذلك يفترق الجانبان وفي أذهانهما الفكرة الثابتة بالعودة ثانية إلى القتال في فرصة لاحقة.

وابتداء من منطقة (الفرضة) يصير المنحدر أقل انكساراً، ففي عمق الوادي الذي يشكل مدخل (الجوف) شاهدت ساقية مياه تنساب كالحية لها صلة بينابيع بلد (أرحب) (٨) من ناحية، وبمسيل (وادي سبأ) من ناحية أخرى، ولَمَّا لم أكن قد عرفت بوجودها، فلم أعطها إلاَّ القليل من الانتباه، إذ أن نظري كان مأخوذاً بالأبنية العربية الممتدة على طول
24 المسيل / والتي تملأ الجبال. كانت كل هذه البيوت مبنية من حجارة النضيد السوداء مكوِّنة مربَّعاً بارتفاع رجل عادي. فما كان الغرض من هذه الأكواخ؟ كان دليلي يعرف القليل رغم ادعائه بأنه يلم بالكثير من المعارف حين قال لي بأنها أبنية كان قد قام بتعميرها (عاد). ولما أظهرت عدم اقتناعي بهذا الاسم الرائج، تحمس العربي عن طيبة خاطر ولفظ لي اسم (بني هلال) ولكنه عندما رآني أهمُّ بطرح أسئلة أخرى عن هذا الشعب القديم قاطعني في الحال وأضاف نعت (الكفار)، وكأنه أراد أن يقول: إن الله وحده يعلم ماكان هدف أولئك الكفرة لما بنوا تلك الأكواخ. على أي حال، فإنها أعمال فاسقة لايجب أن يتعمق فيها الرجل العاقل. من المستحيل الحصول على معلومات أكثر تفصيلاً من دليلي، وقد علمت سبب ذلك في وقت لاحق، لا عن طريق العرب الذين كان لديهم نفس المعارف حول بلادهم، وإنما من هيكل عظمي أبيض لأحد أبناء سبأ الحقيقيين الذي قام الإسماعيليون بالتنقيب في قبره آملين استخراج الذهب منه، ولم

يسلم البيت الحجري من عبث اللصوص، ويبدو أن الذهب كان معدوماً، وإلاً لما بقي قبر واحد بمنأى عن التدنيس.

25 ووصلنا إلى أسفل (جبل يام) وأمامنا وادي سبأ الذي تبدأ عنده الصحراء الكبرى المسماة (الأحقاف) ويعتبر هذا الحد أرضاً زراعية إن لم نقل مزروعة بالفعل، واستغرق عبورها يوماً كاملاً من المسير، وبعدها تبدأ أرض شبيهة بتهامة، بالإضافة إلى تلال الرمال المتحركة التي تتجمّع وتتبعثر بحسب اتجاه الرياح. وتهامة الشرقية هي في ظني أكثر ارتفاعاً من تهامة الموازية للبحر الأحمر بألفي قدم، لأن المنحدر المطل على (الجوف) هو بكل وضوح أقل انكساراً بالمقارنة مع منطقة صعود السفوح من الجهة الغربية، وإن الارتفاع النسبي لصحراء (الأحقاف) ليفسر تلك الحالة الفريدة من نوعها، والتي يعرفها السكان بشكل عام، وهي أن رياح الصحراء تحمل معها البرودة. وإلى جانب ذلك، قال لي العرب الذين سألتهم عنها إن الهواء يبرد عند مروره فوق (البحر الصافي) ذلك البحر الاسطوري الذي يُحكى عنه في (حضر موت) فهل يوجد أساس واقعي لهذه الخرافة التي تتحدث عن وجود بحيرة في الداخل؟ لاأحد يستطيع أن يعطي جواباً وافياً، وبحسب معلوماتي لايوجد أي اتصال بين (الجوف) وساحل (عُمان). بالإضافة إلى ذلك، فإن العرب الشجعان أنفسهم يخافون عند سماعهم عن أهوال (الأحقاف). لقد توقفنا في (مجزر) مدة ساعتين لأن دليلي كان يسكن فيها، فأراد أن يطمئن على ماشيته قبل الرحيل من جديد إلى (الجوف). وفي ذلك الوقت، كان قد ذاع

26 خبر مغامرتي مع شيخ مدينة (شرعة) فصرت / حديث الناس هناك، وبالطبع، كان عندهم الفضول لرؤيتي وإزعاجي بالإلحاح علي بطرح جميع أنواع الأسئلة التي منها مايبين ذوقهم وتعلقهم بالعجائب كرغبتهم قبل كل شيء في معرفة ماإذا كنت قد رأيت الحجر الكبير المعروف (بحجر الواقعة) المعلقة حسب اعتقاد شائع في الهواء فوق جامع (عمر بن الخطاب) (رضي الله عنه) في مدينة (القدس)، وهذا الحجر في الواقع هو كرمح (ديموكليس) المعلق على كرتنا الأرضية (٩)، فهو يهبط بشكل غير محسوس وانتظام تام كل سنة مقترباً من الأرض، وفي اللحظة التي يمس فيها مآذن مسجد (عمر) تهتز الأرض وتقوم الساعة، ومعها ينتهي العالم، وقد أجبتهم بأن العلماء التقاة هم الوحيدون الذين لهم الصلاحية في رؤية الصخرة معلقة، في حين أنها لاترى من قبل العامة، وبالتالي فأنا

لاأعرف بالضبط لحظة قيام الساعة، فاقتنع مستمعي من هذا الجواب، وقالوا بكل وقار: «لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم»، وهكذا تركوني أنهي بكل ارتياح صحن الحليب الذي قدموه لي لإفطاري.

وبعد بضع دقائق رجع دليلي من جولته يحمل سلاحه وترك جَمَلَه في بيته، وسلكنا معاً طريقاً في أرض رملية مستوية وملتهبة متجهين نحو الشمال الشرقي، فمررنا بالقرب من خربة بحثنا فيها دون جدوى عن بئر نروي منها ظمأنا.

27 وعند المغيب وصلنا دون مزيد من الجهد إلى (الغيل) وهي المركز الحضري الرئيسي في منطقة الجوف الأدنى.

فهنا يعامل السكان اليهود بعبودية قاسية، وعلى الرغم من نواياهم الطيبة لم يستطع هؤلاء الإخوة في الدين أن يمدوني صراحة بما لزمني من العون لاكتشاف تلك المنطقة، ومع ذلك قدموا لي أفضل المعلومات حول موقع الخرائب، وبما أنهم اعتقدوا بأنني ضليع في علوم السحر، فقد تمنوا لي رحلة سعيدة هدفها حسب ظنهم استخراج الكنوز المخبأة تحت أنقاض الخرائب التي في حماية جنود الجن الخفية.

لقد أراد هؤلاء اليهود المضيافون رغم فقرهم أن أمكث عندهم في عيد الفصح، ولكنني لما علمت أنه توجد على مسير ثلاث ساعات باتجاه الشمال خرائب كبيرة سمعت عنها مايثير العجب لم أتمالك صبري عن زيارتها في أقرب وقت ممكن، فودعت هؤلاء الرجال البسطاء والدموع في عيني بعد أن وعدتهم بالمرور عليهم بعد بضعة أيام.

وقبل الوصول إلى المكان المذكور أعلاه، حدثت مفاجأة سارة ألا وهي اكتشافي
ساقية مياه عذبة لاتنضب، وهذا أمر غريب وخارق في شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً
أننا كنا في منتصف فصل الصيف والجفاف سائد كلياً، فحين رأيت هذه الطبقة المائية
28 الشفافة / اغتنمت الفرصة في أخذ حمام بارد على الرغم من الخوف الشديد الذي
انتابني تجاه الرعاة العرب الذين يأتون إلى هنا من كل ناحية لسقي إبلهم. وبعد الحمام
ماعدت قادراً على مقاومة شهيتي الزائدة للطعام أمام إغراء الأسماك الجميلة ذوات
البطون الكبيرة والتي تسرح أفواجاً على سطح الماء وتبدو ناعمة وهادئة حتى لكأنك
تستطيع التقاطها باليد. وقد بدأت عملية الصيد، غير أنه ماكان لنا أن نصل إلى مبتغانا

لولا مجيء النساء البدويات لمساعدتنا بعد أن رأيننا نقوم بالعملية دون إتقان. وقد ساد الغذاء جو من المرح. ولأن مرافقي أرادوا أن يتزودوا بالسمك لنويهم اضطررت لقضاء الليل على ضفة الساقية. وعند الفجر تابعنا الطريق.

إن الاكتشاف المفاجئ لهذه الساقية قد جعلني أتيقن بأنني أسلك الطريق السليم حيث وجدت نفسي أخيراً في قلب (وادي سبأ) وتبينت من ذلك أن مراكز السكان الأساسية كانت تقع قديماً بالقرب من هذه الساقية. وتذكرت حينئذ أن (سترابون) كان قد ذكر بالفعل نهراً توقفت عنده الحملة الرومانية حين وصولها إلى بلاد السبئيين. ومن جهتي كنت متأكداً بأنني أمشي على أرض تاريخية، فشعرت بقوة تنبعث من نفسي كافية لمجابهة مخاطر الموقف. لقد دفعني فضولي للتعرف على منبع الساقية ومسارها
29 وسأروي هنا المعلومات / التي حصلت عليها عن هذه المسألة الجغرافية: إن ساقية المياه هذه هي نفسها التي رأيتها في سهل (بني أحكام) التابع لبلد (أرحب)، فمن هناك يتدفق النهر واضحاً للعيان حتى وصوله إلى جبل (جزره) حيث يختفي عن وجه الأرض في منطقة مسماة (العيش) تقع بالقرب من قرية (حبيش) أي على مسير نصف نهار من الجوف حيث تظهر الساقية من جديد متجمعة في مسيل غيل (هران) ومن ثم تتدفق المياه باتجاه (خربة السوداء) (فالبيضاء) (١٠) (فكمنا)، بعدئذ يتابع المسير آخذاً جهة الشرق، أي باتجاه (الحزم) ثم (سلامات) حيث تستعمل مياهه لسقاية الحقول.

وبعد قليل توقفت أفكاري عند رؤيتي لتل ترتكز عليه خربة قديمة قد أعيد بناؤها عدة مرات تحمل اسم مدينة (هرم) والمعروفة) بـ(الفرع). وفي الحال بدأت بتفحصها دون التوقف عند أي بيت مسكون. وبعد وصولي إلى ذروة التل ظهر أمامي منظر جميل للوادي بأكمله يشاهد في الجهة الجنوبية الغربية (وادي الخارد) الفضي، فهذا هو اسم النهر الذي كنا قد سألنا عنه أعلاه لأنه يعكس أشعة الشمس ولاتجد على ضفتيه الشرقية والغربية إلا أودية رملية جافة لانبات فيها سوى بعض الأشواك الضامرة النحيلة، وعلى العكس تجد في جهة الشمال منظراً رائعاً ومتنوعاً يمتد في جبل (اللوز) من الشرق إلى
30 الغرب / مشكلاً تقريباً زاوية مستقيمة مع جبل (سليم) (١١) ذلك الممر المفصول قليلاً عن جبل (يام) والذي يحد (وادي سبأ) من هذه الجهة. ويظهر هذا الجبل وكأنه يمتد حتى

(حضر موت). لكن هذا المنظر الجميل كان قد انمحى أمام رغبتي بالتحقق مما شاهدته على مسافة خمس دقائق فقط بعد نزولنا من الخربة: بقايا باب من حجر وأمامه ستة عشر نصباً يسميها العرب (بنات عاد) أو (أبنية بني عاد). وبالرغم من هذا الذي رأيته، أجبرت نفسي على التروي، خاصة عند رؤيتي لعدد من الشبان العرب الذين كانوا يمارسون هواية رمي السهام ويتسلون بتسلق النصب، فحالما وصلت تظاهرت بالإرهاق وجلست أمام النصب الأول المغطى بخط منقوش بشكل بديع، وعندما أرضيت فضول الحاضرين تغطيت بثوبي متظاهراً بالنوم، وفي هذه المبرهة بدؤوا يبتعدون عن المكان ليعتنوا بخيلهم التي كانت ترعى الأشواك، حينئذ انتهزت فرصة غيابهم وقمت بنسخ النقش، غير أن حرارة الشمس المحرقة أجبرتني على التفتيش عن مكان ظليل فأسرعت إلى دخول المدينة المسماة (الحزم) وهي مركز قضاء (بلد همدان) أو (الجوف) الأوسط، وهناك استضافني أفضل ضيافة تاجر مجوهرات يهودي اسمه (سالم بن سعيد) رجل فريد الذكاء، وبفضل مساعدته استطعت وبدقة تنقيب الوادي بأكمله. وقد تواصل / هذا 31
التنقيب ثانيةً بعد عودتي من نجران مدة شهرين، إذ كان عليَّ أن أتخذ كل الاحتياطات لكيلا يباغتني العرب حال وجودي في مكان الخرابات أنسخ النقوش.

لقد كان هدف وجود النصب ومكانه بالنسبة لي لغزاً، ولكنني تبينت فيما بعد أن كل معبد سبئي يحتوي عدداً معيناً من النصب في داخله. فلقد كان للرجال الأغنياء امتياز كتابة أسمائهم على النصب عند تقديمهم النذور القيمة إلى الآلهة، وخارج سور كل مدينة معبد مكرس للإله الرئيسي، فإله مدينة (هرم) مثلاً يحمل اسماً غريباً وغير معروف حتى وقتنا هذا وهو (متبنطين) (١٢) وكانت جدران المعبد قد فقدت، وبلاطات الرخام التي عمرت بها الجدران مطروحة أرضاً مهروسة ومطمورة تحت الأتربة، كما أن السقف الذي هو أيضاً من بلاطات رخام، قد كان محمولاً على أعمدة مربعة الشكل، بارزة بين مسافة وأخرى على طول الجدار. أمّا القوس فمن الظاهر أنه لم يكن قد استعمل إلاّ لإنشاء الجسور. وقد كان من عادة اليمنيين رسم لوحة ناعمة يتم وضعها في مدخل المعبد وتمثل أنواعاً من الثمار والحيوانات الواقعية والخيالية، وحتى رسوماً إنسانية مابين أهرام وزخارف أخرى، وعدا ذلك، يحتوي باب معبد (هرم) على نقشين متطابقين قدتم وضعهما عند جانبي المدخل، أحدهما منقوش بخط رائع مزخرف. / ويحتوي (الجوف الأوسط) 32

و(الجوف الأدنى) حسب معلوماتي، على آثار قديمة أكثر مما يحتويه أي بلد عربي، ومن بين هذه الخرائب المتنوعة وأكثرها أهمية من ناحية تاريخ اليمن القديم وبدون منازع تلك المسماة إلى يومنا هذا (معين) التي كانت بلا ريب عاصمة المعينيين الذين أطلق عليهم المؤرخون القدماء اسم (الشعب الأكبر). ويشغل القسم المحصن من مدينة (معين) تلاً ذا مساحةٍ قدرها ٢٨٠ م طولاً و٢٤٠م عرضاً، أمّا السور الذي كان قد بني عند أول المنحدر فلم يبقَ منه إلاّ بعض الأجزاء في الجهة الشمالية. وبالعكس فإن الأبواب المقابلة لجهة الشرق ولجهة الغرب مازالت قائمة وبحالة جيدة، كما أن الصروح المجاورة ذات ارتفاع شاهق، وتظهر فيها الأبهة. وتتكون هذه الأبنية المختلفة من الأحجار الكبيرة المنحوتة التصقت بعضها ببعض دون إسمنت بصورة متماسكة حتى لكأنك تراها كتلة واحدة، وحفر على أكثر هذه الأحجار نقوش غالباً ماتكون طويلة للغاية، أما في الداخل فإن كل الأبنية القديمة قد اندثرت تقريباً، بسبب تخريب العرب الذين حاولوا عدة مرات التمركز في وسط الخرابات، ولكن مرور بعض السنوات كان كافياً لتنقلب أكواخ اللبن إلى تراب. كان الجامع بالذات الذي بني من أحجار أخذت من الأبنية القديمة، في حالة يرثى لها، ويوجد إلى جانبه على مسافة يسيرة معبدٌ صغيرٌ / من العصر الحميري يحتوي على عدة 33
نصب، ومازال قائماً بكامله تقريباً، ويتميز بتناسق أبعاده إذا ماقورن بذلك البناء الإسلامي الهزيل.

وعلى مسير عشرين دقيقة باتجاه شرقي الخربة الرئيسية وفي أرض وعرةٍ جداً اسمها (المِحْير)، يشاهد صفان طويلان من النصب شبيهان بنصب مدينة (هرم) ويبدو أنها تابعة لمعبدين متلاصقين لم يبق منهما إلاالبابين المتاخمين، وتحتوي واجهة الباب الأمامي الكبير على نقش بديع مكون من ثلاثة أسر يشير إلى اسم الملك الذي قام ببناء المعبد، والإله الذي كرس له. وهنا يبدو أنه (عشتر) الفينيقية (١٣). وتوجد ثلاث من العتبات الموضوعةفوق النقش تحمل كل واحدةٍ منها نقشاً قصيراً يبدو أنه يشير إلى اسم ملك قد تحالف مع المعينيين وشارك بجزء من تكلفة بناء المعبد.

وإذا ألقيت نظرة على النقوش التي جمعتها هناك فهي تبرهن لي على الفور أنه كان للمعينيين مدينتان هامتان أخريان، وهذا ماحرّضني على بذل كل جهدي لاكتشافهما،

وقد غمرني الفرح عندما اكتشفت المدينة المعينية الثانية التي ذُكِرت في النقوش، والتي ضاع اسمها القديم في عالم النسيان، وبعد بحث دام طويلاً، اكتشفت بصدفة غريبة المدينة المعينية الثالثة التي جنيت منها أكبر حصيلة من النقوش.

34 يشغل السكان المعينيون مكاناً فريداً بين القبائل السبئية، فإن نقوش تلك المدن الثلاث قد كتبت كلها بلهجة خاصة يحتمل أن تكون هي نفسها لهجة النصوص الحضرمية. وعلى العلم أن يبت يوماً ما في هذه المسألة لمعرفة ماإذا كان المعينيون قد سكنوا (حضر موت) أو بالعكس أن الحضرميين هم الذين قد احتلوا قسماً من (وادي سبأ). وأيّاً كان الرأي في ذلك، فإن مالاشك فيه هو أن نواة الامبراطورية السبئية كانت مكونة من شعبين على الأقل يتكلمان لهجتين مختلفتين. وهناك أيضاً خرابات أخرى كانت قد لفتت انتباهي فقمت بزيارة مايقارب العشرة، ولكن ثلاثاً منها فقط قد أعطت نتائج مرضية على صعيد النقوش، أما البقية فكانت في حالة دمارٍ حتى أنني لم أتمكن من إيجاد حجر واحد سالمٍ فيها، وتقع هذه الخرابات عامة مابين (الخارد) وجبل (اللوذ)، وأما الخرائب التي تقع بعيداً عن النهر فإنها قد كانت تروى قديماً بواسطة شبكة قنوات ري محفورة بشكل منظم، وكان السبئيون يقومون بالاعتناء بها مؤمِّنين المواد الغذائية ورغد العيش لعدد كبير من السكان، واليوم، وعلى الرغم من أن هذه القنوات مسدودة فيكفي أن تنزل الأمطار غزيرة في وقتها لتغل الأرض ثلاثة محاصيل سنوياً.

وعندما بدا لي أنه لم يبق شيء للاكتشاف في منطقة (الجوف الأوسط) عزمت
35 عندئذ على الذهاب إلى (نجران) فأخذت الطريق الشرقي مع نية / الرجوع إلى (بلد همدان) عن طريق (الجوف الأعلى)، فلقد أردت التعرف على الطريقين المختلفين اللذين كان قد سلكهما القائد الروماني بحسب مارواه (سترابون)، أي أنه ذهب عن طريق (نجرا) (١٤) فسبأ، ورجع عن طريق بلاد السبئيين. والطريق الأول كما ذكر الكاتب الإغريقي أطول، بالإضافة إلى مروره بمناطق صحراوية جافة وقليلة المياه. وقد استنتجت من ذلك أنه من المفترض أن يكون ذلك الطريق هو الشرقي، أما الطريق الغربي الذي يمر بالجوف الأعلى المأهول بالسكان حتى يومنا هذا فقد كان يشكل صعوبات أقل على الحملة الرومانية، وقد بدا اعتباري هذا منطقياً، وربما كنت مخطئاً، ولكنني قررت القيام ببحوث جدية.

ويتميز طريق جبل (اللوذ) الذي قصدناه بسهولة العبور في بدايته، ثم يصبح أكثر وعورة كلما اقتربنا من الشمال، وبالتحديد في المكان الذي ترتفع عليه القمة الغرانيتية لجبل (قدم) فلقد عبرنا هذه السلسلة الجبلية بمشقة حتى وصلنا عند الظهيرة إلى قرية (ملاحة) وعند مطلع الفجر مشينا باتجاه الغرب لئلا نلتقي بمحاربي (نو حسين) الذين كانوا راجعين من حملة في (بلد همدان) كنت قد أرغمت على حضورها وكادت تكلفني غالياً، وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر دخلنا إلى واحة (خب) (١٥) الجميلة التي
36 كانت مزروعة بعناية لاتوصف على الرغم / من الانعدام الكامل للمياه الجارية. وتتكون هذه الواحة من عدد كبير من القرى، وأما اليهود، وهم الوحيدون الذين يمارسون المهن اليدوية في تلك المنطقة، فإنهم في معظمهم من الميسورين، ويتلقون معاملة أفضل من زملائهم القاطنين في الجوف، وقد استطعت هنا زيارة القرى دون التعرض لأي إزعاج، أمّا فيما يتعلق بالنقوش فلم أر منها شيئاً على الأبنية القائمة إلى يومنا هذا ولاضمن الأبنية المهدمة، باستثناء نقش واحد يتكون في الأصل من ثلاثة أسطر وهو مرسوم على صخرة بالقرب من بئر، بالإضافة إلى أنني لم أتمكن من نسخه بسبب سوء نيّة البدو. ومن جهة أخرى، فإن كل الدلائل تحملني إلى الظن بأن سكان الحضر لم يقطنوا واحة (خب) إلا منذ زمن قريب جداً.

ومن هناك إلى (نجران) بقي علينا مسيرة أربعة أيام، كان دليلي قروياً من (خب)، ومع أنه قبض أجرة الرحلة كاملة، فقد تركني بعد يوم واحد مقابل سلسلة (الحضبة) التي تحد أرض قبيلته، كنت منهكاً من العطش في وسط هذه الصحراء المرعبة والمليئة بتلال الرمال المتحركة، ولذلك فقد أرغمت على الالتحاق بمخيم البدو الواقع على مسير ثلاث ساعات باتجاه جنوب شرقي الجبل على طريق (حضر موت) وكان المخيم يتألف من خمسين خيمة سوداء تقريباً لايتغذى سكانها إلا من حليب الإبل، إذ أن الذرة كانت غالية الثمن ونادراً ماكانت تستورد. هؤلاء السكان جهال ولايعرفون التعصب، كما أنهم لايكترثون للأمور الدينية مع أننا نجد بعض الشبان قد ألحوا علي بتكرار الشهادة التي
37 هي رمز / إيمانهم، فكانوا يقومون بذلك لمجرد التسلية ولكي يمتحنوا ثباتي. ولقد قدموا لي الحليب بكمية كبيرة لكن هذا لم يكن كافياً لتغذيتي إلا قليلاً، وكدت أموت جوعاً وقد

أصيب العرب بالدهشة من قابليتي الكبيرة للطعام، والظاهر أنهم قد وصلوا إلى نتيجة مفادها أن سكان (القدس) هم شرهون للغاية.

كان يعيش في مخيم البدو ذاك رجل من (نجران) قامته قامة (هرقل) وملامحه كلها أوروبية، وبعد عدة مداولات وافق على اصطحابي إلى مسقط رأسه، ولسوء الحظ كانت طبيعته متناقضة مع شكله الخارجي اللطيف، فهو رجل قاس متشدد وهمجي، فما من طريقة تعذيب إلا وطبقها علي ونحن سائرون، فلم يكتف بأخذ ماكنت أملك من ثياب ومال، وإنما كان يهددني بالموت دون أي إثارة من جانبي. وشاءت الأقدار أن تلحق بنا قافلة (حضرموت) فاستلذ جمالوها بتعذيبي أشنع تعذيب. على الرغم من ذلك، أرغمت نفسي على إظهار رباطة الجأش وعدم المبالاة بوعيدهم، وفي نهاية المطاف ملوا من ذلك. وفي اليوم الأخير من الرحلة التي اتجهت نحو وادي (حبونة) شرعنا في اجتياز الوادي الذي يشكل مدخل بلد (نجران) الشهير، وهذا الوادي الضيق والمنحصر بين سلسلتي جبال
يسمى في مدخله (بالخضراء) (١٦) ويحتوي أيضاً / على برجٍ حديث وعلى بئر لاتنضب، 38
كما تحتوي الصخور الموجودة على جانبي الوادي على بعض آثار لنقوش أكثرها ممحوة.

توقفت وقلبي مفعم بالعاطفة في وسط بستان نخيل بالمدينة المسماة (مخلاف) حيث نزلت أولاً عند أخوين يهوديين كانا يمارسان مهنة الخياطة، وبعدئذ قاداني إلى يهودي آخر مقيم في مدينة (رجلة) الواقعة في المنطقة المقابلة للوادي، والتي يبلغ عرضها مايقارب الثلاث مئة متر، وهي مبنية في وسط غابة من شجر النخيل كما هي الحال مع بقية المدن في هذا الوادي الجميل، يومئذ كانت ليلة السبت ويتبعها مباشرة عيد الحصاد عند اليهود، وبالتالي كان لدينا ثلاثة أيام عيد يتوقف اليهود خلالها عن العمل، فتوفر لي الوقت الكافي من الفراغ لأستخلص من مضيفي كل مأتمنى من المعلومات. وحرصاً مني على الصدق لابد لي من الإشارة إلى أنني كنت مخطئاً كل الخطأ في الحذر من أهالي (نجران) الطيبين، فما من مكان في شبه الجزيرة العربية يتمتع اليهود فيه بالاحترام والحرية أكثر من هذا. وإن ادعائي بأنني حاخام من مدينة (القدس) قد جعلني أحصل وبسرعة على رعاية العديد من علماء (نجران) الذين غالباً

مادعوني إلى منازلهم. وكنا بعد الانتهاء من الطعام نتناقش في مسائل تاريخية وجغرافية وبالأخص في علم ماوراء الطبيعة. وإلى جانب هذا، فإن تعرفي على القاضي
39 (محمد بن لغة) القاطن في (قرية القابل) قد كان ثميناً للغاية بالنسبة لي. / فلقد وجدته متضلعاً في الأدب العربي وارسطا طاليسياً متحمساً، ولما كان واحداً من مستشاري رئيس الدولة المعروف بالمكرمي، والذي كان يسكن في (بدر) قد زودني بمعلومات موثوقة عن موارد البلاد وعن العلاقات التجارية التي يقيمها الحاكم مع الشعوب المجاورة.

هاقد تكللت جولاتي باكتشاف خرائب (نجرا) حاضرة المنطقة، والتي يسميها العرب حالياً مدنية (الخدود)، وهو لفظ خاطئ لمدينة (الأخدود) التي يرد ذكرها في القرآن الكريم، والتي أخطأ المفسرون في اعتبارها مدينة (نجران) نفسها. إن سكان هذه المدينة لايعرفون شيئاً عن الادعاءات حول وحشية الملك اليهودي الحميري (ذو نواس) الذي، بحسب ماوراه بعض كتاب العصور الوسطى، قد ألقى عشرين ألفاً من المسيحيين في حفر مضطرمة بالنار. أما التقاليد الشعبية فهي في غاية التسامح مع اليهود، فبحسب مايقوله علماء (نجران) لايوجد في العالم سوى ذريتان شريفتان الأولى ذريتهم، أي ذرية إسماعيل الحقيقيين، والثانية متمثلة بذرية (اسحق) أي الشعب اليهودي، وفضلاً عن ذلك، لا اليهودية ولا المسيحية كانت قد تركت أثراً لوجودها في (نجران). أما بعض النقوش القليلة التي وجدتها فهي كلها تقريباً من مدينة (نجرا) ولها طابع وثني، في حين أن المكان الوحيد الذي يمكن أن يكون له بعض الأهمية للتاريخ الكنسي هو الجامع الواقع شرقي آثار المدينة القديمة.

40 يروي الناس أن هذا الجامع كان قد بني على قبر (عبد الله بن الثامر) المبعوث الأول للمسلمين إلى هذا البلد، بينما يضيف علماء (نجران) بأن أصل الجامع يعود بناؤه إلى قديس عاش في عصر ماقبل الإسلام، ومن الممكن أن يكون هو قبر (الحارث) حاكم نجرا (نجران) المسيحي.

وعلى مسيرة نهار قصير باتجاه شمال (نجران) تمكنت من رؤية وادي (حبونة) بشكل سريع وهوأيضاً غزير الإنتاج. ولقد أوشكت أن أذهب إلى بلد (الدواسر) الواقعة على طريق (الرياض) العاصمة الحالية للقائد المشهور (ابن سعود)، فقد تعرفت على عدد

من الأشخاص من (الدواسر) القاطنين في (نجران) كانوا يقيمون علاقات تجارية مع (نجد)، وقد تعجبت أنني لم أسمعهم يتكلمون عن فرقة الوهابيين على أنها من مذهب مختلف عن بقية المذاهب الإسلامية بحسب معلوماتي، إن الوهابيين الشهيرين بعيدون كل البعد عن أن يكونوا بروتستانتيو الإسلام، وإنما ينتمون إلى المذهب الأورثوذكسي، أي الشافعي الذي يعتنقه عدد كبير من القبائل في (نجران) مع أن العقيدة السائدة هي الحنفية. وبشكل عام، فإن العرب يطلقون أحكاماً خاطئة على العقائد الدينية المخالفة لعقيدتهم، فيميلون دائماً إلى اعتبار أي اختلاف بسيط في المذهب ديانة مستقلة، ومهما
41 يكن، فإن أهل (نجران) يعتبرون في شبه الجزيرة العربية طائفةً / خاصة تمارس طقوساً سرية، فاحشة ومستوحاة من المسيحية. وبعدها توفرت لي الفرصة أن أعرض شكوكي على السيد (جرمني) الذي كان يقوم برحلة في منطقة (نجد)، وهو يشغل حالياً منصب قنصل فرنسا في (عدن)، فيما يتعلق بحركة الإصلاح الإسلامي التي أبدع في وصفها السيد (بالغراف). فلم يتردد السيد (جرمني) في أن يقول لي إن خبراته الشخصية تتطابق مع أفكاري حول مسألة مذهب الخصم القديم للأتراك، ومن جهتي فإني مازلت مصراً على وجود مذهب وهابي مالم يبرهن على العكس. والآن، وقد وصلت إلى الحد الشمالي من رحلتي، يتوجب عليّ إذن التفكير بالرجوع إلى (وداي سبأ) عن طريق (الجوف الأعلى)، ويمر طريقنا في الجهة الجنوبية الغربية بمناطق جبلية جداً. وهذه المناطق المختلفة على أهميتها الجغرافية الكبرى، لم تمدنا بشيء من النقوش وهذا مالاحظته في مجال آخر وهو أن سكان السهول يتحضرون بسهولة أكثر بالمقارنة مع سكان المناطق الجبلية الذين لايكاد نشاطهم يكفيهم للتغلب على المصاعب المادية. وصلت إلى (الجوف الأعلى) وأنا منهك من التعب في أشد أيام السنة قيظاً، وتوقفت في (الزاهر) التي كان يقام فيها يومئذ سوق هامة. ولم يحتفظ (الجوف الأعلى) إلاّ بآثار ضئيلة من أبهته القديمة، فخرائب لاتحصى تغطي الأرض وخصوصاً بالقرب من حيد (الخارد) حيث يصبح أكثر عرضاً.

42 لقد كان تدمير الآثار والتحف السبئية في هذه المنطقة أكثر شمولاً بالمقارنة مع (بلد همدان)؛ الصروح المنتصبة نادرة. وكل شيء قد هدم رأساً على عقب، وإني أشعر بالسعادة لأني استطعت إنقاذ بعض قطع من النقوش، وفي نواحي جبل (سليم) بشكل

رئيسي جنيت عدداً لابأس به من النقوش، وكذلك الحال في المنطقة الواقعة بين الجوف الأعلى والجوف الأدنى، فعدد الخرائب التي تغطي امتداد وادي (مذاب) لاتحصى، وهذا عدا وجود التلال الكثيرة التي كانت تشكل بيوت الريف للسبئيين القدماء. ونلاحظ أيضاً آثاراً لمدنٍ هامة، فليس من النادر مشاهدة نُصُبٍ مجزأة بشكل فظيع ومنبثقة من الرمال التي تهدد بطمرها. عند قيامنا بحفر لتعرية إحدى الأحجار المحتوية على نقش وجدت لوحة من النحاس مثقوبة وعليها الأحرف (ل ب ه) (لبا)، والعرب يعرفون هذا المكان باسم (جار اللبا).

لقد هددت هذا الاستكشاف أخطار عديدة حالت دون استكماله، كنا في شهر آب، أي في وقت عادة ماتسود فيه المجاعة منطقة الجوف، فيخرج السكان المحرومون من موارد العيش باتجاه الطرق الرئيسية لسلب ونهب المسافرين النادرين، وغالباً ماأجبرنا على حرمان أنفسنا من مؤونة العيش لنوزعها على أفواج الجوالين المنهكين من الجوع،
وحتى هذا التاريخ / لم تهطل قطرة مطر واحدة على منطقة الجوف الأعلى فنفق قسم 43
كبير من الماشية جوعاً، ولكن كلما تقدمنا نحو الجنوب صادفنا مزيداً من النبات ومن الحقول المخضرة، وذلك لأن الأمطار الخريفية الأولى قد بللت التربة.

وحين مررت من جديد بالغيل، سمعت من اليهود من يتكلمون عن مدينة يهودية قديمة اسمها (براقش) وصفوها لي وصفاً خارقاً. وقد أطلعوني على عقد مؤرخ لهذه المدينة مما أثبت لي أن اليهود لم يهجروها إلا منذ مايقارب القرن. عندئذٍ قررت الذهاب إليها بمرافقة زميل يهودي كان يعتقد بأنه إذ يرافقني يقوم بعمل من أعمال التقوى، ونيته أن يزيل غبار النسيان عن أسماء الحاخامات الأتقياء المذكورة على أحجار القبور. وكم كانت مفاجآتي عظيمة لما رأيت مكان المحلة اليهودية بقايا هامة لمدينة سبئية هي بالتحديد التي كنت أفتش عنها منذ مدة طويلة مع الافتراض بأنها المدينة الثالثة للمعينيين. كانت جدران السور التي لاتزال قائمة مغطاة بأكملها بنقوش محفورة بمهارة فنية، في حين أن داخل السور أقل حفاظاً، وركام الأكواخ فظة تستر بقايا رائعة من العصر الجاهلي. ومشاهدة شظايا النصب المطروحة في كل مكان تجعلك لاتفكر لامحالة بأن هذه المدينة كانت مدينة دينية رئيسية، ومكاناً يحج إليه السبئيون.

44 تشير النقوش إلى أن المدينة تسمى (يثل) (١٧)، ويظهر أن هذا الأسم مجهول لدى المؤرخين الإغريق والعرب.

ولما بدأ وجودي في (بلد همدان) يثير شكوك العرب، رأيت أن من الأنسب لي الذهاب لاكتشاف أرض (مأرب). وإذ لم أجد شخصاً يقودني مباشرة إلى هناك، اكتفيت بمصاحبة دليل كان على وشك الذهاب إلى قرية بدو تقع على مسيرة نصف يوم من (مأرب). وجرت الاستعدادات للسفر في مخيم دليلي على مسافة أربع ساعات شرقي (الحزم) همدان، فمكثت هناك ثلاثة أيام قمت خلالها بزيارة (معين) من جديد، وأربع خرائب أخرى خالية من النقوش، اسم واحدة منها (انبا) (١٨) التي تذكرنا عرضاً بـ(انافا) (باللاتينية) التي ذكرها المؤرخ (بطليموس).

كانت طبيعة الأرض التي نعبرها تشبه تماماً تلك التي تربط (خب) بـ(نجران)، إذ نجد تلال الرمال المتحركة نفسها، والأرض الجدباء في كل مكان. لقد كان طريقنا يوازي جبل (يام) باتجاه الجنوب أو الجنوب الشرقي، وبعد حين تختفي خلفنا سلاسل جبل (اللوذ)، وكان دليلي يتوقف غالباً للتأكد من الطريق. وعند الظهيرة انكشفت أمامنا بعض التلال المنفصلة عن بعضها، وحينئذٍ أبدا دليلي ارتياحه لأننا نسلك الطريق الصحيح. وخلال عبورنا بين التلال، لاحظت بقايا نصب من الرخام الأبيض عليها بعض سطور
45 نقش / قمت بنسخها، وسمى العربي هذا الموقع (الدابر).

وكُرِّس ماتبقى من النهار لعبور المسافة التي كانت تفصلنا عن (رغوان) وهي مدينة صغيرة حديثة بأكملها لم ندخلها، إذ كان دليلي خائفاً من انتقام السكان الذين كان بينهم وبين قبيلته ثأر. وعندئذ اتجهنا نحو الجنوب الشرقي سالكين بمشقة الرمال التي غاصت أقدامنا فيها حتى الركب، في الوقت الذي كنا فيه بأمس الحاجة للراحة. توقفنا بالقرب من بيت مهدم لبرهة استطعت فيها أن أميِّز ربوةً على شكل خربة. فبدأت بالإلحاح وإعطاء الوعود لدليلي كي يسمح لي بالذهاب إلى هناك. وفي نهاية الأمر، أعطاني الموافقة على التغيب لدقائق فقط حتى لا ألتقي، حسب زعمه بالأرواح الشريرة التي تتردد على هذه الأمكنة الصحراوية.

ذهبت مسرعاً، وإذا بي أمام مدينة قديمة قد طُمِر جزءٌ كبير من جدار سورها سليماً تحت الرمال. ولما كنت غير قادرٍ على إزاحة الرمال كي أرى إن كانت تحتوي على

نقوش أم لا أجبرت على الاكتفاء بفحص ماتبقى من الآثار الموجودة في الداخل والتي تشكل ركاماً من الأنقاض. وفي نهاية الأمر، وجدت بعض النصب المحتوية على نقوش.

وعلى الرغم من أن هذه العملية الكشفية كانت قد تمت بشكل سريع وغير كامل، فقد استغرقت من الوقت أكثر مما أُعطيتُ، وكان دليلي العربي ساخطاً بسبب هذا
46 التأخير، فأتى يبحث عني في الخربة / مطلقاً عنان غضبه متلفظاً بألفاظ مهينة، ولم يكن أمامي سوى مغادرة المكان مع أنه كان من المحتمل اكتشاف أشياء هامة فيه. تحمل هذه الخربة اسم (خربة سعود).

ولم يكن مسار رحلتنا في اليوم التالي أقل مشقة، فغالباً ماضللنا، إذ لايوجد أي أثر لإنسان أو لحيوان يدلنا عليه. وبعد تيهان طويل، أدركنا عند المغيب موقع (الفطية) حيث يخيم (بنو شداد) بالقرب من برج معمر بمواد قديمة، كما تؤكد ذلك أيضاً بعض النقوش التي لاتزال ظاهرة. يتصل هذا الموقع بالوادي الذي يقود إلى السهل الصحراوي بعد مسير نهار حيث يستثمر العرب منجم ملح خام يبيعونه بكميات تجارية هامة في (صنعاء) و(حضرموت).

كانت المنطقة في حالة اضطراب تام حيث أن (عبيده)، القبيلة القوية والمالكة للمنجم كانت قد تمردت على (الشريف عبد الرحمن) حاكم مأرب الذي كان يفرض ضريبة عالية على كل حمولات الملح الداخلة إلى عاصمته، وانتقاماً من إهانات عانوا منها طويلاً قاموا منذ وقت قريب بغزو مدينة (مأرب) ونهبها، ووقتئذ نجح (الشريف عبد الرحمن) في الهرب وذهب إلى (الجوف) للبحث عن فرسان للقيام بهجوم مباغت على سكان قبيلة (عبيده).

كانت قلوب هؤلاء تحدثهم عن نوايا العدو، فظلوا على أهبة الاستعداد، واضعين
47 حراساً في المناطق المرتفعة لمراقبة / تحركات خصمهم، وبسبب هذه الأحوال أجبرت على البقاء في (الفطية) عدة أيام. وحينها قمت بدراسة طبائع هذه القبيلة المشاغبة التي وصفها (أرنو) في ظرف مختلف. أمَّا من جهتي، فأعترف بأنه لايسعني إلا مدح المعاملة التي تلقيتها منهم، فلقد كانوا يتنافسون على الكرم رجالاً ونساء ليؤمنوا لي إقامة ممتعة . وهذه بعض من تقاليد الضيافة عندهم التي تأثرت بها في الصميم ولسوف أتذكرها

دائماً بعرفان بالجميل. وبعد هذا التوقف الاجباري أعلنت عن رغبتي في الذهاب إلى (مأرب) بالرغم من عتاب مضيفي الودي. وعندما رأوا إصراري أرسلوا معي بعض المحاربين الذاهبين إلى مخيم مجاور يقع عند حدود أرضهم، وقد قالوا لي بصراحة إنهم لايتحملون مسؤولية حمايتي خارج تلك الحدود - وفي الساعة الثانية بعد الظهر، غادرت (الفطية) بمرافقة ستة عشر محارباً، من بينهم أربعة فرسان متأهبين لأي حدث طارئ، فوصلنا إلى المخيم والشمس محرقة، وفي الحال شربنا بنهم حليب الناقة الذي قدمه لنا البدو، والذي كنا في أمس الحاجة إليه، وبعد التحيات الودية، عقد على الفور مجلس حرب وسمح لي بحضور كل المناقشات.

48 وقتئذ كانت الشمس قد أشرفت على الغروب، فأردت بأي ثمن / ترك هذه المنطقة المعرَّضة للحروب بهذا الشكل، ومع أن رجالاً قد رفضوا مرافقتي، فإنهم لم يتوانوا عن إرشادي إلى الطريق التي يجب عليَّ اتباعها. وكنقطة اتجاه أروني من بعيد برجاً قائماً على تل في الجهة الجنوبية الشرقية، عندئذٍ أسرعت للوصول إلى هناك شاقاً طريقي بين الأشواك التي تغطي حواف الأودية، ولما وصلت إلى البرج المشار إليه تبينت في الحال آثار خربة. لقد كانت رغبتي قضاء الليل هنا لأتفحصها في الغد بارتياح، لولا وجود رجل سيئ النية أرسله إلى هنا أنصار الشريف للتجسس على مواقع قبيلة (عبيده). سارع هذا الرجل قبل كل شيء إلى أخذ كل مااعتبره ذا قيمة، وبعد ذلك أجبرني على ترك البرج مباشرة، غير أنه أرسل معي ابنه ليرافقني إلى القرية، وفي منتصف الطريق تركني دليلي الشاب وحدي، وقد ارتحت لذلك كل الارتياح فقمت بفحص ماتبقى من أبنية قديمة تحتوي على نقوش، ثم دخلت (الحزمة) في ساعة متأخرة من الليل.

تبلغ المسافة التي تفصل مابين (الحزمة) و(مأرب) مسير ثلاث ساعات فقط، السهل مليء بالشجيرات الصغيرة التي تبهج باخضرارها العيون المتعبة من رتابة الصحراء المملة، كما أن مجرى وادي (شبوان أوذنة) المتصل بالتلة القائمة عليها (مأرب)، عريض
49 نسبياً ولكن المياه لاتتوفر إلاَّ / في الأعماق. ولما كنت أعرف الطبع الحذر لسكان هذه العاصمة السبئية القديمة بدا لي أن أعجل بزيارة مايحيط بالمدينة قبل الدخول إليها. وكانت خلاف ماتصورت، فالخربة كبيرة جداً، وتحتوي على عدد ضخم من أعمدة الرخام

لم أر مثلها.. أما فيما يتعلق بالنقوش فإنه يوجد منها عدد قليل يضاف إلى النسخ التي أخذها من سبقني من السواح، ويعطي العرب لهذه الخربة اسم (مدينة النحاس)، وذلك بدون شك بسبب وجود لوحات معدنية اكتشفت فيها سابقاً. أما اسم (مأرب) فلا يطلق إلاّ على المدينة الحالية القائمة على التل.

وبدلاً من الدخول إلى المدينة من الباب الشرقي قمت بالدوران حول السور إلى
الباب المقابل متحاشياً لفت نظر السكان نحوي، إذ كان من عادتهم أن يراقبوا الناس
القادمين من جهة (صنعاء). وهكذا نجوت من أسئلة كادت أن تقودني إلى عواقب وخيمة،
خصوصاً إذا ما علموا أنني قادم من جهة قبيلة (عبيده). كان الذعر يسود المدينة، فكلٌ
يشكو من الأضرار التي سببتها الإغارة الأخيرة، أما أنا فجلست بالقرب من منزل
الشريف على أمل أن يستقبلني أحدهم في بيته، إذ كان ينقصني الزاد، ولم أجد قط
شيئاً أشتريه في السوق، وقد شاهدني رجل وأنا جالس تحت الشمس فاستضافني حتى
آخر النهار فقط لأنه لايملك غرفة أبيت فيها فاضطررت أن أذهب لقضاء الليل في مسجد
50 (سليمان) خارج السور / القريب من الباب الجنوبي. وفي صبيحة اليوم التالي، ضجّت
المدينة بأصوات الطبول، ونشطت فيها حركة كبيرة، وذلك لقدوم عساكر الشريف، وكان
عددهم مايقارب الأربع مئة تحت قيادة أحد أقارب الشريف. كان الناس منهمكين في
شؤونهم فلم يلتفت أحد منهم إلي، وكان يهود المناطق المجاورة يؤُمّون السوق التجارية
ويقيمون فيها أحياناً، فشعرت تماماً بالأمان، وذهبت للبحث عن مأوى أقيم فيه بضعة
أيام لولا أن حادثاً طارئاً منعني من البقاء المدة التي كنت أرغبها.

أما سبب الإزعاج، فكان رجل يدعى (مسلّل)، وهو وكيل تاجر هندي أعلن إسلامه وأقام في (صنعاء) وكان هذا الهندي يبيع عادة تحفاً فنيةً قيمة للإنجليز الموجودين في (عدن) وكان عميله (مسلل) يسلبها من (مأرب) ومن مصلحته إبعاد الأوروبيين عن (مأرب)، كما أنه لايكف عن تنفير السكان منهم ناسباً إليهم أسوأ النوايا، ولمّا صادفني تحسب مباشرة من هدف رحلتي. وأيّاً كانت المناسبة، فإنه لم يتردد عن إيذائي في الحال، ولكن لحسن الحظ لم يكن عنده الوقت الكافي للانشغال بي، فلكونه قائد قافلة اضطر لمغادرة (مأرب) في منتصف النهار ليضع الجمال وحمولتها في مكان أمين.

51 لذلك اكتفى بتكليف أحد أصحابه لمراقبتي عن قرب، وغادر (مأرب) قبلي بيوم واحد مرجئاً انتقامه مني إلى وقت ذهابي إلى (صنعاء).

ومع أن حارسي الجديد لم يسئ معاملتي بالفعل، استحال عليَّ التخلص من صحبته، إذ لم يتركني أبداً وحدي، وكان يراقب كل تحركاتي حريصاً كل الحرص على منعي من نسخ نقوش موجودة في مكان السوق بالذات. وفضلاً عن ذلك، وبغض النظر عن سوء نية هذا الرجل، فقد كان من الوقاحة أن أكتب أمام الجمهور الذي يملأ الساحة، وفي نهاية الأمر، رأيت ألاَّ جدوى من إطالة إقامتي في (مأرب) فقررت اتخاذ الطريق المؤدي إلى سد (سبأ) الشهير أو سد (العرم). كان الطريق قد شق وسط مقبرة واسعة، وتبدو الأرض وكأنها ممزوجة بعظام مسحوقة. وتبرز من كل النواحي قبورٌ يختلف شكلها عما يوجد في سائر البلاد الإسلامية، كما أن قسماً من أحجار الشواهد مأخوذ من صروح (مأرب)، ومنها مايتضمن في بعض الأحيان نقوشاً سبئية، ونرى أيضاً عدداً لابأس به من الأبنية المهدمة على جانبي الطريق. وفي وسط ركام من الأحجار المنقلبة والمطروحة أرضاً، لاحظت جزءاً من تمثال مصنوع من الرخام الأبيض يستدل منه أنه كان ضخماً. ويبين لنا القسم الظاهر أصابعَ قدمٍ منحوتةٍ بشكل رائع وكان ذلك الجزء ثقيلاً جداً يصعب حمله.

52 يبعد السد عن (مأرب) مسيرة مايقارب الساعتين باتجاه الغرب، وقد تم بناؤه عند مدخل الوادي الذي تحصره مرتفعات البلق والتي تصل قمتها إلى ١٢٠٠ قدم تقريباً. أمَّا بقايا هذا السد فتشير إلى أنه كان حوضاً كبيراً تم تجهيزه لتلقي مياه السيول في مواسم الأمطار، وفي الصيف كانت تصرف المياه من الحوض بواسطة فتحات يتم فتحها وإغلاقها عند اللزوم لتمر بعد ذلك عبر قنوات لري الحقول المجاورة، ومازال جزء من الحوض ومن الفتحات قائماً إلى وقتنا هذا. يتميز بناء السد بشدة صلابته وبتناسقه التام.

أمَّا المبنى القائم بكامله تقريباً على ظهر الجبل عند جهة اليسار فيشهد على عمل متقن يمكن مقارنته مع أفضل منشآت الشعوب المعاصرة، ولكنه أبعد مايكون عن الطابع الأسطوري الذي تنسبه إليه روايات العرب المبالغة. فالمنفعة وحدها هي التي ألهمت

تحقيق هذه الهندسة البسيطة والضخمة، وربما المعقولة بالتأكيد، إذ مامن أجزاء متناسقة عملاقة هنا، ولاأثر البتة لتفخيم الجانب الديني كما يظهر في الأبنية العامة عند المصريين. قضيت الليل تحت أضواء النجوم على بعد خطوات من مخرج الوادي، لأن ضيعة البدو كانت لاتزال بعيدة. وعند الصباح أردت الوصول إلى المكان الذي يسميه (أرنو) (خريبه) وهو الاسم الذي ظن (فرسنل) أنه هو نفسه المذكور عند (بلين) باسم
53 (كريت)، ولسوء الحظ، فما كلمة خريبة إلاّ صفة لكل / مكان خَرِب. أمّا الموقع المعني فلازال يطلق عليه ذلك الاسم القديم (صرواح) حتى يومنا هذا.

وكنت قد وصلت مبكراً لولا أن شابين عربيين من (حريب) التحقا بي ولم يكفا عن تعذيبي في الطريق، فقاما بتفتيش محفظتي مرتين وأخذا كل مايريدان. ورغم ذلك استمرا في ملاحقتي ولعلهما كان يظنان أنهما إذا فتشاني جيداً سيجدا أخيراً بعض المال. وبعد أربع ساعات قضيتها برفقة هذه الصحبة السيئة، عزيت النفس بوجودي أمام حصن (صرواح) الواقع جهة اليسار على مسيرة عدة دقائق من الخربة. كان صاحباي المزعجان قد دخلا الخربة معي في نفس الوقت فاستعطيا مني الخبز وأرادا إرغامي على الذهاب معهما، غير أني لم أتحرك من مكاني وعندئذٍ عزما على الرحيل وحدهما. أمّا العائلة التي نزلت عندها فإنها عاملتني ببرود. وبما أن ذلك اليوم كان الجمعة، ومن المعروف عند العرب أن اليهود لايسافرون يوم السبت، طلبت السماح لي بالبقاء عندهم حتى اليوم التالي. وفي هذه البلاد، حيث الدين هو كل شيء، يفضل الناس التعامل مع شخصٍ هرطوقي تقي على التعامل مع شخص ذي فكر حر أو مع مجرد إنسان لامبال. فبعد استراحة قصيرةٍ نزلت من التل لرؤية الخربة التي يبدو جلياً أنها كانت حصناً هاماً في العصر القديم، وللأسف، لقد دمرت حتى أساساتها. إنه لأمرٌ
54 طريف ملاحظة أن الآثار الدينية قد صمدت إلى حد كبير/ بوجه التدمير بالمقارنة مع الصروح العامة المبنية بشكل أكثر صلابة. أما فيما يخص المعابد نفسها، فالذي نراه باقياً في أغلب الأحيان هو نُصُبٌ سهلة الدمار، في حين لانجد أي أثرٍ للجدران. ونرى أيضاً في هذه الخربة صفين من النصب تابعين بكل تأكيد لمعبد هام، أكثرها ملقىً على الأرض مهشماً ومغموراً بالرمال، وكان أغلبها مصنوعاً من الرخام المتنوع الأصناف، ويحتوي على أطول النقوش التي رأيتها في اليمن.

وبسبب حادث أليم سأرويه فيما بعد، اضطررت أن أكتفي بنسخ بعض النقوش، لابل أجزاء منها، وأن أترك البقية دون نسخ. ويطلق السكان على مكان وجود الأعمدة اسم (عرش بلقيس) التي زعم أنها زوجة سليمان (عليه السلام).

ولما رجعت إلى هناك في اليوم التالي، وجدت عدداً من العرب مشغولين بغسل الذهب الذي يجنون منه أحياناً ربحاً وافراً، فالذهب موجود على شكل حبيبات ممزوجة مع الرمل، في مجرى السيل أو في السهل عند جانبي المجرى. وقد اختبأت قهراً وبقيت منطرحاً دون حراك قسماً من النهار بجانب النصب لكي لايشعر العرب بوجودي. وفي اليوم الثالث صارت الحالة من سيئ إلى أسوأ لأن عدة قوافل قد حطت هناك. وسواء من باب الفضول أو من باب الخبث، احتفظوا بي في وسطهم طارحين عليّ أسئلة متشككة،
55 ثم وصل سيد من (شبوه) المدينة المجاورة لحضرموت وهو / رجل سيء التصرف جداً تجاه اليهود، وكان نازلاً في نفس البيت الذي نزلت فيه، فقام هو أيضاً بتعذيبي، وقد أكد لي أن في بلده كما في (حضرموت) يقتل كل يهودي بلا رحمة إذا عرفت هويته. ومع ذلك وجدت وسيلة جعلته يتكلم عن مسقط رأسه ومايجاوره. وقد خففت عني المعلومات التي حصلت عليها منه، وطأة التنكيل التي أثقل بها عليّ في كل لحظة.

ولكن أصبح من الواضح أنني لن أستطيع البقاء مدةً أطول في هذا المكان من حيث لن أتلقى سوى الازدراء وسوء المعاملة وكانت مؤونتي من الطعام قد نفدت بعد أن وزعتها على عائلة مضيفي، وبالتالي توجّب عليّ أن أقرر الرحيل، ولكني رغبت قبل المغادرة بنسخ القسم الثاني من النقش الذي رآه (أرنو) في بيت راعٍ كنت أعرفه من الخارج، ولمّا كنت أشعر مسبقاً بالمشهد المزعج الذي كان سيحصل، جاءني إلهام سار بتأمين نسختي للنقوش ضد أي حادثٍ مزعج، فخبأت أوراقي على مسيرة خمس عشرة دقيقة من الخربة ووضعتها تحت شجيرة سنط يسهل التعرف عليها، وبعد انتهاء عملية ضمان النقوش جازفت بالدخول إلى البيت، حيث يوجد النقش، مصحباً معي قلم رصاص وقطعةً صغيرةً من الورق مخبأةً في قميصي.

56 كان المنزل مبنياً من حجارة منضدة بشكل فظ / وكلها ملاصقة لعرش (بلقيس) الذي مازالت أعمدته تشاهد من باحة الدار، وكان الرجال منهمكين بحياكة سجف من

القطن الأسود* الذي يستعمل لتغطية الخيم. أما النساء فكن واقفات أمام حجرٍ طويلٍ
رضع في وسط فناء البيت لغسل الثياب، وكلهم أبدوا النفور مني وأظهروا انزعاجهم
لرؤيتي المفاجئة، فأجهدت نفسي لإخفاء انفعالي، وفي نفس الوقت ألقيت نظرة على
الحجر فلاحظت في الحال أن الجهة المقابلة للباب تحتوي على نقش أطول من الذي
يشاهد عند الدخول والذي نقل (أرنو) جزءاً منه. باشرت العمل ولكن ماأن نسخت السطر
الثاني - والسطر الأول ناقص وممحو من الصعب نقله بهذه السرعة وفي ظروف كهذه -
حتى أوقفت بفظاظةٍ من قبل أشخاص جاؤوا وكأنهم على علم بزيارتي إلى (مارب)،
فبدؤوا يسردون كل الوشايات الشائنة التي يبثها عملاء الهندي الجاحد في كل مكان ضد
الأوروبيين، فانهالوا علي بالشتائم المصحوبة بإشاراتٍ مرعبة. أمَّا أنا فكنت متمالك
الأعصاب وهادئاً أمام هجومهم، وهذا ماهيج غضبهم ثم تصاعد الصياح (ساحر) تطلقه
حناجر مايقارب الخمسة عشر شخصاً، وأما النساء فلقد أصابهن جنون الرعب وكنَّ
يصرخن مثل الجنيات، وكان الرجال مسلحين بعضهم بالبنادق والبعض الآخر بأوتاد
الخيم فانقضوا عليَّ وهم يرمونني بأعظم اللعنات، وبالفعل كنت أخشى على نفسي لولا
أن هداني تفكيري / فأقنعتهم بأنني آتٍ من مدينة (القدس) الشريف وبأن موتي سيجر 57
بكل تأكيد الويل عليهم وعلى أولادهم وعلى مواشيهم، وقد أحدث هذا التهديد أثراً
مباشراً، فأخذوا يتشاورون فيما بينهم أمام باب البيت. وعندئذٍ اغتنمت هذه الهدنة
المفاجئة لنسخ الستة أسطر الباقية من النقش ولكن بخط عبري صغير للانتهاء بسرعة .
ولسوء الحظ فقد فُتِّشتُ بعد لحظاتٍ وانتزع العرب مني النسخة بنية إظهارها إلى قاضي
(صنعاء) حيث قرروا إرسالي ليبتَّ في أمري، ولما لم يجدوا معي أوراقاً أخرى مشبوهة،
انتهى الأمر بهم للهدوء شيئاً فشيئاً، ثم أظهر أحدهم، وهو الذي كان يعذبني أكثر من
سواه بعض الندم، ودعاني إلى الفطور في منزله. وبعد الانتهاء من الطعام أوكلوني إلى
بدوي من (حباب) كان ذاهباً إلى (صنعاء)، وأمروه بملازمتي إلى لحظة تسليمي إلى
الشيخ.

* أغلب الظن أنها من (الصوف الأسود) ولاندري إن كان الخطأ في الترجمة أم في النص. كما أنا لسنا متأكدين عما إذا كان هناك (قطن أسود).

ولما اختفت بيوت (صرواح) خلف ظهري، كان هدفي الأول هو التخلص من دليلي الذي أرغمت على مرافقته، وإذ كان على هذا الرجل أن ينجز مسائل عاجلة في منزله، ولأن ضيعته تقع خارج طريقنا، فإنه لم يجد فائدة من الاحتفاظ بي، لذلك قَبِلَ مني مبلغاً
58 يسيراً وتركني أتابع الطريق وحدي، وعندما وجدت نفسي حراً / لم أر هدفاً أكثر إلحاحاً من الرجوع إلى المكان الذي خبأت فيه أوراقي، فوجدتها على حالها. وبعد ذلك سرت مسرعاً لأبتعد قدر الإمكان عن مسرح الخطر. ولما لم يكن هنالك من قريةٍ تشاهَدُ على الطريق، فقد كنت أخشى أن أقع في مضايقات أخرى في حال تسللي ضمن أي مخيم للبدو. ولهذا السبب فضّلت قضاء الليل في حفرة واقعةٍ على تلٍ وكنت وقتئذ منهكاً من التعب بعد ماعانيت من انفعالات خلال النهار. وقد نمت مدة طويلة ولم أستيقظ إلاّ في ساعةٍ متأخرة من النهار.

مامن شيء أزعج مسيري حتى (حريب) القرية الواقعة مقابل جبل (طيال) الذي تشبه قمته صفاً من الأعمدة الضخمة، ثم انقلبت الأمور إلى شكل مزعج جداً عندما وصلت إلى أول مرتفع يُسمى (شجاع). كانت القوافل الآتية من (مأرب) بعد أن حضرت يوم السوق في (حريب) قد توقفت للقيلولة عند الوادي، وكان المدعو (مسلل) من (مأرب) موجوداً في إحدى القوافل فعرفني في الحال، وبدأ بتنكيداته التي لاتحتمل، وعندئذٍ أجبرت على التوقف متعرضاً لاستنطاقات لانهاية لها. وقد عذبوني بفظاعة مدة أربع ساعات. وعلى الرغم من ذلك، فحين وصلنا إلى نقطة في المرتفع هي الأكثر وعورة، وجدنا الجِمال بالذات تلاقي المشقة في المسير. أما أنا فقد أسرعت الخطى مختبئاً
59 تسترني الظلمة عن أنظار ملاحقي. / فوصلت إلى إحدى الضيع الصغيرة في وادي (الشرفة) التي يقطنها اليهود. وبدلاً من سلوك الطريق الرئيسي الذي يقود عبر وادي السر إلى (صنعاء) اتجهت نحو الجنوب لتحاشي الالتقاء بالقوافل، وبعد خمس ساعات من المسير الشاق في منطقة جبلية وعرة وصلت إلى (تنعم) المدينة القديمة الهزيلة بعد أن كانت مشهورة سابقاً بسكانها اليهود المحاربين، أما اليوم فإن جماعة اليهود قلة ويتميزون بأنهم الأكثر جهلاً في اليمن. وعلى مسير ساعتين باتجاه الجنوب على تل صعب المنال، تمتد خربة (صبل) التي يظن أنها كانت من قبل مسكونة من قبل اليهود فقط، ولم أجد فيها بقايا صروح ولاآثار نقوش من العصر الحميري.

إن أرض خولان، بالرغم من وعورتها، هي الأكثر استثماراً للزراعة في شبه الجزيرة العربية، فإن القرى تتتابع على مسافات قريبة من بعضها البعض وتكثر هناك الحبوب والفواكه، ويبدو أن فيها عدداً لابأس به من الخرائب، ولكن السكان يتميزون بالعصبية البدائية التي تغذيها جمهرة السادة القاطنين في عدة قرى، وهناك تجتمع في كل عام قوافل الحج إلى (مكة المكرمة).

وهكذا لم يكف المارة على طول الطريق عن عرقلتي حتى أني أجبرت على التوقف عند المساء في (دار سلم) ولم أدخل إلى صنعاء إلا مع طلوع الشمس. وهنا ينتهي مجال استكشافي للآثار.

60 ولاحاجة لرواية المضايقات النفسية الحادة التي عانيتها في (صنعاء) وفي (مناخه) حتى اللحظة التي وجدت نفسي مع أوراقي التي كنت قد رتبتها، إذا صح القول بحسب المواقع الرئيسية التي مررت بها، فبعد انتظار طويل تخللته مغامرات مؤلمة كنت راضياً كل الرضى عندما رأيت أن مجموعة النقوش التي جمعتها بعد شقاء وألم كبيرين، قد كانت ذات أهمية كبيرة، غير أني أسفت ولاأزال متأسفاً أن الظروف لم تساعدني على اكتشاف بقية المناطق من جنوب شبه الجزيرة العربية، حيث يُنتظر الحصول على نقوش ليست أقل غنىً وتنوعاً، ولايسعني هنا إلا التعبير عن الرغبة بأن يتابع رحالون آخرون بكل الجدية التي تقتضيها هذه المهمة الشاقة، أعمالَ الاستكشاف التي قمت بها رغم ضعف قواي وقلة ذات اليد.

ثانياً

تصنيف النقوش

بما أن النصوص قد جمعت من أماكن كثيرة، أرى أنه من الضروري تصنيفها لتلافي اللبس، وهذا مايساعد على تكوين فكرة جلية وواضحة عما هو خاص بكل قسم كبير من الأرض اليمنية مما يسهل على الرحالة في المستقبل التحقق من نسخي. صحيح أن بعضاً من نقوشي، وخاصة الموجودة في أماكن عالية، / أو التي رُسمت 61
بشكلٍ مهمل، تتطلب بكل تأكيد تصحيحات مهمة، ولن يزول الشك تماماً إلا حين نحصل على رشومٍ (الطبع بحروف بارزة) لهذه النقوش، ولكن يمكنني أن أضمن أن حوالي ٧/٦ من النقوش هي أكثر صحة ودقة. ولاأخشى أن أؤكد أنه لاتوجد أية منفعة بأخذ رشومٍ لها، خصوصاً وأن هذه العملية لايمكن تطبيقها بسبب طبيعة الصروح والطول غير المعقول لعدد من النقوش.

وهذه هي القائمة العامة للنقوش التي تتكون منها مجموعتي، مع ذكر العدد والمكان الذي وجدت فيه.

أولاً – نقوش من صنعاء والمناطق المجاورة

أ– صنعاء	١٢
ب – زبيرات	٤
جـ – الغراس	١
	١٧

ثانياً – نقوش بلد خولان

أ – غيمان	٢٤
ب – صرواح	٢١
	٤٥

ثالثاً – نقوش بلد أرحب

أ – شرعه	٢٥

رابعاً – نقوش بلد نهم

أ – الطريق الواصل بين المديد وضبوعه	٢٥
ب – نقوش صغيرة من جبل شيحان	٣٠
جـ – الفرضه	١
	٥٦

خامساً – نقوش من بلد همدان الشرقي أو الجوف الأوسط

أ– مدينة هرم	٢٨
ب– الحزم همدان	٧
جـ– مراني	٨
د – معين	٨٠
	١٢٣

سادساً – نقوش الجوف الأدنى

أ – الغيل	٢
ب – كمنا	١٠
جـ – البيضاء	٧٤
د – السوداء	٧١
هـ – براقش	١٥٤
	٣١١

سابعاً – نقوش من بلد نجران

أ – الحضراء	١
ب – مدينة الأخدود	١١
جـ – الكُبيبه	١
	١٣

ثامناً نقوش من الجوف الأعلى

أ – الزاهر	١
ب – أسود الوازعي	٣
جـ – حزمة أبو ثور	١
د – بيت نمران	١
هـ – ديار اللبّا	٩
و – سلِيَم	١٧
	٣٢

تاسعاً – نقوش من وادي رحبه

أ – الدابر	٤
ب – سعود	١١
جـ – الفطيه	٥
	٢٠

عاشراً – نقوش من وادي عبيده 63

أ – حصن الجُردان	٤
ب – الحَزمة	٣
جـ – مأرب	١٢
د – المقبرة	٧
هـ – سد مأرب	٩
	٣٥

حادي عشر – نقوش من أمكنة غير مؤكدة

أ – عدن	٨

المجموع العام:

صنعاء والبلاد المجاورة	١٧
بلد خولان	٤٥
بلد نهم	٥٦

بلد أرحب	٢٥
بلد همدان	١٢٣
الجوف الأدنى	٣١١
بلد نجران	١٣
الجوف الأعلى	٣٢
وادي الرحبة	٢٠
وادي عبيده	٣٥
غير مؤكدة	٨
	٦٨٥

فالمجموع الإجمالي العام ست مئة وخمسة وثمانون نقشاً سبئياً من سبعة وثلاثين موقعاً مختلفاً على الأقل في منطقة اليمن الشرقي.

ومن بين هذه النقوش مايقارب الخمسة عشر نقشاً فقط كان قد تم نسخها سابقاً من قبل رحالين آخرين. أما الست مئة والسبعون المتبقية، فإنه لم يتم نشرها بعد، وإذن فإن عدد النقوش الحميرية في مجموعتي يفوق بست مرات ذلك / العدد الذي 64
اكتشفه الرحالون الآخرون بنفس اللغة. هذا عدا أنها تشكل ضعف النصوص الفينيقية، وتفوق أيضاً – كما يبدو – عدد كل النقوش السامية المعروفة حتى يومنا هذا.

ثالثاً

إيضاحات تفصيلية للنقوش

ملاحظة رقم (١): ضمن الوصف المفصل الذي يتبع، رأيت من الضروري ذكر الأمور التالية إلاَّ في حالة عدم التأكد أو الغلط

١- الوضع الجغرافي للأمكنة التي وجدت فيها النقوش.

٢- طبيعة البناء الحاوي للنقش.

٣- إذا كان النقش موجوداً على نصب أو على حجر.

٤- إن كان الحجر موضوعاً كمايلزم أم أنه قد انقلب بحيث نرى خط النقش مقلوباً.

٥- إن كان مسار خط النقش من اليسار إلى اليمين، وهذا في حالات استثنائية، أو إن كان كخط مسار المحراث ، وفي الحالة الطبيعية فإن مسار الخط هو من اليمين إلى اليسار.

٦- عدد الأسطر المقروءة، وفي بعض الأحيان عدد الأسطر التي تبدو لنا بأنها قد فقدت.

ملاحظة رقم (٢) : تم وضع نقطة فوق الحروف المشكوك فيها واستعملت النقطة أيضاً للإشارة إلى مكان الحرف أو للإشارة إلى علامة الفصل غير الواضحة فيما بين الكلمات، ففي هذه الحالة وضعت نقطاً بعدد
الرموز التي / بدت لي ممحوة، غير أن هذه العمية لم تكن دائماً 65
قابلة للتطبيق بنفس الدقة المتوخاة بسبب حالة المعالم المهدمة، وأيضاً كان من المستحيل - غالباً - التأكد إن كان النقش كاملاً أو ناقصاً.

(لم نقم بترجمة الشروح التفصيلية التي وضعها الكاتب عن النقوش، وذلك لعدم نقلنا للنقوش السبئية هنا).

أولاً - صنعاء والمناطق المجاورة

أ – صنعاء

عاصمة اليمن هذه المدينة هي أجمل وأنظف مدينة في شبه الجزيرة العربية ونصفها مهدم فالحي المسمى (بير العزب) (حيث كانت توجد بيوت التسلية وحدائق الأئمة المذكورين أعلاه)، وأيضاً (قصر غمدان) الشهير أصبح خالياً من السكان تقريباً. ولم أجد أبنية من عصر ماقبل الإسلام، في حين نرى بعض الأحجار التي تحمل بعض نقوش موجودة على بعض الصروح وعلى أبواب المدينة الرئيسية.

ب – زبيرات 66

قرية واقعة عند وادي (الروضة) تقطنها قبيلة (بني الحارث) وتوجد فيها بعض آثار لأبنية قديمة، وفي فناء المسجد ترقد أجزاءٌ من أعمدة.

جـ – الغراس

جبلٌ أبيض يقع على مسير بضع ساعات باتجاه شرقي (صنعاء) على طريق وادي السر.

ثانياً - بلد خولان

أ - غيمان

مدينة صغيرة فيها قصر قائم على تل يقع على مسير خمس ساعات جنوب شرقي صنعاء، ويوجد في أرض (بني بهلول - خولان) آثار لجدارٍ سورٍ قديم.

ب - صرواح 67

خربة كبيرة واقعة في أرض (بني جبر - خولان) تقع علي مسير يوم كامل غربي (مارب) ويلاحظ فيها عدد كبير من النصب، قسمٌ منها مازال منتصباً، وقسم آخر منقلب على الأرض، وتحتوي على نقوش طويلة. أمَّا رواق الأعمدة الرئيسي فلقد سمَّته العرب (عرش بلقيس) ملكة سبأ المزعومة التي جعلت منها الأسطورة

زوجة سليمان (عليه السلام)، وتوجد نقوش أخرى على جدران منزل الراعي 68
الملاصق لرواق الأعمدة. أما القصر فإنه قائم على تلٍ صغير في الجهة المقابلة للخربة، وفيه أيضاً بعض أحجارٍ عليها نقوش.

ثالثاً - بلد أرحب 69

شرعه

مدينةٌ صغيرة تابعة لأرض (أرحب) تقع على مسير نصف نهار شرقي صنعاء، ويوجد فيها نقوشٌ بدائية، قسمٌ منها موجود على الأبنية داخل المدينة، وقسم آخر بالقرب من مغارةٍ موجودة في الجبل المقابل، والحروف منحوتة في الصخر بشكل رديء وغير متناسق. وفيها أيضاً رموز عديدةٌ غير مفهومة.

70 **رابعاً - بلد نهم**

أ - مابين المديد وضبوعه

النقوش التالية موجودة على أحجار غير مصقولة تُشاهد ضمن أكوخ البيوت المهدمة عند الطريق الذي يقود من (المديد) إلى (ضبوعه) في أرض (نهم). أما المديد فتقع على مسير يوم كامل باتجاه شرقي صنعاء.

71 ب - جبل شيحان

تقع صخور (جبل شيحان) في منتصف الطريق مابين (المديد) و(وديان) أو (ملح) في منطقة (نهم) الشرقية. وتحتوي على عدة نقوش صغيرة سيئة الخط، والوصول إلى هذه الصخور صعبٌ جداً.

72 ت - الفرضة

شِعبٌ ضيق يقع عند منحدر النجد الذي يشكل الحد الغربي للجوف، يقع على مسير ثلاث ساعات باتجاه غربي مجزر.

خامسا - بلد همدان الشرقي

أ - مدينة هرم

خربةُ مدينةٍ أعيد بناؤها عدة مرات، ممتدة على مرتفع طوله ٢٥٠ متراً وعرضه ١٨٠ متراً، ولم يبقَ منها شيء قائماً ماعدا جزء من نصبٍ لانقش عليه، وبضعة أحجارٍ متفرقةٍ أو مجمعةٍ في بناء حديثٍ. ونجد على مسافة خمس دقائق أسفل التلة ستة عشر

نصباً انكسر واحد منها، وهي قائمة على صفين، وتؤدي إلى باب من الحجر. يبلغ ارتفاع النصب عن سطح الأرض إجمالاً ٢،٦٠م وعرضه مايقارب ٥٥ سم، بسماكة
73 قدرها ٢٥ سم. وتحتوي معظم النصب / على نقش أوحتى نقشين. وأجمل تلك النقوش موجود على النصب الأول في صف اليسار تجاه الخربة. ومع الأسف الشديد، يستخدم القناصون العرب هذه النصب عادةً أهدافاً للتدرب على الرماية مما يزيد من تَشوهِ هذه الآثار الثمينة للعصور القديمة. وكثير منها يثوي على الأرض مطموراً تحت الرمال، ويسمي العرب موقع الأعمدة (هرم)، أما الخربة الموجودة على التلة فيسمونها الفرع(١٩).

74 ## ب – الحزم همدان

مدينة هامة، فهي عاصمة بلد همدان الشرقي أو الجوف الأوسط، وهي على مسير أربع ساعات شمال شرقي الغيل، وعلى مسير ربع ساعة شمال مدينة (هرم) أو الفرع. أبنيتها من اللِّبن وفيها أبراجٌ متعددة، والنقوش موجودةٌ على أحجارٍ محشورةٍ في الأبنية.

75 ## جـ – مراني

قريةٌ صغيرة تقع على مسير ساعة جنوب شرقي (الحزم) ونجد في جوارها بقايا بيوتٍ قديمة.

د – معين

خربةٌ من أهم الخرائب، ويحتمل أنها عاصمة المعينيين القديمة. وهي قائمة على تلة محصنة طولها ٢٨٠ م وعرضها ٢٤٠م، وتبعد عن (حزم همدان) مسير ساعة ونصف، وتغطي النقوش جزءاً لابأس به من جدار السور ومن بعض الأبراج الموجودة قـرب
76 /البابين الشرقي والغربي. وإلى جانب الأحجار المنفصلة العديدة المنقوشة نجد أيضاً نصوصاً منقوشة على نصب، منها كاملة ومنها مكسرة، داخل المدينة وخارجها وعلى

مسير عشرين دقيقة باتجاه الشرق وفي وسط سهل مقعر يسميه العرب «المحير» توجد بقايا باب قديم أكبر من باب «هرم» يليها عدة نصب تشكل صفين متوازيين يحتوي البعض منها على نقوش منها ماهو واضح والآخر رديء وتشهد أجزاء الحجارة المنحوتة باتقان والمتصلة مع بعضها على بهاء الهيكل قديماً وتشير النقوش فيه إلى اسم الآله الذي بني لأجله ويوجد معبد صغير آخر داخل السور فيه عدد من النصب الخالية من النقوش باستثناء النصب المواجه للمدخل.

79 ## سادساً - الجوف الأعلى

أ - الغيل

هي المكان الوحيد المهم في منطقة الجوف الأدنى. ولايوجد فيها أي أثر للنقوش لا في المدينة ولا في ضواحيها والنقشان اللذان وجدتهما هنا محفوران على تحف فنية يملكها أشخاص من اليهود.

ب - كمنا

خربة واقعة على مسير ساعة كاملة شمال شرقي الغيل في منطقة الجوف الأدنى والمدينة مهدمة رأساً على عقب ومغطاة بأشجار السنط.

80 ### جـ - البيضاء

لهذه الخربة ميزة خاصة فبدل من أن تكون قائمة على تل كسائر الخرائب تمتد في واد رملي مستو مازال قسم كبير من الجدار قائماً وخصوصاً الجهتان الشرقية والجنوبية الشرقية، أما القلعة فهي أكبر من قلعة «معين» ويبلغ قطرها من (٣٠٠ إلى ٣١٠) متراً تقع على مسافة يسيرة من الخارد وعلى مسير ساعتين شمال كمنا أي على طريق الجوف الأعلى.

82 د – السوداء

خربةٌ ليست أقل اتساعاً من خربة (البيضاء)، ولكنها قائمة على تلٍ وتقع على مسير ساعة شمال شرقي البيضاء. يلاحظ بسهولة أن النار كانت سبب دمار هذه
83 المدينة البديعة التي كانت ولاشك. / مركزاً صناعياً هاماً، وخاصة في تصنيع المعادن، إذ أن كومة كبيرة من البقايا تغطي الأرض المحترقة. وتوجد بعض البقايا الضئيلة من جدار السور، وعدد نادر من النصب هي كل ماتركه لنا الزمن. أما النقوش فإنها كلها تقريباً جزئية، مع أن عددها لابأس به، ويوجد قسم منها خارج السور.

85 هـ – براقش

خربة مهيبة جداً على الرغم من أنها أقل امتداداً من (معين). ومازال الجزء الأكبر من جدار السور قائماً، ويتضمن عدداً من النقوش. ونرى بكثرة قطعاً من النصب داخل المدينة أو خارجها. أمَّا الأبنية العامة فليست إلاَّ كومة من الركام. وعلى الرغم من ذلك، يلاحظ أنها كانت مدينة دينية هامة لأن بقايا المعابد تعرف من أشلاء الأبواب، ومن ترتيب النصب التي تتواجد بكثرة في كل النواحي. وتقع هذه الخربة على مسير نصف نهار غربي (الغيل) وعلى مسير ساعتين من (المجزر).

90 **سابعاً – بلد نجران**

وادٍ رائع يمتد من الشرق إلى الغرب، ويقع بين سلسلتين من الجبال على مسير ثلاثة أيام شمال شرقي (صعده).

أ – الحضراء

(تقع عند مدخل الوادي من الجهة الشرقية).

ب – مدينة الخدود

خربة كبيرة هي (نجرا) الحاضرة التي ذكرها (بطليموس) وتقع على مسير ساعة غربي (رجله) من الجهة الجنوبية للسيل، والقسمان الجنوبي والغربي لجدار السور أقل خراباً من الأقسام الأخرى. وهذا الجدار مبني من الغرانيت الصلب ويفتقر لبعض الأناقة الفنية.

91 ## جـ – الكُبَيْبَه

ثامناً – الجوف الأعلى

تقع هذه المنطقة على مسير يوم ونصف شمالي (الغيل). يوجد بها عدد كبير من الأبنية الحضرية التي تسكنها قبيلة (ذو حسين) القوية، ويوجد عدد كبير من الخرائب المدمرة. أما الصروح المنقوشة فهي نادرة، في حين أن القسم الأكبر من النقوش موجود على طريق (الجوف الأدنى) وفي جوار جبل (سليام).

أ – الزاهر

ب – أسود الوازعي

خربة تقع على بعد ساعة جنوب شرقي الزاهر.

92 ## جـ – حزمة أبو ثور

خربة ضيقة المساحة تقع على مسير ثلاث ساعات ونصف جنوب شرقي خربة أسود الوازعي بالقرب من الخارد.

د – بيت نمران

خربة صغيرة تقع في جوار (حزمة أبو ثور).

هـ – ديار اللبّا

مجموعة متشابكة من البيوت الريفية المهدمة رأساً على عقب. تقع على مسير ساعة غربي البيضاء.

و – سلِيَم

جبل منفصل يشكل متراساً لجبل (يام) الذي يحد الجوف غرباً. أما النقوش فإنها
93 مرسومة بشكل رديء وأغلبها مهشم، / بعضها موجود على حجارةٍ منقلبة، وبعضها
الآخر على الصروح التي اندثر شكلها القديم.

تاسعاً – وادي الرحبة

أ – الدّابر

وقع صحراوي تحيط به التلال، ويقع في منتصف الطريق مابين (الحزم – همدان) و(رغوان). يشاهد فيه بقايا أعمدة من الرخام الأبيض تغطيها الرمال وتحتوي على نقوش. ويلاحظ إلى جانب ذلك أساسات بناء يحتمل أنه كان معبداً منعزلاً،إذ أني لم أجد أثراً لأي بناءٍ آخر.

ب – السعود

مدينة مهدمة قائمة على تلٍ على مسير ساعة شرقي (رغوان) ومسير يومٍ واحدٍ

شمال شرقي (مأرب). مازالت جدران السور قائمة كلها تقريباً، والرمال تغطيها. أما في الداخل، فمع أنه ليس هناك سوى الركام، إلا أنه يوجد بضعةُ نصبٍ عليها نقوش.

جـ - الفطية

قصرٌ مهلهل يقع بالقرب من الوادي الذي يؤدي إلى السهل القاحل، حيث يستثمر العرب منجماً غنياً من الملح الخام الذي يعتبر المورد الرئيسي لهذا البلد الصحراوي.
وتشاهد حول القصر الخيم السوداء التابعة (لبني شداد) الذي يشتغلون بشكل رئيسي / 95
بنقل الملح. ولقد وجدت بضعة نقوش على أحجار مثبته في جدران القصر. تقع (الفطية) على مسير أربع ساعات تقريباً شمال شرقي (الحزمة) وعلى مسير ست ساعات شرقي (مأرب).

عاشراً - وادي عبيده

أ - حصن الجردان

قصرٌ غير مسكون مبني على تلة تمتد حولها خربة مدينة قديمة، حيث نجد بعض أجزاء النصب تدلنا على وجود معبد. أمّا القصر نفسه فإنه يبدو كصرح قديم على الأقل في قسمه الأسفل من البناء، وتقع هذه الخربة في منتصف الطريق مابين (الفطية) و(الحزمة).

ب - الحزمة

مدينة صغيرة تقع على مسير ثلاث ساعات شرقي (مأرب) يظهر أنها مدينة / 96
حديثة البناء، ولكن المنطقة المحيطة بها تبين لنا آثاراً لأبنية قديمة.

جـ – مأرب

عاصمة مملكة (سبأ) القديمة. أما في وقتنا الحاضر فهي مهدمة رأساً على عقب باستثناء الجزء القائم على التل الذي يشكل المدينة الحديثة لمأرب. ويحيط بها جدار من الحجر المتين نسبياً، أما الخربة التي تمتد على طول (وادي شبوان أوذنه) حول التل، فإن قطرها يبلغ مايقارب الخمس مئة متر. وتبرز من وسط الركام عدة أعمدة من الرخام لها عدة أوجه: فمنها الثُمانية الأضلاع وهي الأكثر عدداً، ومنها الأسطوانية الشكل، وهي نادرة. أمّا فيما يتعلق بالنقوش، فإن (مأرب) أبعد ماتكون عن أن تلبي رغبة المستكشف. وقد أضاف بحثي عدداً قليلاً من النقوش إلى النصوص التي بين أيدينا. غير أنه يجب الإقرار بأن الظروف لم تسمح لي بجرد كامل للأرض حتى أنني لم أستطع نسخ نقوش النصب التي رأيتها في سوق (مأرب). لذلك أتمنى أن يكون للرحالة في المستقبل حظٌ أوفر.

د – مقبرة مأرب 97

تمتد المقبرة على جانبي الطريق المؤدي إلى السد، وتظهر الأرض وكأنها مخلوطة بمسحوق العظام. أما أحجار الشواهد، فإن لها ترتيباً خاصاً لانظير له في مكان آخر. ونرى أيضاً عدداً من البيوت المنعزلة والمهدمة.

هـ – سد مأرب

يقع هذا السد على مسير ثلاث ساعات غربي (مأرب)، أي عند مدخل الوادي الضيق المحصور بين مرتفعات (بلق) ليكوّن بالتالي قعر وادي (شبوان أوذنه). ويظهر الجزء الباقي الواقع في الوادي بقيا رصيفٍ مع عدد كبير من الفتحات.

أما في الجهة المقابلة، أي الجنوبية الغربية ، فنلاحظ صرحاً كبيراً من الحجر المنحوت مبنياً بناءً رائعاً، ومتكئاً على التل ومرتكزاً على صخرةٍ ضخمة. ولم يتم البحث عن النقوش بصورة تامة بسبب بعض العربان الذين لازموني ولم يتركوا لي الوقت اللازم لتنفيذ مهمتي بالشكل الذي كنت أتمناه،

تعليقات وحواشي المترجم

نشر هذا التقرير في المجلة الاسيوية المجموعة الثالثة الجزء التاسع عشر، كانون الثاني ١٨٧٢ - ص ٥ - ٩٨، وقد قام الكاتب أيضاً بعد عام واحد فقط بنشر قصة رحلته إلى (نجران). انظر (رحلة إلى نجران) مذكرة الجمعية الجغرافية كانون الثاني ١٨٧٣ - ص ٥ - ٣١، ٢٤٩ - ٢٧٣، ٥٨١ - ٦٠٦ مع خريطة باللغة الفرنسية، انظر لائحة المراجع الأجنبية في آخر الترجمة.

يجد القارئ في هامش النص العربي رقماً يشير إلى صفحات النص الفرنسي وذلك تسهيلاً للرجوع إلى الأصل. أضفنا في آخر الترجمة لائحة بأسماء المواقع والمدن التي ذكرها المؤلف ولائحة أخرى بأسماء الأعلام مع رقم الصفحات في النص العربي ذي الأصل الفرنسي.

أما فيما يخص التعليقات، فحرصنا كل الحرص أن نبقى في إطار الترجمة؛ أي دون أن نقوم بمهمة تحقيق وإضافة الشروح على النص إلاَّ في الحالات الضرورية. وقد صححنا أيضاً بعض أسماء أماكن نقلها الكاتب بشكل غير صحيح واعتمدنا في ذلك على المراجع الأساسية الهامة دون الدخول في التفاصيل.

(١) حاشية المترجم: يقصد الكاتب هنا مدونة النقوش السامية المرموز لها بـ: CIS أو: CIH التي تولى نشرها مجمع النقوش والآداب، والتي تتضمن النقوش المكتشفة من قِبَل (جوزيف هاليفي) وغيره من الرحالة الذين جمعوا نقوشاً من اليمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (انظر لائحة المراجع في نهاية المقال).

(٢) نقلها الكاتب (سفان) والأغلب (صعفان) في حراز على الطريق بين (الحديده) و(صنعاء). راجع معجم البلدان والقبائل اليمنية - ص ٣٢٤.

(٣) حاشية المترجم: انظر (التوراة سفر نحميا ٣/٢٥) والهمداني (صفة جزيرة العرب)، ص ٨١١: وكان اسمها في الجاهلية (آزال).

(٤) حاشية المترجم: ت (أرنو) فرنسي الأصل كان يعمل صيدلياً في صنعاء. قام برحلته الاستكشافية عام ١٨٤٣ في الوقت الذي كان (فرسنل) يشغل منصب القنصل الفرنسي في اليمن. أما فيما يتعلق بالنقوش فيعود الفضل له باكتشاف ٥٦ نقشاً، تم نشرها فيما بعد فرسنل عام ١٨٤٥.

(٥) حاشية المترجم: نقلها المؤلف (شراع) والأصح (شرعه) فهي التي تقع شرقي (ريده) (انظر الصفة - ص ١٧٨) و(معجم البلدان اليمنية - ص ٣٦٠).

(٦) حاشية المترجم: (وديان) جمع واد ولعل المقصود هنا اسم مكان وليس جمع واد.

(٧) حاشية المترجم: في الأصل (الفردا) والأصح هو (الفرضة).

(٨) حاشية المترجم: نقلها الكاتب في هذا الموضع (أرحاب)، وفي بقية المواضع كتبها بشكلها الصحيح (أرحب).

(٩) حاشية المترجم: (حربة داموكلس) وهي أسطورة تاريخية يونانية مفادها أن داموكلس كان رجلاً متكبراً لدى الامبراطور اليوناني (دينيس) (القرن الرابع ق.م). ففي إحدى المناسبات قام (دينيس) بدعوة (داموكلس) وعيَّنه ولياً للعهد، وعند الاحتفال أخذ الامبراطور (داموكلس) وعلقه على شعرة من ذيل الحصان في الهواء، مبيناً له أن لكلِّ جوادٍ كبوة، ولاداعي للتكبر. وقد أورد الكاتب هنا هذه الأسطورة للمقارنة بين الصخرة المُعلقة في الهواء وبين رمح داموكلس الذي علِّق هو أيضاً في الهواء.

(١٠) حاشية المترجم: في الأصل (السودا) و(البيضا) بدون همزة، والأصح معها. انظر الهمداني (صفة جزيرة العرب) - ص ٢٥٩، و ص ١٨٥.

(١١) حاشية المترجم: نقلها الكاتب بإضافة ألف بعد الياء، والأصح بدونها.

(١٢) حاشية المترجم: (متبنطين) في لغة المسند هو واحد من الآلهة كان يعبده فقط سكان مدينة هرم في العصر السبئي القديم، أي في القرن الخامس قبل الميلاد (انظر مثلاً المدونة: ٣/٥٠٧، ٢/٥٠٨، ١/٥٠٩).

(١٣) حاشية المترجم: (عشتر) في الأصل (إشتر) وهو اسم آلهة منقول في الأغلب من

الأكادية إلى الفينيقية. وقد ذكر أيضاً في النقوش التدمرية القديمة. أما في لغة المسند فهو مذكور على الشكل التالي: (عثتر) في النقوش السبئية والمعينية و(أثرت)، في النقوش القتبانية.

(١٤) حاشية المترجم: نقلها الكاتب مع تاء مربوطة، أما (نجرا) فهو الاسم الذي نقله المؤرخ اليوناني الأصل (المتوفى عام ٥٨ ق.م) وقصد به مدينة (نجران).

(١٥) حاشية المترجم: مصححة عن (خاب) انظر (صفة جزيرة العرب، ص ١٦٣) (خب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة.

(١٦) حاشية المترجم: في الأصل بدون همزة.

(١٧) حاشية المترجم: (يثل) بلغة المسند هو الاسم القديم للمدينة المعينية المعروفة لدينا حالياً ببراقش.

(١٨) حاشية المترجم: في الأصل نقلها الكاتب بإضافة ياء قبل النون (اينبا).

(١٩) حاشية المترجم: وردت في الأصل (الفر)، والأصح هو (الفرع) راجع (الهمداني – الصفة – ص ١٨٣).

كلمة شكر

لابد لي أن أعبر هنا عن شكري وامتناني العميقين لأستاذي الدكتور «كريستيان روبان» الذي عهد إلي بترجمة هذا النص من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. فقد أحاطني برعايته وثقته التامتين، ولم يتوان في تقديم كل معارفه وخبراته، فأغنى هذه الترجمة بملاحظاته القيمة، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الحضارة اليمنية القديمة.

ولقد تجلى اهتمامه بهذه الترجمة عندما تولى بنفسه عملية النشر لتكون في متناول الباحثين والمختصين العرب.

منير عربش

المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية

معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي الإسلامي

فرنسا - ١٩٨٩م.

فهارس المترجم (١)

١ - فهرس المواقع والبلدان

٢ - فهرس الأعلام والقبائل

(١) الأرقام تشير إلى صفحات الأصل الفرنسي (الموجودة على الهامش) .

أ- فهرس المواقع والبلدان

- أ -

أرحب (انظر بلد أرحب): 15, 16, 23, 29, 61, 63

الأحقاف: 25

الأخدود (انظر الخدود): 39, 62, 90

أزال: 11

أسود الوازعي: 62, 91

انبا: 44

- ب -

باب سبأ: 12

باب شعوب: 11

باب صباح: 12

باريس: 5, 7

البحر الأحمر: 25

البحر الصافي: 25

بدر: 39

براقش: 43, 62, 85

بران: 19

بلد أرحب (انظر ارحب): 23, 63, 69

بلد الحارث: 14, 66

بلد خولان (انظر خولان): 17, 61, 63, 66

بلد نجران (انظر نجران): 62, 90

بلد نهم (انظر نهم): 17, 61, 63, 70

بلد همدان: 42, 44, 62, 63, 72, 74, 30, 35

بلق (انظر جبل بلق): 52

بنات عاد: 30

بيت بوس: 10

بيت نمران: 62, 92

بير العزب: 65

البيضاء: 29, 62, 80, 82, 92

- ت -

تنعم: 59

التهامة الشرقية: 25

- ث -

- ج -

جار اللبا (انظر ديار اللبا): 42

جبل بلق (انظر بلق): 52 ,97

جبل جزره: 29

جبل سليم (انظر سليم): 30 ,42

جبل شيحان: 17 ,61 ,71

جبل الطيال: 58

جبل قُدُم: 35

جبل اللوذ: 29 ,34 ,35 ,44

جبل نقم: 10 ,42

جبل يام: 20 ,25 ,30 ,92

الجوف: 25, 29, 36, 46, 72, 92, 11, 13, 16, 23

الجوف الأدنى: 43, 62, 63, 79, 91, 27, 32, 42

الجوف الأعلى: 42, 43, 62, 63, 80, 20, 35, 41

الجوف الأوسط: 42, 44, 62, 74, 79, 30, 35

- ح -

حبابه: 57

حبيش: 29

حجرة الواقعة: 26

الحديدة: 9

حراز: 10 ,16

حريب: 53 ,58

الحزم: 29 ,30 ,75

الحزمة: 48 ,63 ,95

الحزم همدان: 44 ,62 ,74 ,75 ,93

حزمة أبي ثور: 62 ,92

حصن الجردان: 63 ,95

الحضبة: 36

الحضراء: 37 ,62 ,90

حضرموت: 34, 36, 37, 46, 54, 55, 25, 30

الحيمة: 16

- خ -

الخارد: 29 ,34 ,41 ,80

خب:35 ,36 ,44

خدود (انظر الأخدود): 39 ,90

خربة بران: 19
خربة سعود: 46, 62, 94

- د -
الدابر: 62, 93
الدار: 45
دار سلم: 59
الدواسر:40
ديار اللبا (انظر جار اللبا): 62, 92

- ذ -
ذنة: 48, 96, 97

- ر -
رجلة: 38, 90
الرحبة:14, 62
رغوان:45, 93, 94
الروضة:14, 66
الرياض:40

- ز -
الزاهر: 41, 91
الزبيرات:14, 61, 66

- س -
ساحل عمان: 25
سبأ: 35, 67, 96
سد العرم:51, 52
سفيان:9
سلامات:29
سليم (انظر جبل سليم):62, 91, 92
السوداء: 29, 62, 82
سويسرا:10

- ش -
شبه الجزيرة العربية: 38, 40, 60, 65,
9, 22, 23
شبوان:96, 97
شبوه:54
شرعة:15, 16, 26, 61, 69

- ص -
صبل:59
صرواح : 17, 53, 57, 61, 67
صعده:90
صنعاء:,57, 59, 60, 61, 63, 65, 66, 69,
8, 10, 11, 12, 13, 14, 16, 46, 49, 50, 51

- ض -

ضبوعة: 17, 61, 70

- ط -

الطيال (انظر جبل الطيال):58

- ظ -

—

- ع -

عبيدة (انظر وادي عبيدة):63

عدن: 8, 9, 50, 63

عرش بلقيس:54, 56, 67

عمان (انظر ساحل عمان):25

العيش:29

- غ -

الغراس:62, 66

الغيل:27, 43, 62, 74, 79, 85, 91

غيل هران:29

غيمان:12, 61, 66

- ف -

الفرضة:20, 23, 61, 72

الفرع:29, 73, 74

فرنسا:41

الفطية:46, 47, 62, 94, 95

- ق -

القدس: 17, 37, 38, 57

قرية القابل:38, 91

قصر سام بن نوح:11

قلعة براش:10

- ك -

الكبيبة:62, 91

كمنا: 29, 62, 79, 80

كوكبان:98

- ل -

اللبا (انظر جار اللبا):42

لحج:8, 9

- م -

مأرب:,58, 63, 67, 94, 95, 96, 97

56, 52, 51, 50, 49, 48, 47, 46,
44, 17, 13
مجزر:25, 72, 85
المحير:33, 76, 78
المخلاف:38
مَدر:17
المديد:17, 61, 70, 71
مدينة النحاس:49
مدينة هرم (انظر هرم):,62, 72, 74
33, 31, 29
مرأني:62, 75
معين:32, 44, 62, 75, 80, 85
مكة المكرمة:59
ملاحة:35
ملِح:17, 71
مناخة:60

- ن -

ناعط:17
نجد:40, 41
نجران:,37, 38, 39, 40, 44, 62, 63
36, 34, 31, 13, 9
نجرا (انظر نجران):35, 39, 40, 90
نقيل شجاع:58
نهم:17, 61, 63, 70

- هـ -

هرم (انظر مدينة هرم):,73, 74, 76
72, 62, 33, 31, 29

- و -

واحة خب (انظر خب):35
وادي حبونه: 37, 40
وادي الرحبة (انظر الرحبة):63, 93
وادي سبأ:23, 25, 28, 30, 34, 41
وادي السر (انظر السر):66
وادي شبوان:48
وادي الشرفه:59
وادي عبيده (انظر عبيده):63, 95
وادي مذاب:42
وديان:17, 71

- ي -

يثل (في لغة المسند):44
اليمن:,14, 15, 31, 54, 59, 63, 65
12, 11, 10, 7, 5

٢- فهرس الاعلام والقبائل

- أ -

أرنو (رحالة فرنسي الأصل):,56, 55, 52, 47, 13

ابرهه:11

ابن سعود:40

الأتراك:41

اسحق النبي:39

اسماعيل النبي:18 ,22 ,39

الاسماعليون:24

الاغريق:7 ,44

الانكليز:8 ,9 ,50

الأوروبيون:7 ,8 ,12 ,50 ,56

اليوس جالوس (قائد الحملة الرومانية): 13, 7

- ب -

بالغراف:41

بطليموس (مؤرخ وجغرافي إغريقي): 90, 44

بلقيس:54 ,67

بلين (مؤرخ إغريقي): 52 ,56

بني أحكام:16 ,29

بني أرحب:69

بني بهلول:12

بني جبر:67

بني زهير:17

بني شداد:46 ,94

بني مطر:10 ,16 ,23

بني هلال:24

- ج -

جرماني:41

جوزيف هاليفي:5

- ح -

الحارث:40

حمير:19

الحضرميون:34

الحميريون:7

الحواشب:8

- خ -

خولان: 12, 17, 59, 67

- د -

داموكلس (يوناني الاصل): 26

- ذ -

ذو حسين:35, 91

ذو نواس:39

- ر -

الرومان:7, 35

- س -

سالم بن سعيد:30

سام بن نوح:10

الساميون:6, 7

سبأ: 24, 51

السبئيون: 7, 28, 34, 35, 42, 43

سترابون (مؤرخ اغريقي):28, 34, 35

سليمان النبي:54, 68

- ع -

عاد: 18, 24, 30

عبد الله الثامر:40

عبيدة: 46, 48, 49

العرب:,40, 42, 46, 49, 73, 76, 94, 13, 16, 18, 25, 28, 30, 31, 32, 7, 10, 11

عشتر (أحد آلهة الشعوب السامية القديمة): 33

عمر بن الخطاب:26

- غ -

–

- ف -

فريسنل (فرنسي الأصل):52

الفينيقيون: 6, 64

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تصدير بقلم الأستاذ يحيى علي الإرياني	٥
رؤيا اليمن (حبشوش)	٩
تقديم النص بقلم : سامية نعيم صنبر	١١
حول المخطوطة الأصلية	١٤
عن نسق الكتابة المتبنى لدى حاييم حبشوش	١٥
مسائل الإملاء	١٧
تأثير اللهجة	١٨
حول الطبعة الحالية	٢٣
مقدمة ونص حبشوش	٢٧
تقرير هاليفي	١٣٩
أولاً: مسار الرحلة	١٤٤
ثانياً: تصنيف للنقوش	١٧٥
ثالثاً: إيضاحات تفصيلية للنقوش	١٨٠
تعليقات وحواشي المترجم	١٩١
كلمة شكر	١٩٥
فهارس المترجم	١٩٧
١ - فهرس المواقع والبلدان	١٩٩
٢ - فهرس الأعلام والقبائل	٢٠٥

